

مجلة العلوم الاجتماعية

مجلة محكمة تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية
جامعة وهران 2 (محمد بن أحمد)

العدد: 05 سبتمبر 2017

ISSN: 1112-5780

Dépôt légal: 396-2005

ISSN: 1112-5780
Dépôt légal: 396-2005
EDITIONS
DAR ELQODS EL ARABI
84 cooperative elhidaya Belgaid – ORAN
Tel: 0556230762-0792339956 FAX: 041503206
ص.ب 627 البريد المركزي 31000 وهران
quds_arabi@hotmail.fr
حقوق الطبع محفوظة



مدير المجلة

عبد الكريم فضيل

رئيس التحرير

نور الدين داودي

طاقم التحرير

محمد بوشيبة	رابح سبع	زين الدين زمور
محمد مكي		مراد مولاي الحاج
مليقة محرزي	نادية يوب	دليلة شارب

اللجنة العلمية

أد. جيل فيريول جامعة فرانش كونتي فرنسا
أد. علي قواوسي جامعة باتنة 1
أد. حسين لعبد اللاوي جامعة الجزائر 2
أد. محمد صايب موزات مركز البحث في الاقتصاد التطبيقي للتنمية
أد. محمد بشير جامعة تلمسان
أد. أحمد وصال جامعة مرمره تركيا
أد. محمد بدروني جامعة البلدية 2
أد. جويدة عميرة جامعة الجزائر 2
أد. محمد مجاود جامعة بلعباس
أد. علي حمزة شريف جامعة تلمسان
أد. حلومة شريف جامعة وهران 2
أد. محمد صالح جامعة وهران 2
أد. مزيان بن شرقي جامعة وهران 2
أد. محمد قويدري جامعة وهران 2
أد. الحبيب تيلوين جامعة وهران 2
أد. بدرة معتصم ميموني جامعة وهران 2
أد. بن عمر سواريت جامعة وهران 2

- أ.د. عبد الحميد بكري جامعة سعيدة
د. فاطمة الزهراء سبع جامعة وهران 2
د. فتحي عبد الرحمن محمد عبد الرحمن الضبع جامعة سوهاج مصر
د. فوزي بن دريدي جامعة سوق أهراس
د. ياسين محجر جامعة ورقلة
د. يمينة خلادي جامعة ورقلة
د. سميرة ميسون جامعة ورقلة
د. فوزية محمدي جامعة ورقلة
د. محمد بوفاتح جامعة الأغواط

ترحب كلية العلوم الاجتماعية، لجامعة وهران 2، بمساهمة كل المشتغلين بحقل العلوم الاجتماعية بمختلف تخصصاتها من علم الاجتماع والديموغرافيا والفلسفة وعلم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا من أجل إثراء البحث العلمي بنشر مقالاتكم في مجلة الكلية المسماة مجلة لعلوم الاجتماعية، باللغات الثلاث التالية: العربية، الإنجليزية والفرنسية.

وعليه نطلب من السادة الأساتذة والباحثين إرسال مقالاتهم لهيئة التحرير على العنوان التالي: كلية العلوم الاجتماعية جامعة وهران 2 أو على العنوان الإلكتروني التالي:

r.sciencesociales.oran2@gmail.com

على أن تراعي في المقال الشروط التالية:

1- أن لا يكون المقال قد سبق نشره أو قدم لمجلة أخرى للنشر (تعاهد ممضى من قبل المعني).

2- كل المقالات تخضع للتحكيم.

3- بالنسبة للغة العربية يكون الخط ب Traditional Arabic في متن المقال بحجم 16 بفارق خطوط 1،5، أما الخط في اللغات الأجنبية الأخرى فيكون ب Times News بحجم 12 بفارق خطوط 1،5

4- المصادر والمراجع تكون بالطريقة الأنجلو سكسونية APA - بالنسبة للإحالة في المتن، الفقرة، (اسم شهرة المؤلف، الحرف الثاني من الاسم، السنة، الصفحة)

- بالنسبة لقائمة المراجع:

- الكتاب: المؤلف، (السنة)، "عنوان الكتاب". المدينة، دار النشر.

- المجلة: المؤلف، (السنة)، "عنوان المقال"، عنوان المجلة، الرقم، الشهر، السنة.

- فصل من كتاب جماعي: المؤلف، (السنة)، "عنوان الفصل"، ضمن (عنوان الكتاب)، منسق الكتاب، الطبعة، المدينة، دار النشر، ص ص.

- الأطروحات: المؤلف، (السنة)، عنوان الأطروحة، أطروحة دكتوراه تخصص.....، الجامعة، البلد.

- تضبط قائمة المراجع في آخر المقال.

5- يرفق المقال أو الدراسة بملخص باللغة الانجليزية في عشرة أسطر (150 كلمة على الأكثر) مع عشر كلمات مفتاحية (5 على الأكثر) على أن يعبر عن محتوى المقال المقدم للنشر.

- 6- كل مقال غير قابل للنشر لن يعاد لصاحبه واللجنة العلمية تعلمه بنتائج تقيمه العلمي وفق التحكيم.
- 7- يقدم صاحب المقال عنوانا لضمان مراسلته من قبل هيئة تحرير المجلة.
- 8- يرسل لصاحب المقال المنشور نسخة من المجلة وثلاث نسخ من المقال.

الفهرس

- 09.....كلمة العدد.....
- تطور النمو السكاني والحضري في الجزائر
- 11.....**د. فائزة يسعد وريم بن زايد/جامعة وهران 2**.....
- المواطنة آفاق الإجماع السياسي والرباط الاجتماعي في الجزائر.
- 33.....**د. بلخير بومحرات/جامعة وهران 2**.....
- الانتقاء الغذائي عند الطفل دراسة عيادية لثلاث حالات
- 47.....**د. مليكة محرزي جامعة وهران 2**.....
- المشكلات النفسية والسلوكية لدى طفل الروضة -قلق الانفصال نموذج-
- 62.....**أ. صافية ملال ود. خديجة كبداني/جامعة وهران 2**.....
- الهرمنيوطيقا، أو فلسفة التأويل
- 85.....**د. امحمد عيساني/ المركز الجامعي تيسمسيلت**.....
- تمدرس البنات وتراجع الخصوبة في الجزائر
- 109.....**شريفة بلعروسي وأ.د طيب لوادي/جامعة وهران 2**.....
- الكفاءة المهنية للمرشد التربوي بين الواقع والمأمول. (دراسة ميدانية على عينة من المرشدين التربويين)
- 128.....**أحلام مداني وأ. سيد أحمد ورغي/جامعة سعيدة/ جامعة وهران 2**.....
- الخطاب الصوفي والأطر الاجتماعية للمعرفة بالزاوية " الزاوية البوعبدلية ببطيوة نموذجاً"
- 168.....**محمد الكمال لرجم /جامعة وهران 2**.....
- التحولات الاقتصادية وسوق العمل في الجزائر
- 197.....**لطيفة مناد وفوزية صغيري/جامعة تلمسان**.....

كلمة العدد

بتظافر جهود كل من عضوات وأعضاء لجنة التحرير والأستاذات والأساتذة الخبراء المحكمين تم بعون من الله إصدار العدد 5 من مجلة العلوم الاجتماعية والذي حاولنا فيه تقديم فسيفاء من المقالات التي تمثل كل التخصصات الموجودة داخل شعبة العلوم الاجتماعية وتنويعها اللغوي.

جل المواضيع المتناولة هي مواضيع الساعة، تحاول معالجة مجموعة من الانشغالات المطروحة على الساحة الوطنية، حيث حاول أصحابها إلقاء الضوء على مجموعة من الظواهر والإجابة على بعض التساؤلات التي تثير اهتمام كل المشتغلين بالعلوم الاجتماعية والفاعلين بها.

الشكر موصول إلى كل من ساهم من قريب أو من بعيد ولو بكلمة تشجيع على المضي قدما بمجلة العلوم الاجتماعية وتدعيمها لترقى إلى مصاف المجالات الأكاديمية المعترف بها.

رئيس لجنة التحرير/ أد. نور الدين داودي

تطور النمو السكاني والحضري في الجزائر

د. فائزة يسعد (استاذة بقسم الديمغرافيا، جامعة وهران 2، محمد بن أحمد)
ريم بن زايد (طالبة في طور تحضير أطروحة الدكتوراة بقسم الديمغرافيا)

Résumé:

On ne considère que le phénomène de l'évolution rapide des villes dans les pays en voie de développement comme le phénomène le plus marquant après la 2^{ème} guerre mondiale.

Depuis l'indépendance l'Algérie a connu une croissance de la population et une croissance urbaine importante, la population totale algérienne est passée de 10,2 millions à 34,8 millions en 2008.

Il est connu que la croissance de la population est déterminée par l'évolution du nombre de naissances et des décès.

Après avoir atteint le nombre de 7,8 enfants par femme en 1970 l'indice synthétique des fécondités passe à 2,7 en 2008.

Plusieurs facteurs sont à l'origine de cette baisse de la fécondité notamment le retard de l'âge au mariage et l'utilisation des moyens contraceptifs.

La croissance démographique implique la mobilité des populations et une urbanisation rapide et très forte.

La majorité de la population urbaine se concentre dans la bande littorale représentant une densité de 274 habitants au K² dans le recensement de 2008. Cela est dû à la situation géographique et les implantations des différentes structures économiques, sociales et administratives implantées au cours des différents plans de développement.

Le taux d'urbanisation a atteint 70% en 2008, ce qui représente un poids pour les villes et engendre des problèmes tel que la crise de logement, hausse du niveau de vie pour certaines catégories sociales et baisse pour d'autres.

Aussi, il y a l'impact sur l'environnement et la réduction des terres cultivables.

مقدمة

تعتبر ظاهرة النمو السريع للمدن في الدول النامية من أبرز الظواهر الديموغرافية التي تلت الحرب العالمية الثانية.

فالجرائر كبقية بلدان العالم شهدت نموا سكانيا وحضريا كبيرا بعد الاستقلال، حيث انتقل عدد السكان من 2،10 مليون نسمة غداة الاستقلال إلى 9،16 مليون نسمة سنة 1987 ثم إلى أكثر من 29 مليون نسمة سنة 1998 ثم 8،34 مليون نسمة سنة 2008، إضافة إلى هذا شهدت مدنها ديناميكية كبيرة للسكان بعد الاستقلال وهذا راجع إلى التدخلات التي قامت بها الدولة بتوظيف كل الهياكل القاعدية والمنشآت الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المراكز الحضرية، التي أدت إلى انتقال عدد كبير من سكان من الريف إلى هذه المدن.

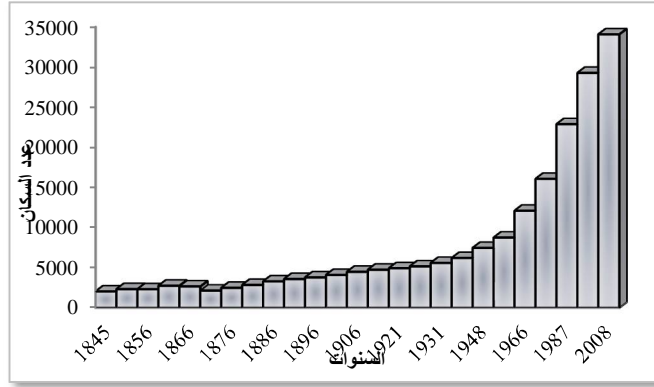
I. اتجاهات وتطور النمو السكاني في الجزائر

1.1. تطور نمو السكاني في الجزائر من 1830 إلى 2008

لقد عرف النمو السكاني في الجزائر تغيرات كثيرة من فترة زمنية إلى أخرى 9

حسب الظروف التي عاشها السكان، ففي الفترة الاستعمارية (1830-1962) شهد هذا النمو تدببا وتباطؤ بحيث لم يتضاعف إلا بحوالي 3 مرات خلال مدة زمنية قدرت ب 132 سنة وهذا راجع للظروف القاسية جدا التي عاشها السكان أثناء فترة الاستعمار، بحيث بلغ عدد سكان الجزائر حسب معطيات أول تعداد قام به الاستعمار سنة 1845 ب 2.028 مليون نسمة، ليتضاعف بعد 56 سنة إلى 4.089 مليون نسمة سنة 1901 و بعد 53 سنة بلغ عدده 8.745 مليون نسمة سنة 1954 (تاريخ آخر تعداد منجز في فترة الاستعمار)، وهذا نتيجة الظروف الغير العادية التي عايشها السكان من سوء المعيشة وانتشار الأمراض والأوبئة واضطهاد المستعمر.

التمثيل البياني رقم 01: التطور حجم سكان الجزائر حسب التعدادات المنجزة من فترة الاستعمار إلى ما بعد الاستقلال.
المصدر: تم التمثيل البياني بالاعتماد على معطيات الملحق رقم 01



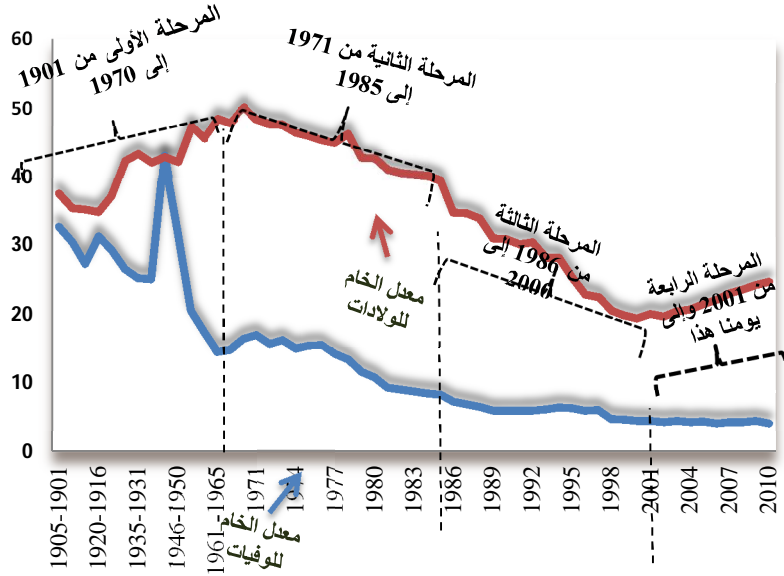
أما ما بعد الاستقلال فقد شهد النمو السكاني تزايدا سريعا، وأصبح يتضاعف في مدة زمنية قصيرة في غضون 20 سنة بعد ما كان في الحقبة الاستعمارية يتضاعف خلال مدة 50 سنة، حيث قدر عدد السكان الجزائر في تعداد سنة 1966 بـ 12.096 مليون نسمة، ليصل عدده إلى 22.888 مليون نسمة سنة 1987، و 34.080 مليون نسمة في تعداد 2008، وهذا راجع إلى تحسن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية للبلاد.

2. I. التحول الديموغرافي في الجزائر:

إن التحول الديموغرافي هو الانتقال من نظام تقليدي للتوازن الديموغرافي حيث تكون معدلات الولادات والوفيات في مستويات أعلى، إلى نظام عصري للتوازن الديموغرافي حيث تكون معدلات الولادات والوفيات في مستويات أدنى وينتج عن هذا التحول الديموغرافي استقرار معدل النمو الطبيعي (معدل الولادات والوفيات) عند حده الأدنى بعد مرور بثلاث مراحل.

فالجزائر كباقي بلدان العالم عرفت تحولات كبيرة في مسار النمو الديموغرافي منذ بداية القرن 20 إلى يومنا هذا، فمن خلال الشكل العام يمكن تمييز أربع مراحل للتحول الديموغرافي في الجزائر:

التمثيل البياني رقم 02 الشكل العام لتحول الديموغرافي في الجزائر



المصدر: الديوان الوطني للإحصائيات

• المرحلة الأولى من 1901 إلى 1970:

لقد تميزت هذه المرحلة بنظام الديموغرافي طبيعي أو ابتدائي، لأنها عرفت ارتفاعا في معدل المواليد ما بين 37.6% سنة 1901 و 50.16% سنة 1970 وهذا راجع إلى عدم استخدام موانع الحمل والزواج المبكر والأمية مما ينتج عنه ارتفاع الخصوبة، وأيضا ارتفاع معدل الوفيات ما بين 32.8% و 19.45% خلال نفس الفترة وهذا بسبب الظروف القاسية التي عاشها السكان من تدهور المستوى المعيشي والصحي خلال فترة الاستعمار، إضافة ضعف التغطية الصحية للسكان في الجزائر في السنوات الأولى للاستقلال.

• المرحلة الثانية من 1971 إلى 1985:

شهدت هذه المرحلة انخفاضا ملحوظا في معدل الوفيات من 16% سنة 1971 إلى 9% سنة 1985، وهذا بفضل تحسن مستوى المعيشي والصحي لسكان بفضل البرامج التنموية الاجتماعية والاقتصادية المنجزة في هذه الفترة، إضافة إلى أن الجزائر في فترة 80 بدأت في توسيع

برنامج التحكم في النمو السكاني الذي يركز على الوقاية الصحية وذلك بتوفير اللقاح وحماية صحة الأم والطفل.

لكن الخصوبة بقيت عالية بحيث كان معدل الخام للولادات يفوق 40%، مما ينجر عنه ارتفاع في معدل النمو الطبيعي الذي كان يصل في هذه الفترة إلى 3%، ما ميز هذه المرحلة هو أن وسائل منع الحمل كانت غير مستعملة بصفة كبيرة.

• المرحلة الثالثة من 1986 إلى 2000:

ما ميز هذه المرحلة هو انخفاض ملحوظ في معدل الخام للولادات ابتداء من سنة 1986 حيث انخفض من 35% إلى 19% سنة 2000، وهذا راجع إلى تعميم سياسة تباعد الولادات وذلك باستخدام موانع الحمل بحيث قدر معدل استخدام النساء في سن الإنجاب لموانع الحمل بأكثر من 61% سنة 2006، بعدما كان يقدر بـ 8% سنة 1986 إضافة إلى تأخر سن الزواج بالنسبة لكلا الجنسين، فهذه المرحلة حسب نظرية التحول الديموغرافي تتميز بنظام حديث ينتشر فيه استخدام مختلف طرق منع الحمل.

• المرحلة الرابعة من 2001 إلى يومنا هذا:

من خلال الشكل نفترض وجود مرحلة رابعة ولكنها لا تختلف كثيرا عن المراحل الأخرى، فقد شهدت هذه المرحلة ارتفاعا ملحوظا في معدل الخام للولادات، فإذا ما قارننا عدد المواليد من الفترة 2001 إلى 2010 فإننا نجد تزايد في المواليد، فقد ارتفع العدد من 618380 مولود في سنة 2001 إلى 888000 مولود سنة 2010 بزيادة المقدرة بـ 269620 مولود خلال هذه الفترة، وعلى الأرجح هذه الزيادة في عدد المواليد راجعة إلى زيادة في عدد الزيجات في الفترة ما بين 2000 إلى 2010 حيث انتقلت من 177548 إلى 345000⁽²⁾، بزيادة مقدرة بـ 3.74 نقطة بمعدل 64% خلال هذه الفترة، ربما نرجع أسباب هذه الزيادة إلى التحسن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية التي كان لها تأثير في السلوك الديموغرافي للسكان.

¹ - الديوان الوطني للإحصائيات للمسح الوطني متعدد المؤشرات MICS3 الجزائر لعام 2006 (تقرير أولي)، الجزائر 2007، ص 59.

² الديوان الوطني للإحصائيات المعطيات الإحصائية في الجزائر رقم 575 سنة 2010.

3.I. تطور الخصوبة (المؤشر التركيبي للخصوبة ISF) في الجزائر:
تعد الخصوبة أحد المقاييس الهامة في الدراسات السكانية، وهي تتأثر بعوامل عديدة اجتماعية منها واقتصادية وحتى سياسية.

إن مؤشر الخصوبة الإجمالي ISF هو أكثر المقاييس توضيحا للخصوبة، وهو عبارة عن عدد المواليد على مجموع الإناث في سن الإنجاب (15-49 سنة)، وهذا المعدل يعطي عدد المواليد الأحياء لكل امرأة في سن الإنجاب.

لقد عرفت الخصوبة في الجزائر انخفاض محسوس بعد الاستقلال، خاصة في فترة 1990، حيث انخفض مؤشر الخصوبة الإجمالي (عدد المتوسط الأطفال /للرأة) من 7.8 طفل/للرأة سنة 1970 إلى 6.24

طفل /للرأة سنة 1985 ليصل إلى 2.74 طفل/ للمرأة سنة¹2008 أي انخفاض بما يقارب 4 أطفال في الفترة 1985-2008، بعد ما كان أقل من طفلين في الفترة 1970-1985.

وحسب المعطيات الإحصائية نجد أن هناك انخفاض طفيف في مؤشر الخصوبة الإجمالي، 4،2 و 3،2 ما بين 2007-2009، ثم إلى 2،2 طفل للمرأة الواحدة مع 2012².

إن هذا الانخفاض الملحوظ في مؤشر الخصوبة الإجمالي راجع إلى عدة عوامل نذكر منها:

- استخدام الأزواج للطرق لمنع الحمل باختلاف أنواعها، هي من بين الأسباب الرئيسية التي أترت في انخفاض معدل الخصوبة، حيث قدر معدل استخدام النساء في سن الإنجاب لموانع الحمل بأكثر من 61% سنة 2006، بعدما كان يقدر بـ 8% سنة 1970³.

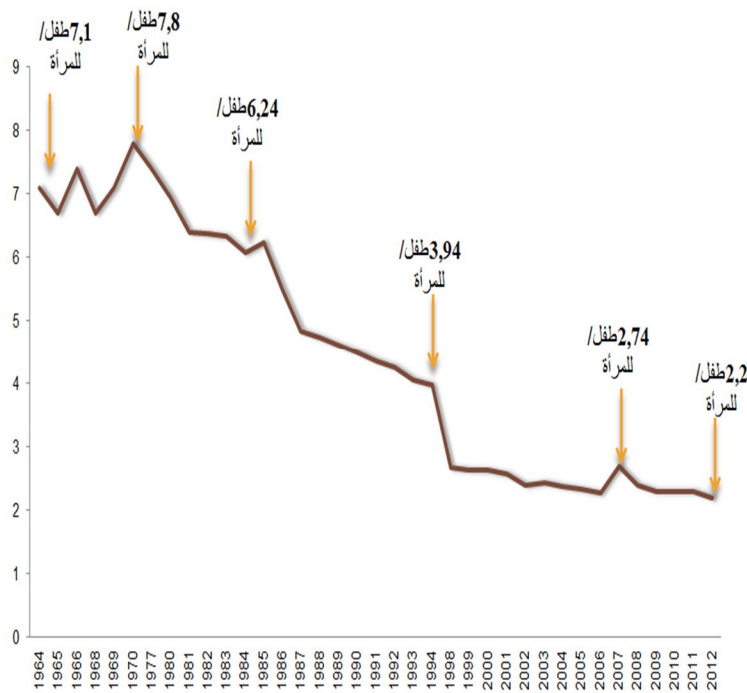
¹الديوان الوطني للإحصائيات، المجموعة الإحصائية رقم 156، المواليد والخصوبة والإنجاب في الجزائر، الجزائر 2011.

²صندوق الأمم المتحدة للطفولة، وضعية الطفل في العالم سنة 2013، نيويورك، على الموقع الإلكتروني www.unicef.org

³الديوان الوطني للإحصائيات، المسح الوطن متعدد المؤشرات MICS3 الجزائر لعام 2006 (تقرير أولي)، الجزائر 2007، ص59.

- إضافة إلى تأخر سن الزواج بالنسبة لكلا الجنسين، فبالنسبة للإناث كان يقدر سن الزواج في تعداد 1966 ب 18.3 سنة ليصل في آخر تعداد إلى 29.3 فقد خسرت المرأة في الجزائر ما يقارب 11 سنة من عمرها الإنجابي.

التمثيل البياني رقم 03: تطور مؤشر الإجمالي للخصوبة في الجزائر من 1962 وإلى يومنا هذا.



المصدر: تم التمثيل البياني بالاعتماد على معطيات الملحق رقم 02

4.I تطور البنية السكانية حسب العمر والجنس في الجزائر:

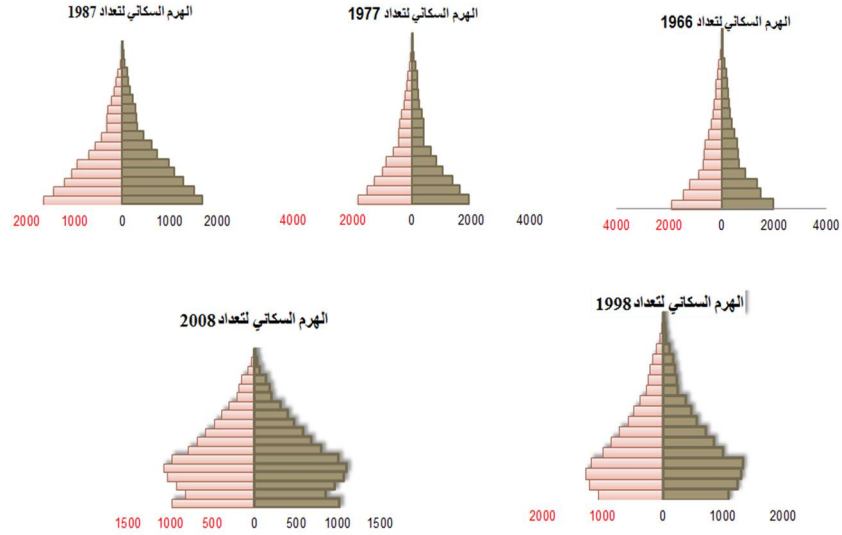
إن من بين خصائص السكان العمر والجنس، فكلاهما مهم بسبب علاقتهما بالمتغيرات السكانية الأخرى كالوفيات والأمراض والخصوبة والهجرة¹.

¹ - فوزي عيد سهاونة وموسى عبودة سمعة، جغرافية السكان، قسم الجغرافيا، جامعة الأردنية، 2002، ص58.

تحظى هذه الدراسة أهمية كبيرة في الدراسات السكانية، حيث تعد المصدر الأساسي للمخططين في كافة المجالات التعليمية، الصحية، الاقتصادية والاجتماعية.

فلا يمكن أن يتخذ قرار تخطيطي في هذا المجال دون معرفة أعداد الذكور والإناث والفئات العمرية في المجتمع.

التمثيل البياني رقم 04: الأهرامات السكانية للتعدادات المنجزة في الجزائر بعد الاستقلال.



المصدر: تمثيل بياني بالاعتماد على معطيات الديوان الوطني للإحصائيات

التمثيل البياني لتعدادات الخمسة المنجزة بعد الاستقلال في الجزائر، يوضح لنا ما مدى شبابية السكان، فمن خلال مقارنة هذه الأهرامات يظهر لنا بأن الهرم السكاني الخاص بكل من التعدادات 1966-1977-1987 يتميز بقاعدة واسعة، بينما الهرم السكاني الخاص بتعداد 1998 يتميز بتقلص قاعدته، في حين الهرم السكاني لتعداد الأخير ل 2008 يتميز بتساع قاعدة، وهذا راجع إلى زيادة في الفئة العمرية 0-4 سنة حيث

زادت بنسبة 7% التي يمكن إرجاعها إلى زيادة عدد الزيجات وبالتالي زيادة عدد المواليد، التي بدأت في الانخفاض ابتداء من تعداد 1987.

الجدول رقم 01: البنية السكانية حسب الفئات العمرية الكبرى:

سنة التعداد	الأقل من 15 سنة	15-64 سنة	65 سنة فما فوق	نسبة الإعالة=2/(3+1)
1966	47%	48%	4%	107%
1977	48%	48%	4%	108%
1987	44%	52%	4%	93%
1998	36%	60%	4%	68%
2008	28%	67%	5%	50%

المصدر: الديوان الوطني للإحصائيات

بتحليل معطيات الجدول يتبين لنا أن سكان الجزائر معظمه فتي، أي أنه يتميز بطاقة بشرية فنية معتبرة.

فبالنسبة للفئة العمرية الأولى التي تمثل فئة السكان الأقل من 15 سنة، فقد شهدت انخفاض ملحوظ في كل من تعداد 1998 و2008، حيث انتقلت من 48% في تعداد 1977 لتصل إلى 28% في تعداد 2008، فقد انخفضت هذه الفئة بـ 20 نقطة، وهذا راجع إلى عدة أسباب كتأخر سن الزواج بالنسبة لكلا الجنسين والأثر الفعال لسياسة التحكم في النمو السكاني على تخفيض معدلات الخصوبة والولادات.. الخ.

-أما الفئة العمرية النشيطة (15-64 سنة)، فقد شهدت ارتفاعا ملحوظ من أول تعداد إلى غاية آخر تعداد، حيث ارتفعت من 48% في تعداد 1966 إلى 68% في تعداد 2008، أي بزيادة مقدرة بـ 20 نقطة، وهذا يعني أن احتياطي اليد العاملة لازال كبيرا، وأن عدد الشباب المؤهل للانضمام إلى سوق العمل يزداد سنة تلوى الأخرى.

-أما الفئة العمرية الأخيرة المتمثلة في كبار السن فلم تشهد أي تغييرات فقد احتفظت تقريبا بنسبتها في معظم التعدادات 4% مع ارتفاع طفيف بنقطة واحدة في تعداد 2008.

-بالنسبة لمعدل الإعالة الذي يتمثل في ما مدى تحمل الفئة النشيطة (15-64 سنة) للفئة المستهلكة (فئة الأقل من 15 سنة والفئة +65 سنة)، ما ميز السنوات الأولى للاستقلال ارتفاع كبير لمعدل الإعالة، حيث كان يفوق نسبة 107%، أليشهد انخفاض تدريجي من تعداد 1987 حيث قدر ب93%، وتعداد 1998 ب68%، ليصل إلى 50% في تعداد 2008.

II. تطور النمو الحضري في الجزائر

II.1. الكثافة والتوزيع السكاني في الجزائر:

إن تمركز السكاني في الجزائر معظمه في الشمال وبالخصوص على الشريط الساحلي الذي يطل على البحر الأبيض المتوسط، والذي يمتد من الشرق إلى الغرب على مساحة ما بين 50 و100 كلم وتقدر مساحته ب45000 كلم² بنسبة 1.9% من مساحة التراب الوطني، حيث يتمركز في هذه المنطقة نسبة 36% من مجموع السكان الجزائر بكثافة قدرها (274/ن/كم²)، تحتوي على أراضي زراعية خصبة وكل الهياكل المتعلقة بالنقل والمواصلات والمنشآت الاقتصادية والاجتماعية.

المنطقة الثانية هي بمنطقة التل والهضاب العليا، التي تقع ما بين سلسلة الأطلس التلي شمالا والأطلس الصحراوي جنوبا مساحته 255000 كلم² بنسبة 10.7% من التراب الوطني، ونسبة السكان فيه 53% من سكان الجزائر بكثافة مقدرة 70.6 (ن/كم²)، ما يميز هذه المنطقة، أنها منطقة رعوية وتمارس فيها الزراعة القمح والحبوب.

المنطقة الثالثة تمثل الصحراء التي تتميز باتساع المساحة المقدر ب2 مليون كلم² 87% من التراب الوطني، بعدد سكان جد قليل 3.5 مليون نسمة حسب تعداد 2008 نسبة 10.9% من مجموع السكان، والكثافة جد ضعيفة 1.8 ن/كلم².

من خلال الجدول نلاحظ أن عدد السكان الخاص بكل منطقة في تزايد مستمر وهذا في كل ثلاث تعدادات الأخيرة.

لقد سجلت المنطقة الساحلية زيادة قدرها 2.1 مليون شخص في الفترة 1998/1987، مقابل 1.34 مليون شخص في الفترة 2008/1998.

المنطقة التلية والهضاب العليا، فقد سجلت زيادة 3.16 مليون شخص و2.7 مليون شخص في نفس الفترة منطقة الجنوب، لم تسجل زيادة سوى ب 799000 شخص و927000 في نفس الفترة.

الجدول رقم 02: التوزيع السكان وكثافتهم حسب المناطق الرئيسية في الجزائر

المناطق	المساحة (كم ²) %	عدد السكان بالآلاف وب%			الكثافة السكانية (عدد السكان / كم ²)			معدل النمو السنوي
		2008	1998	1987	2008	1998/1987	2008	
المنطقة الساحلية	45000 1.90%	12342 36.2%	11000 37.8%	8904 38.6%	197.8	244.4	274	1.7
منطقة التل والهضاب العليا	255000 10.70%	18010 52.9%	15300 52.6%	12145 52.7%	47.6	60	70.6	1.67
المنطقة الصحراوية	2081000 87.40%	3728 10.9%	2801 9.6%	2002 8.7%	1	1.4	1.8	2.94
المجموع	2381471 100%	34080 100%	29100 100%	25038 100%	9.7	12.2	14.3	1.61

المصدر: المجموعة الإحصائية رقم 163، الإطار الحضري التعداد الخامس 2008، الجزائر 2011، ص 11.

أما فيما يتعلق بالكثافة فهي تختلف من منطقة إلى أخرى بالاختلاف العوامل المتحكمة في توزيع السكان. فالمنطقة الساحلية دائما تسجل أعلى كثافة في جميع التعدادات 197.8 ن/كم² في تعداد 1987 و244.4 ن/كم² في تعداد 1998 لتصل في آخر تعداد إلى 274 ن/كم² وتليها منطقة الهضاب العليا ب 47.6 ن/كم² في تعداد 1987 و60 ن/كم² في تعداد 1998 ثم 70.6 ن/كم² في 2008 بينما الصحراء لا تتجاوز فيها الكثافة 2 ن/كم².

إن الارتفاع في الكثافة السكانية التي تشهدها المناطق الساحلية بالمقارنة مع المناطق الأخرى راجعة إلى عدة عوامل هي:

* الموقع الجغرافي الهام الذي تحتله المنطقة من اعتدال المناخ ووفرة تساقط الأمطار، بالإضافة إلى توفر المنطقة على الأراضي الزراعية الخصبة في كل من (سهل متيجة وسهل وهران وعنابة)، بالإضافة إلى وفرتها على الشبكة المائية بنسبة 60% من حجم الموارد وهي تتوزع بنسب مختلفة 41% في الشرق، 24% في الوسط و18% في الغرب⁽¹⁾، فالعامل الطبيعي هنا كان له دور في جذب عدد السكان.

* إضافة إلى تمركز مختلف المشاريع التنموية في المنطقة، واحتوائها على مرافق اقتصادية واجتماعية وإدارية هامة، بحيث تتركز فيها أهم الصناعات الثقيلة وهذا في كل من (عنابة وجيجل)، و الكيماوية في (سكيكدة والعاصمة) والبتروكيماوية في (وهران وأرزيو)، مما جعل من هذه المنطقة كنقطة استقطاب للسكان.

II.2. تطور سكان المدن في الجزائر:

الجزائر كباقي البلدان العالم الثالث شهدت مدنها نموا حضريا كبيرا، واستقطابا هائلا للسكان، فأثناء فترة الاستعمار كان معظم سكان الجزائر سكان الأرياف بحيث كانت نسبة التحضر تقدر ب14% سنة 1886 لترتفع تدريجا إلى 25% سنة 1954، و31% سنة 1966 بعد الاستقلال وهذا بسبب ظاهرة النزوح الريفي التي تعود جذوره الأولى إلى فترة الاستعمار، فالموجة الأولى للهجرة الريفية نحو المدن كانت جراء الحملة التي قامت بها السلطات الفرنسية من تدمير القرى والاستيلاء على ملكية الأراضي وتطبيق سياسة الأرض المحروقة، مما أدى بالفلاحين والسكان المحليين بالهجرة نحو المدن.

المجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي، دراسات حول السياسة السكانية، إصدار المجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي، 1996، الجزائر، ص 120..

إضافة إلى الموجة الثانية التي رافقت السنوات الأولى من الاستقلال وكان معظم النازحين ريفيين ولاجئين كانوا في البلدان المجاورة (تونس، المغرب) لأخذ مكان المعمرين⁽¹⁾.

الجدول رقم 03: تطور نسبة سكان المدن والأرياف في الجزائر

السنوات	سكان المدن	سكان الأرياف	مجموع السكان	نسبة المدن	سكان
1886	523431	3228606	3752037	14%	
1906	783090	3937884	4720974	17%	
1926	1100143	4344218	5444361	20%	
1931	1247731	4654288	5902019	21%	
1936	1431513	5078125	6509638	22%	
1948	1838152	5948939	7787091	24%	
1954	2157938	6456766	8614704	25%	
1966	3778482	8243518	12022000	31%	
1977	6686785	10261215	16948000	39%	
1987	11444249	11594693	23038942	50%	
1998	16966937	12133936	29100873	58%	
2008*	23 870 000	10 230 000	34100000	70%	

المصدر: الديوان الوطني للإحصائيات، المجموعة الإحصائية رقم 97، الإطار الحضري لرابع تعداد في الجزائر 1998، ص12.

الجريدة الرسمية، القانون رقم 10-02 حول المخطط الوطني للتهيئة العمرانية 2011.

من خلال معطيات الجدول شهد معدل التحضر في الجزائر بعد الاستقلال ارتفاعا مستمرا بنسبة 40% سنة 1977 و50% سنة 1987 إلى 58% سنة 1998 ويبلغ أقصاه 70% في التعداد الأخير 2008، وهذا راجع إلى الحركة الواسعة للسكان التي صاحبت انطلاقة التصنيع والتنمية في المدن الجزائرية وهذا خلال فترة السبعينيات الثمانينات أما في عشرية التسعينيات فقد شهدت ظاهرة ارتفاعا كبيرا بسبب انعدام الأمن والاستقرار في المناطق الريفية.

¹عبد القادر جغلول، تاريخ الجزائر الحديث، دراسة سوسيوولوجية، ترجمة فيصل عباس، بيروت، دار الحدائق الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، ط3، 1983، ص225-226

3.II. تطور التجمعات السكنية الحضرية:

لقد شهدت التجمعات الحضرية في الجزائر من الاستقلال إلى يومنا هذا زيادات كبيرة، فقد انتقل العدد من 211 وحدة في تعداد 1977 إلى 751 وحدة في آخر تعداد 2008 بزيادة قدرها 540 تجمع حضري جديدة، منها زيادة 236 وحدة في الفترة (1987/1977)، و132 وحدة في الفترة (1998/1987)، و172 وحدة في الفترة (2008/1998) وهذا ما يمثله الجدول أدناه.

الجدول رقم 04: تطور التجمعات الحضرية في الجزائر

السنوات	عدد التجمعات الحضرية	فارق عدد التجمعات
1977	211	-
1987	447	236
1998	579	132
2008	751	172

المصدر: المجموعة الإحصائية رقم 163 الإطار الحضري في الجزائر للتعداد الخامس 2008

إن هذا التطور السكاني والعمراني راجع إلى تدخلات التي قامت بها الدولة على المجال وهذا بتوظيف مختلف الأنشطة الصناعية والتجارية في المراكز الحضرية أين الظروف مشجعة للتطور الصناعي والتنمية، مما جعلها المقصد الوحيد للسكان.

4.II. النمو السكاني للمراكز الحضرية الكبرى في الجزائر:

تعتبر ظاهرة النمو السريع للمدن في البلدان النامية من أبرز الظواهر السكانية التي تلت أعقاب الحرب العالمية الثانية، والجزائر من بين البلدان النامية التي شهدت ديناميكية سكانية كبيرة في المدن وخاصة بعد الاستقلال.

فمن الجهة الديموغرافية ساهمت كل من الزيادة الطبيعية والهجرة الداخلية في التحول الكبير للمدن وخاصة الكبرى منها، أما من الجهة الاقتصادية فقد كان للمنشآت الصناعية والاقتصادية إضافة إلى توفر معظم المرافق الاجتماعية والثقافية وكل الضروريات المعيشية الدور الفعال في استقطاب

عدد كبير من سكان الريف نحوها، فقد امتصت كل من المدن الساحلية:
الجزائر العاصمة – وهران-أرزيو ومثلث

الشرق: قنسطينية، عنابة، سكيكدة أكثر من 75% من الاستثمارات، وأكثر
من 60% من مناصب العمل الغير أفلحي الموفرة ما بين 70-73⁽¹⁾

الجدول رقم 05: تطور النمو السكاني ونسبة التحضر في المراكز
الحضرية الكبرى حسب التعدادات 1987-1998-2008

المدن	تعداد 1987	تعداد 1998	تعداد 2008	السكان ب%			نسبة التحضر		
				39%	43%	43%	98%	91%	94%
الجزائر العاصمة	1688005	2562428	2988145	21%	20%	21%	90%	88%	92%
وهران	930481	1213839	1454078	15%	14%	14%	86%	87%	89%
قنسطينية	662588	810914	938475	10%	9%	9%	81%	81%	84%
عنابة	455287	557818	609499	14%	13%	13%	46%	52%	57%
سكيكدة	621546	786154	898680	100%	100%	100%	100%	85%	87%
المجموع	4357907	5931153	6888877						

المصدر: الديوان الوطني للإحصائيات، المجموعات الإحصائية رقم
04،97،163، الإطار الحضري في الجزائر للتعداد الإطار الحضري في
الجزائر للتعداد الثالث والرابع والخامس.

من خلال معطيات الجدول والتمثيل البياني الخاص به، نجد بأن الجزائر
العاصمة تعتبر من أهم المراكز الحضرية في الجزائر استقطابا للسكان،
فهي تمثل أعلى نسبة من حيث عدد السكان ونسبة التحضر في المراكز
الحضرية الكبرى، بحيث قدرت نسبة السكان 43% من مجموع سكان
المراكز الحضرية الكبرى فقد ارتفعت النسبة ب4 نقاط من تعداد 1987
إلى 2008، وهذا راجع كما قلنا إلى الموقع الاستراتيجي الهام التي تحتله
كونها عاصمة البلاد وتحتوي على كل المنشآت الاجتماعية والاقتصادية
التي تجعل منها دائما المقصد الأساسي للسكان لهذا نجد فيها نسبة التحضر
مرتفعة وهذا تقريبا في معظم التعدادات المنجزة التي تقدر ب94%.

أوراغ الحسين، الاقتصاد الجزائري على أساس الديموغرافيا، المعهد الوطني للدراسات
الديموغرافية، INED، 1996، ص 188.

فبعد العاصمة نجد ولاية وهران التي تحتل المرتبة الثانية في نسبة السكان المراكز الحضرية بنسبة 21% ونسبة التحضر التي تفوق هي أيضا 90%، ثم تليها كل من ولاية قسنطينة وسكيكدة و عنابة.

III. انعكاسات النمو الحضري في الجزائر

الجزائر كباقي البلدان العربية شهدت مدنها نموا سريعا في ظل التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي شاهدها البلاد، فبعد أن كان السكان يمثل أغلبية ريفية بعد الاستقلال، أصبح الآن يمثل 70% من سكان المدن، فهذا التحول الكبير الذي شهده المجتمع له تأثير كبير على التنمية سواء على مستوى المدينة أو الريف على حد سواء، من هنا سنحاول الإلمام بأهم التأثيرات السلبية لهذه الظاهرة

1.III. مشكلة تضخم المدن:

بدأت هذه الظاهرة في الجزائر في سنوات 1980، نتيجة الحركة الكبيرة للنزوح الريفي من جراء مشاريع التنمية الاجتماعية والاقتصادية التي استفادت منه معظم المدن الشمالية في البلاد و، بالإضافة إلى حركة التصنيع التي عرفتها البلاد.

كل هذا له بالغ التأثير على تضخم المدن وعدم قدرتها على استيعاب عدد كبير من النازحين من الأرياف، فمثلا: الجزائر العاصمة تعتبر اكبر المدن الجزائرية من حيث عدد السكان بالمقارنة مع مساحتها التي تعتبر أصغر مساحة، حيث قدر عدد سكانها ب 3 ملايين نسمة تقريبا، وبكثافة سكانية مقدرة ب 3666 ن/كم²، لا ننسى أيضا باقي المدن الأخرى كوهان وقسنطينة و عنابة التي تعاني أيضا من نفس المشكل.

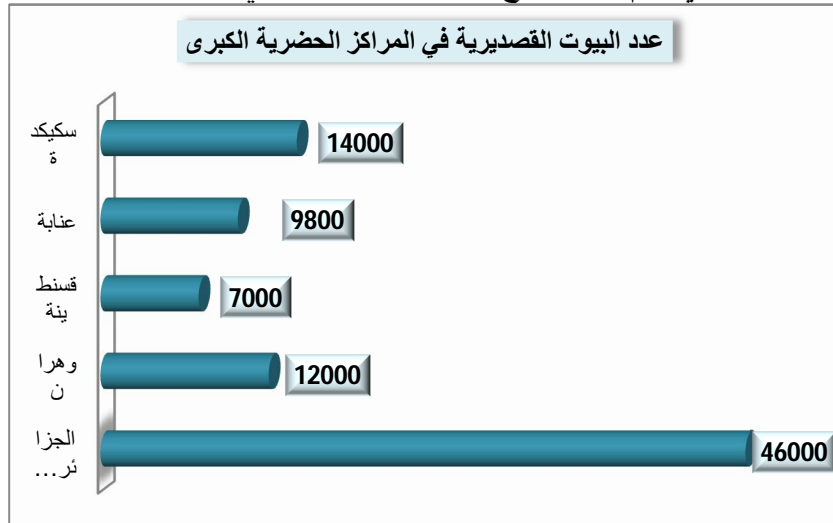
2.III. أزمة السكن:

إن معدل الإشغال في المسكن (TOL) أو عدد الأشخاص المقيمين في سكن واحد، هو أحد المعايير الرئيسية لتقييم تطور السكن، بالنسبة للجزائر يعتبر ايجابي وهذا بتراجع معدل الإقامة من 7.15 شخص في مسكن واحد في تعداد 1998 إلى 6.42 شخص في مسكن واحد في تعداد 2008، غير أن هذا المعدل لا يقدم لنا معلومات كافية عن ظروف السكن سواء من الناحية الكمية أو النوعية⁽¹⁾.

⁽¹⁾ الجمعية العامة للأمم المتحدة، تقرير حول السكن اللائق في الجزائر، ديسمبر 2011، ص10

زيادة النمو السكاني وتركزهم في المناطق التالية (الشمالية) التي تؤوي أهم المدن الرئيسية (الجزائر العاصمة-وهران-قسنطينة-عنابة)، بحيث بلغ تنسبه السكان هذه المنطقة في 2008 نسبة 64% من مجموع الإجمالي للسكان في مساحة لا تشكل سوى 4%، بالإضافة إلى ظاهرة النزوح الريفي نحو هذه المدن بسبب تردي المستوى المعيشي وقلة العمل وضعف دخل السكان في الأرياف كل هذا زاد من حدة مشكلة السكن في هذه المناطق، فقد عجزت هذه المدن عن توفير السكن للعدد الهائل من السكان مما أدى إلى ظهور عدد كبير من الأحياء القصديرية التي تظهر على ضواحي هذه المدن كالفطريات، والمسكن العشوائية التي تفتقر لأدنى شروط الحياة الكريمة، بحيث بلغ عدد المساكن الغير اللائقة حسب آخر إحصاء قدمته الحكومة سنة 2009 بـ 554000 مسكن بنسبة 8% من مجموع المساكن⁽¹⁾.

التمثيل البياني رقم 05: توزيع الأحياء القصديرية في المدن الكبرى



المصدر: التمثيل البياني بالاعتماد على معطيات الديوان الوطني للإحصائيات، المجموعة الإحصائية رقم 142 (تعداد العام للسكان والسكن 2008

⁽¹⁾ الفيدرالية الدولية لحقوق الإنسان، تقرير عن حالة حقوق الاقتصادية والاجتماعية في الجزائر، مطبعة الفيدرالية، 2010، ص18

من خلال هذا نجد أن أهم المراكز الحضرية هي التي تمثل أكبر عدد للبيوت القصدية على المستوى الوطني فهي لا تزال تعتبر كمركز استقطاب كونها تحتوي على أهم المنشأة الاقتصادية، فهذا المشكل الكبير الذي تعاني منه هذه المدن ينتج عنه تمزق نسيجها العمراني وتآكله، مما يؤدي إلى عرقلة التنمية الحضرية والتنمية العامة، وحصول ما يسمى بظاهرة " تريف" المدينة¹.

3.III. تدني المستوى المعيشي:

إن التباين في التوزيع السكاني في الجزائر يزيد من تفاقم مشكلة البطالة في التجمعات السكانية الكبيرة، مما يؤدي إلى ضغوطات كبيرة على سوق العمل فيها، بحيث تصبح غير قادرة على استيعاب إضافات جديدة لقوة العمل، لأن مجالات التشغيل فيها لا تتسع لجميع السكان حيث تقدر نسبة البطالة في المناطق الحضرية ب 10% مقابل 8% في المناطق الريفية² تمس هذه الظاهرة فئة الذكور أكثر من الإناث في هذه المناطق، فمن هنا تصبح المدن عاجزة تماما عن القيام بمهامها ودورها في تلبية الخدمات الاجتماعية والاقتصادية، مما ينتج عنه تدني المستوى المعيشي للسكان وخاصة النازحين من المناطق الريفية، وهذا يؤدي إلى انتشار وتفاقم المشاكل الاجتماعية، كالمخدرات والسرقة، وتدني خدمات التعليم والصحة وارتفاع نسب الرسوب المدرسي وعمل الأطفال فمثلا: الشباب العاطل عن العمل هو الفئة الأكثر عرضة لتعاطي المخدرات حيث أظهرت الهيئة الوطنية لمكافحة المخدرات أن 84.85% من الأشخاص الذين يتعاطون المخدرات في الجزائر هم اقل من 35 سنة³.

4.III. من الناحية البيئية:

يؤدي تركيز السكان وتوسعه في منطقة معينة إلى تشكيل تأثيرات سلبية على المحيط البيئي الذي يعيش فيه، فحسب معطيات التقرير العالمي

¹رضا سلاطنية، التنشئة الاجتماعية في الأحياء العشوائية، المركز الجامعي سوق أهراس، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد السابع جانفي 2012، ص200

² - سليم عقون، قياس المتغيرات الاقتصادية على معدلات البطالة في الجزائر، مذكرة الماجستير في علوم التسيير، جامعة فرحات عباس، سطيف 2010 ص 80

³المجلس الأوروبي، ملتقيات تكوينية حول مكافحة والوقاية من المخدرات، ص27 على الموقع الإلكتروني

لتنمية البشرية لسنة 2011 تقدر نسبة التلوث في المراكز الحضرية في الجزائر ب 69 ميكرو غرام في المتر المكعب¹ وأهم هذا التلوث:

(1) تلوث الهواء²:

تعاني المراكز الحضرية الكبرى في الجزائر من تلوث الهواء بنسب كبيرة من الغازات السامة التي تفرزها السيارات والحركة المرورية الغير المنتظمة، كالرصاص وثاني أكسيد الكربون وأكسيد الأوزون، فمثلا: السيارات المتواجدة في العاصمة تنتج حوالي 5 إلى 10 طن من الرصاص الذي ينتشر في الهواء.

فهذه الغازات تؤدي إلى الإصابة بالأمراض الربو والحساسية نسبة 5% منها تصنف بأنها خطيرة، بحيث تقدر نسبة السكان الذين يعانون من هذه الأمراض 15%، وتسجل سنويا 48 ألف إصابة أغلبها في المدن الكبرى⁽³⁾.

(2) تلوث المحيط بالنفايات المنزلية:

إن ما يتسبب عن النمو السكاني في المدن الكبرى (وهران - الجزائر العاصمة)، هو فرز نفايات منزلية التي تلحق أضرار كبيرة بالمحيط البيئي، بحيث يبلغ الإنتاج الفردي للنفايات في هذه المدن ب 1.2 كلغم يوميا، وتقدر الكمية المتولدة عن هذه الكمية سنويا ب 5.2 مليون طن ما يعادل 10.5 مليون متر³، مما ينجر عنه تلوث المحيط وانتشار الأمراض.

(3) التراجع المساحات الصالحة للزراعة:

تعاني معظم المناطق الشمالية من مشكل الزحف العمراني وتحويل الأراضي عن طابعها الزراعي، وهذا بما يسمى قانونيا بالتعدي على العقار الفلاحي، الذي ابتلع ما يقارب 130 ألف هكتار من الأراضي الخصبة وهذا ما يؤثر على تقلص الإنتاجية للأراضي الفلاحية.

¹ برنامج الأمم المتحدة للتنمية، التقرير العالمي للتنمية البشرية 2011، نيويورك، ص 167.

² مركز الوطني للتعليم والتكوين عن بعد، على الموقع www.onfed.dz

³ جريدة الخبر العدد 4714 بتاريخ 2008/5/28

الخاتمة

على ضوء هذه المساهمة يمكن القول أن التطور الديمغرافي والتطور الحضري يشكلان أهمية كبيرة في الجزائر، أين نلاحظ نقص واضح في السياسات الاجتماعية وخاصة الاقتصادية منها منذ الثمانينات.

- من هنا، يمكن طرح تساؤلات موجهة إلى السلطات السياسية المعنية:
- كيف يمكن توزيع الاستثمارات الاقتصادية على مختلف القطاعات، للاستدراك عدم التوازن ما بين الحضر والريف.
- كيف نستطيع خلق توازن سوق ضخم للسكن مع إشكالية التحضر.
- كيف يمكن الحد من الهجرة الداخلية.
- إن إخفاق السياسات الاقتصادية والاجتماعية ستمنع أخذ بعين الاعتبار إشكالية التضخم السكاني والهجرة الداخلية والتحضر.

قائمة المصادر والمراجع

- *استاذة بقسم الديمغرافيا، جامعة وهران 2، محمد بن أحمد
- **طالبة في طور تحضير أطروحة الدكتوراة بقسم الديمغرافيا
- 1- أوراغ الحسين، الاقتصاد الجزائري على أساس الديموغرافيا، المعهد الوطني للدراسات الديموغرافية، 1996INED
- 2- فوزي عيد سهاونة وموسى عبودة سمعة، جغرافية السكان، قسم الجغرافيا، جامعة الأردنية، 2002
- 3- عبد القادر جغلول، تاريخ الجزائر الحديث، دراسة سوسولوجية، ترجمة فيصل عباس، بيروت، دار الحدائق الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، ط3، 1983
- 4- الجمعية العامة للأمم المتحدة، تقرير حول السكن اللائق في الجزائر، ديسمبر 2011
- 5- الفيدرالية الدولية لحقوق الإنسان، تقرير عن حالة حقوق الاقتصادية والاجتماعية في الجزائر، مطبعة الفيدرالية، 2010،
- 6- رضا سلاطونية، التنشئة الاجتماعية في الأحياء العشوائية، المركز الجامعي سوق أهراس، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد السابع جافني 2012
- 7- المجلس الأوروبي، ملتقيات تكوينية حول مكافحة والوقاية من المخدرات، ص27 على الموقع الإلكتروني
- 8- الديوان الوطني للإحصائيات، المسح الوطني متعدد المؤشرات MICS3 الجزائر لعام 2006 (تقرير أولي)، الجزائر 2007.
- 9- الديوان الوطني للإحصائيات، المجموعات الإحصائية، الإطار الحضري في الجزائر للتعداد 3 و4 و5
- 10- صندوق الأمم المتحدة للطفولة، وضعية الطفل في العالم سنة 2013، نيويورك، على الموقع الإلكتروني www.unicef.org.
- 11- المجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي، دراسات حول السياسة السكانية، إصدار المجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي، 1996، الجزائر.

12- برنامج الأمم المتحدة للتنمية، التقرير العالمي للتنمية البشرية 2011، نيويورك على الموقع الإلكتروني [www. PNUD.org](http://www.PNUD.org)

قائمة الملاحق

ملحق رقم 01: تطور سكان الجزائر ابتداء من تعداد 1845

سنة التعداد	عدد السكان بالآلاف	سنة التعداد	عدد السكان بالآلاف
1911	4741	1845	2028
1921	4923	1851	2324
1926	5151	1856	2310
1931	5588	1861	2737
1936	6201	1866	2656
1948	7460	1872	2134
1954	8745	1876	2479
1966	12096	1881	2842
1977	16063	1886	3287
1987	22882	1891	3577
1998	29272	1896	3781
2008	34080	1901	4089
		1906	4478

2-ONS، 'Récapitulatives statistiques 1970-1996، Alger 1999، p 5، 6، 7، 15.

ملحق رقم 02: تطور مؤشر الخصوبة الكلي في الجزائر

السنوات	مؤشر الخصوبة الكلي	السنوات	مؤشر الخصوبة الكلي
1992	4'26	1964	7'1
1993	4'06	1965	6'7
1994	3'97	1966	7'4
1998	2'67	1968	6'7
1999	2'64	1969	7'1
2000	2'63	1970	7'8
2001	2'57	1977	7'4
2002	2'4	1980	6'96
2003	2'44	1981	6'4
2004	2'38	1982	6'37
2005	2'33	1983	6'33
2006	2'27	1984	6'07
2007	2'7	1985	6'24
2008	2.74	1986	5'5
2009	4'2	1987	4'84
2010	3'2	1988	4'73
2011	3'2	1989	4'61
2012	2'2	1990	4'5
		1991	4'36

المصدر: من 1964 إلى 2007، الديوان الوطني للإحصائيات، المنشورات الإحصائية السنوية في الجزائر.

- 2008 الديوان الوطني للإحصائيات، المجموعة الإحصائية رقم 156 الولادات الخصوبة والإنجاب في الجزائر، 2011.
- 2009 البنك الإفريقي، التقرير الإحصائي السنوي لبلدان إفريقيا 2010، site، www.africa-union.org
- من 2010 إلى 2012 صندوق الأمم المتحدة للطفولة، على الموقع www.unicef.org

المواطنة آفاق الإجماع السياسي والرباط الاجتماعي في الجزائر

د. بلخير بومحرات

قسم علم الاجتماع-كلية العلوم الاجتماعية-جامعة وهران 2

Citizenship prospects for political consensus and social ligament in Algeria

This article aims to provide an analysis sociological contribution to the concept of citizenship in Algeria. The object of citizenship will be contributed both as a theoretical and analytical tool and as a parameter for analyzing democratic manifestations in the Algerian state. What makes citizenship a decisive and essential factor in achieving a solid and faithful social bond⁶ and also⁶ in order to realize a political based on the rights and duties of each citizen⁶ in accordance with the Constitution. This approach has enabled us to arrive at interesting conclusions from which we can decipher the germs of citizenship as an indispensable parameter for analyzing the emergence of democracy and the premise of political modernity in Algeria.

Key words: Citizenship⁶ political consensus⁶ social solidarity⁶ political identity⁶ the stakes and the challenges of democracy⁶ Prospects political.

تمهيد:

تعد المواطنة من المفاهيم التي لقيت رواجاً هائلاً في العالم، من خلال الأطر القانونية التي تسنها، وتسهر عليها أيضاً منظمات حقوقية وإنسانية تابعة لهيئة الأمم المتحدة، تسعى لمراقبة شرعية الأنظمة السياسية في العالم، إضافة إلى وسائل الإعلام والاتصال التي تنقل البث الحي لواقع العلاقة بين المواطنين والنظام السياسي. فهذا المتغير المتمثل في المواطنة، تصنف الدول وترتب من طرف منظمات عالمية، حسب درجة انفتاح نظامها السياسي. وعنه تعين دوائر لتسمية طبيعة النظام السياسي، ويمكن إيجازها في ثلاث، دائرة النظام الديمقراطي، وهي التي تكون فيها المواطنة تشغل فضاء هاماً في الحقلين السياسي والمجتمعي. دائرة النظام

السائر إلى الديمقراطية، وتكون المواطنة في مرحلة جنينية، تحتاج إلى الوعي والوقت لتتطور ويشتد عودها. وهناك النظام الشمولي وهو المعادي للحرية والإنسانية، ولاختلافات طبائع المجتمع، حيث أن منطقه يقوم على التسلط والدوغمانية.

بالرغم من هذا المكانة الرفيعة التي تحتلها المواطنة في تصنيف الأنظمة السياسية، ورسم معالم السياسة العالمية، إلا أن حضورها على المستوى العربي والجزائر جزء منه، يبقى يشوبها الكثير من الغموض والضبابية، الشيء الذي يستدعي منا التوقف بتأني وروية لفهم ملامحها وحيثيات هذه المسألة، وذلك بالكشف والتعريف على المستوى النظري والتاريخي، لهذا المفهوم ثم الرجوع تارة ثانية إلى الإطار العملي الواقعي الملموس في المجال السياسي العربي، حيث نجد كل الدساتير العربية ومنها دستور الجزائر، يؤكد بكل قوة على عدم المساس بالحرية والممارسة الديمقراطية، التي هي شيء مهم في تكريس قيم المواطنة داخل الفضاء العام.

انطلاقاً من هذه الاعتبارات الجيوسياسية كواقع معاش، والإطار النظري وما يحمل من حزمات مفاهيمية ومداخل فكرية، سنحاول مساءلة الوضع السياسي في الجزائر من خلال تساؤلات هي على النحو الآتي:

انطلاقاً من هذا هل يمكن الحديث عن أزمة مواطنة في المجتمع الجزائري؟ ما هي الرهانات والتحديات الواجب التفكير فيها أحياناً بعين الاعتبار منظومة القيم الحداثية ومنها المواطنة ضمن تزامنية اللحظة المعاشة؟

للإجابة على هذه التساؤلات سيكون شكل المداخلة وفق محورين رئيسيين هما على الشكل التالي:

أولاً: المواطنة ورهانات التجسيد:

ثانياً: المواطنة بين التحدي الديمقراطي والهاجس الديني في الجزائر:

أولاً: المواطنة ورهانات التجسيد:

تعرف المواطنة في شكلها العلائقي، على أنها علاقة بين الفرد والسلطة السياسية محددة بدائرة الحقوق والواجبات منصوص عليها في

الدستور، يكون غايتها إرساء القيم الديمقراطية والإنسانية والتشجيع على السلم والتسامح العالمي. كما أنها تعرف ب"نوعية المواطن. بمعناها الضعيف، هو الانتماء إلى المدينة وإلى الدولة الكفيلة ببناء المواطنة. بالمعنى القوي، هذا لا ينفصل على الممارسة الفعلية في الأعمال العامة. تكون المواطنة المعيار السياسي للوجود، الذي لا يمكن اختزاله في الكل المكون من طرف النشاط الاقتصادي والمجال الاقتصادي" (Godin، C، 2004، p200).

بهذا تكتسي المواطنة إرادة لبلورة مشروع مجتمعي هادف، يعبر عن درجة نضج المجتمع وحدائته من خلال تفاعل مجموعة من البنيات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والدينية، الذي تأتي بالكاد بالدولة المدنية التي تكون المواطنة الوازع والثابت فيها. فبهذا تقوم المواطنة على معايشة المواطن لمواطن آخر، ممكن أن يختلف معه في اللون والعرق والدين واللهجة، لكن يعايشه ويوطنه الوطن، حيث يقاسمه الانتماء والولاء والدفاع عن الوطن، أخذين بعين الاعتبار الاختلافات في الهويات والذات، التي لا تكون وقودا للحرب والفتنة والقتل، بقدر ما تكون عاملا في التعارف والاعتراف، بين هذه التركيبات المجتمعية المختلفة بغية بناء الدولة المدنية، التي تقر بوجود الإنسان، وتبقي على ذاته، وتساهم في الحفاظ على بقائه.

فيهذا تبقى المواطنة نموذج مثالي تقوم عليه معظم الأدبيات السياسية والقانونية والاجتماعية، على أساس أنها ليست وليدة اليوم، بقدر ما هي مسار وسيرورة، تمتد منذ أن نظم الإنسان علاقته بتنظيم المدينة، ووضح فيها دوائر الحقوق والواجبات. لأن الغاية من هذا الطرح الذي يغلب عليه نوع من التعميم هدفه في الحقيقة هو إزالة الفكرة المسبقة، التي ترى أن الإغريق هم المصدر الملهم والأول في إيجاد تنظيم المدينة، وإبداع قيم المواطنة التي تنظمها، متناسيين بقصد أو بغير قصد الثقافات الشرقية، التي لها كلمتها ومكانتها في موضوع تنظيم المدينة وقيم المواطنة. على كل حال إذا ما أردنا تتبع سيرورة المواطنة يمكن أن نربطها بالفترة الإغريقية، حيث أن المواطنين كانوا يجتمعون في الأغورا (Agora)، وهو مكان يجتمع فيه المواطنون لمناقشة أوضاعهم الاجتماعية المتعلقة بتدبير

شؤون المدينة بشكل كلي، على الرغم من أن المواطن كان يشكل أقلية مقارنة بالمجموع الكلي لسكان، حيث كان يستثنى العبيد والنساء والدخلاء عن المدينة. وتطور مفهوم المواطنة إلى أن برز في شكله القانوني فهو مجموعة من الحقوق والواجبات التي تنظم شؤون المدينة بواسطة وجود سلطة سياسة ترعى مصلحة المدينة والأفراد الذين يعيشون فيها.

وبهذا تفرض المواطنة حضورها على جميع البنيات الاجتماعية وتتخذ العديد من الأطر، وعنه سنحصر مجال المواطنة عبر هذه المداخل في إطارين هامين، إطار سياسي واجتماعي وهما على الشكل الآتي:

أ- المواطنة كتنظيم سياسي:

تقوم المواطنة على سلطة القانون والدستور الذي يجعل من المواطنين سواسية من خلال دائرة الحقوق والواجبات، وتضع حد لمنطق العصبية والمحاصصات السياسية، التي تقوم على المنطقة والدين والجاه والعرق كما هو معروف في منطقتنا العربية. فالمواطنة هدفها وضح حد لتمييز والصراع الطائفي، وتدفع بالجميع إلى الإحساس بحق الانتماء للجميع لهذا الوطن والدفاع عنه، والعمل سويا لتطويره والرفي به. وبهذا تكون السلطة السياسة الراعي أو الوازع حسب طرح الخلدوني، التي من خلالها يحمي مشروع المواطنة ويضع حد لكل العقبات والهفوات التي تعمل على تزييفه أو تحريفه ولما لا إغائه. فالمواطنة كي يتجسد عمليا بعيدا عن لغة الشعارات والتمنيات عليها بإيجاد سلطة سياسية تحتكم إلى القانون والشرعية، وتتعد عن فكرة المؤامرة والتآمر والإقصاء والتهميش للمعارضة، وتبقى الحرية هي صمام الأمام لبلورة سلطة سياسية حقيقية تتفاعل مع رهانات ومآلات هذه المواطنة التي تعكس قيم الدولة المدنية التي تقوم على الحرية والعدالة والديمقراطية.

بهذا تكتسب الدولة قوتها ووازعها من خلال الشرعية، التي هي في الواقع عقد بين المواطن والنظام السياسي، يعكس حالة الشفافية ويزرع الثقة بين المواطنين ونظامهم السياسي. وهذا ما يخلق صراع سياسي تنافسي غايته كيفية تحسين الخدمات المجتمعية، والتقدم بالمجتمع رغم الاختلافات الهوياتية. فالمواطنة تقر وتعترف بالاختلافات المتواجدة داخل المجتمع الواحد، وتحمل السلطة السياسية مسؤولية حماية واحترام هذا

التنوع باعتباره مصدر التعارف والتشارك بين الأطياف المجتمعية، وهذا ما يؤدي إلى اغناء وإثراء الرأسمال الثقافي للمجتمع المعبر عنه في إطار التعدد والتنوع المضيف على بعضه البعض، من خلال مؤسسات منتخبة يكون فيها الدستور ديمقراطي، يرسخ نظام سياسي ديمقراطي، يكون القانون هو فيصل القرار، حتى يمكن المواطنين من المشاركة في صنع القرار.

وبالتالي تكون فكرة الدولة المدنية بهذا الطرح قوية، في امتلاك منظومة القيم والمعايير، التي تعمل على ترسيخ فكرة المواطنة، عبر مؤسسات التنشئة الاجتماعية لتقنين دائرة العلاقة بين المجتمعي والسياسي بواسطة تربية الأجيال ومساعدتها للانتقال من الحق الطبيعي إلى الحق المدني، عبر تملك الإنسان سلطة التشريع والمراقبة والتنفيذ واستقلال كل واحدة عن بعضها البعض، وبهذا تكون المواطنة صفة ملازمة لأي دولة مدنية.

ب- المواطنة والتنظيم المجتمعي:

تقوم المواطنة على معايشة المواطن لمواطن ثاني، تختلف عنه في معالم الهوية لكن تشترك معه في الوطن الواحد، وهنا تبرز قضية الانتماء والولاء للوطن، ليس على أساس قواعد هوياتية، بقدر ما يكون الفيصل في هذا عن كيفية الأداء الناجع لخدمة الوطن، وهذا ما يفرز بالكاد قيم إنسانية وأخلاقية وممارساتية تعمل على بلورة مشروع مجتمعي هادف تكون المواطنة الراعي له، والمدافعة عن كل تجاوزات من أي جهة كانت. فتتولد ثقافة مجتمعية من خلال عملية المراقبة والمعاقبة، لمن يتجاوز أطر المحددة التي بها نستطيع حماية النسيج المجتمعي. وهذا ما يخالف النظام الاستبدادي، الذي هو في أبسط تعريفه " هو تفرد في الرأي في شؤون تخص الجماعة، وبالتالي فهو احتكار أو اغتصاب لحق الجماعة في إبداء رأيها، وفي النهاية فهو طغيان واعتداء على الآخر" (الدباغ، ع، 2006، 46).

كما يحضرنا في هذا المقام كتاب لحنة أرندت Hannah Arendt المرجع الهام، الموسوم ب أصول الشمولية والتي ترى أن الشمولية سببها الربح والإمبريالية، ومكانها هو المركز الأوروبي، وضحاياها هم دول الأطراف أو الهامش لهذه المركزية. ونحن بهذا نربط هذه النتيجة بالعالم العربي،

ونؤكد على أن التوسع الغربي ساهم بشكل أو بآخر في تشجيع الاستبداد في الأوطان العربية "فالحالة الإمبريالية على ما تذكر أرندت Hannah Arendt قائمة في جوهرها على مبدأ مراكمة التوسع وتعظيم الربح، فإنها لم تكن معنية بتصدير المؤسسات السياسية المدنية إلى عالم ما وراء البحار بقدر ما كانت معنية بإخضاع السكان المحليين وبسط اليد على الثروة العامة فغاية الإمبريالية كما تقول أرندت الاستيعاب لا الإدماج، وفرض الخضوع لا تحقيق العدل" (بوشلاكة، ر، 2006، 85). وبهذا نستنتج أن الاستبداد له ارتباطات بالدول الغربية، التي كان لها وقع على الدول العربية، الذي يجعل من الثقافة الغربية المركز، وكل من يخالفها يعرض نفسه إلى تصنيفات غير عادلة، كالإرهاب ودول المارقة، ودول التي لا تحتكم إلى شرعية الأمم...إلخ. وهذا ما يؤثر على مسألة المواطنة في تجسيدها في المجتمع نتيجة هذه القيود والإكراهات، فتشجع للأسف على تقسيم الجغرافيا التي تحتكم بالكاد على تقسيم المجتمع الواحد، إلى أطراف ودرجات وأصناف، ليس على أساس الكفاءة بقدر ما يكون على أساس الولاء والقبيلة والتفرقة.

بالرغم من الصورة القائمة أمامنا على وضع المواطنة في المنطقة العربية والجزائر جزء منها، سنؤكد على عنصر أساسي بواسطته نستطيع تجاوز هذه التحديات، يكمن في إحقاق العدل، وذلك بواسطة الشعار الذي غالبا ما نجده في البرامج الانتخابية الرجل المناسب في المكان المناسب، وهو يحمل في طياته القدرات الفردية والاستحقاقات التي ينبغي أن نقدمها لمن هو أهلا لها، هذا هو حجر الزاوية في تكريس خدمة الوطن والولاء له، لأن المناصب لا تقدم وفق رؤى ذاتية، بقدر ما تقدم لاعتبارات موضوعية وشفافة تجعل النزاهة والعدل، الشرط الضروري والحاسم في تقسيم خيرات البلاد.

وبهذا تتجسد على أرض الواقع رفاهية الحياة الاجتماعية بتوفير حياة كريمة تليق بالإنسان، التي تقوم بالأساس على معطى العمل والكفاءة لا غير، وعنه تصبح المواطنة رديف لكلمة المساواة في تكافؤ الفرص، على أساس أن الوطن ملك للجميع، والعدالة في استحقاقات المناصب والخيرات، لمن هم أهلا لها ليس للاستئثار بها أو تملكها، بل لتوظيف

طاقاتهم ومعارفهم لتحسين السير العام للمجتمع. بعيدا عن اللغة الطائفية والعصبية والمحاصصة، وعنه تبقى المواطنة الملاذ الآمن للعيش في ظل الاختلافات داخل المجتمع، لأنها تحتكم إلى القانون وإلى الاعتراف بالآخر، كتوابت لا يمكن التساهل معها أو أدلجتها وفق رؤى وأطروحات معينة. فالمواطنة كمرجعية فردية ومنظومة قانونية تعمل على التنافس والتنوع بغية دفع المجتمع نحو الأمام، عبر تنظيم دائرة الحقوق والواجبات لإحقاق الرقي والتقدم للإنسان، من خلال انتشار قيم العدل والحرية والديمقراطية.

فهي بهذه المواصفات ترفع الغموض وتكشف زيف ووهن الإيديولوجيات المتنافسة لمصالحها الضيقة، وتملي على تغليب المصلحة العامة للدولة والمجتمع من خلال التحاور وقبول الآخر، وذلك تشجيع الثقافات المحلية والهامشية ووضع حد للفكرة الأحادية الأرثوذكسية الوثوقية، التي تؤمن بمنطق "إما - أو"، فهي تشجع على بروز الآخر وإبراز التسامح الذي يقوم على أساس الاعتراف كحلقة قوية لإبداء الاحترام والتقدير لثقافات والديانات والمعتقدات التي نختلف فيها ومعها. فالمواطنة بهذا لا يعني التنازل أو التنازل بقدر ما هو موقف إنساني يتخذه الإنسان للإقرار بالآخر، بضمن حقوقه وفق إطار الحرية والقانون لإحلال ثقافة السلام والحب عوض الحرب والقتل وإبادة الإنسان. وهنا نجد جون لوك الذي يرى أن "القرن الثامن عشر ما عرف بعصر الأنوار الذي تنامت معه مفاهيم جديدة مثل هذه السيرورة طورت قيما جديدة ومعاني كامنة وضعت لها مؤسسات ترسخت عبر قرون، وهي ما تزال تنمو محدثة في كل طور تحولات نوعية تتطلب وعيا مختلفا عن شروط الوعي السابق" (لوك، ج، 1999، 19). وعنه نجد من خلال هذه الوثيقة الهامة التحول الجدري في العمل السياسي، بعد فترة الأنوار والذي يكرس الاختلاف الذي يقوم على الاعتراف والتسامح الذي يسمح ببقاء الإنسان وظهور القيم الإنسانية.

وبالتالي تتخذ المواطنة الآن شكل آخر في توظيف الفضاء العام حسب هابرماس Habermas ، الذي يرى أن قيم الدولة المدنية لم تعد مرتبطة فقط بالمؤسسات السياسية للدولة بل تتعدى هذا لتتخذ الفضاء العام إطارا لتعبير

عن الإرادة العامة، بشكل عقلاني وطوعي، وتتخذ القرارات على شكل التفاوض والتشارك بغية تحقيق الهدف المراد تحقيقه، وبهذا تتخذ المواطنة هنا شكل المشاركة المجتمعية في الفضاء العام لتحقيق مطالب مجتمعية وإنسانية، وهنا يعود الفضل لهابرماس Habermas، الذي أخرج المواطنة من الدائرة السياسية، وفتح أمامها الباب على جميع البنيات المجتمعية، لكي تنتشر قيما وممارسات مجتمعية تشكل رأسمال ثقافي مدني، معارض لثقافة الطبيعية التقليدية. فالمواطنة بهذا الشكل تصبح سدا منيعا في وجه الأزمات والنعرات التي يمر بها المجتمع الجزائري، ووضع حد للاختراقات الدول الكبرى التي تحاول تأجيج الوضع بصناعة الفتن وإطالة الحروب وبيع الأسلحة لتدمير الإنسان والبيئة.

ثانيا- المواطنة بين التحدي الديمقراطي والهاجس الديني:

تعتبر الديمقراطية من المفاهيم الهامة والأساسية التي تتدرج ضمن الإطار العمل السياسي. فيستخدم الحدائثيون أو العلمانيون مفهوم الديمقراطية، التي يجب أن نقف على مستويات تعريفها. فكلمة الديمقراطية يونانية الأصل وهي مؤلفة من كلمتين « demos » معناها الشعب « cratos » معناها الحكم. وبهذا المعنى أصبحت حكم الشعب وبمعنى آخر هي السلطة والسيادة المطبقة من قبل الشعب. أما اصطلاحا فهي من الناحية السياسية عبارة عن حالة سياسية تكون فيها السيادة للمواطنين كافة بلا تمييز على أساس المولد الثروة أو القدرة. واجتماعيا هي أسلوب في الحياة يقوم على أساس من المساواة وحرية الرأي والتفكير.

فمن خلال هذا يتضح لنا أن الديمقراطية هي رمز للحرية والنزاهة لضمان كرامة الإنسان، وهذا ما يذهب إليه ألان تورين، "الديمقراطية لا تقتصر على مجموعة من الضمانات الدستورية، أي على حرية سلبية. إنها نضال تخوضه ذوات فاعلة، في ثقافتها وبحريتها، ضد منطق هيمنة السيساتيم.... وهكذا تصبح المسألة الكبرى بالنسبة للديمقراطية مسألة الدفاع عن التنوع ضمن الثقافة الجماهيرية الواحدة وإنتاج هذا التنوع" (تورين، ألان، 2001، 20).

أما إذا عرجنا على مفهوم الديمقراطية، فنجدها قد أصبحت من المواضيع الرئيسية التي يقاس بها الصرح الحضاري للأمم "الفرد ذات إذا هو جمع في سلوكه وتصرفاته بين الرغبة بالحرية والانتماء إلي ثقافة، والدعوة إلي العقل، وبالتالي إذا هو جمع بين مبادئ ثلاثة: مبدأ الفرد، ومبدأ الخصوصية، ومبدأ الجامعة. وكذلك الأمر بالنسبة للمجتمع الديمقراطي، فهو، بالطريقة نفسها ولأسباب نفسها يقرب بين حريات الأفراد واحترام الفروق وبين التنظيم العقلي للحياة الاجتماعية" (تورين، الآن، 2001، 20). ومن هذا أصبحت الديمقراطية من المفاهيم الأساسية التي تندرج ضمن أدبيات الخطاب السياسي المعاصر، حيث اجتاحت جميع أركان المعمورة لما تحمله من قيم إنسانية كالحريات السياسية وحماية كرامة الإنسانية "فسلطة الشعب لا تعني، بالنسبة للديمقراطيين، أن يعتلي الشعب عرش الأمير، بل تعني كما قال كلود لوفور، أنه لم يعد ثمة عرش. السلطة الشعبية تعني أن يكون بوسع العدد الأكبر من المواطنين أن يعيشوا بحرية.. فالنظام الديمقراطي، هو صيغة الحياة السياسية التي تزود العدد الأكبر بأكثر قسط من الحرية، هو الصيغة التي تحمي أوسع تنوع ممكن وتعترف به" (تورين، الآن، 2001، 20).

وبالتالي تبقى الديمقراطية وصفة جاهزة، لتقديم رؤية حول كيفية معالجة مشاكل الاستبداد والظلم، وهذا ما يساهم في تكريس العمل الدائم والمستمر للإجابة على الطلبات والمشاكل الاجتماعية، ومن هنا تبرز لنا قضية التفاعل والتأثير والتأثر بين مفهوم الديمقراطية والواقع الاجتماعي المعاش. "فالديمقراطية كثورة سياسية وفكرية واجتماعية لم تأت اعتباراً، بل عرفت نضالات مستميتة خلال قرون خلت، اعترضها عوائق جمة في التحرر من الملكيات والإقطاعيات والكهنوتيات، التي كانت تعمل على تكريس الوضع الراهن وعدم زعزعة مصالح المجتمع لتقليدي" (عروس، ز، 2002، 29).

فنحن عندما نتحدث عن هذا المفهوم بهذا الأسلوب، ليس معناه أننا مع فكرة الإسترداد الأعمى للنماذج الغربية، بقدر ما ندعو إلي الاستفادة منها من خلال ضمان حقوق الأفراد وتوفير الاستقرار والحرية وتكوين المجتمع المدني. "إذا كنا نشكو اليوم غياب الديمقراطية غياباً كلياً في

بعض البلدان العربية، وزيف وفشل ما هو قائم من مظاهرها في بعضها الآخر، فلأن الديمقراطية هي من خصوصيات المجتمع المدني، المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان مواطناً أي عضواً في جماعة بشرية تنظم حياتها مؤسسات ديمقراطية تضمن لكل فرد الحقوق والواجبات" (الجابري، ع، 1990، 124، 125)

لقد حاز مفهوم الدولة المدنية القائمة على المواطنة، اهتمام الدوائر العلمية والأكاديمية، واستطاعت أن تكون محل للاستقطاب الجماهيري، رغم العمومية وعدم الإجماع، الذي يكتنف هذا المفهوم. فالنظام السياسي في شكله البسيط هو إدراك العلاقة بين الحاكم والمحكوم عن طريق العقد الذي يربطهما. فالواقع العملي في النظام السياسي الجزائري، عرف جدل حول العلاقة القائمة بين دائرة الدين والدولة، فما نتطلع إليه من هذا العنصر هو إيجاد علاقة تعايش بين الدولة والدين، بالشكل الذي يسمح للدولة أن تصبح دولة المواطنة، وليس علاقة قطيعة أو انصهار أو اندماج بين الديني والسياسي.

فيما يخص مسألة السياسة والدين أو التنوعات الثقافية، يبدو أن هذه العملية عسيرة ومعقدة لأنها لا تقوم على وصل الدين والتنوعات الثقافية بالسياسة، كما يفعل التيقراطيون، وأيضاً الفصل بين الدين والتنوعات الثقافية بالسياسة كما يفعل اللائكيون Laïcité .

وبهذا نحن أمام مبدئين عامين نظراً لهذه الإشكالية الكل حسب طريقته، وما أملت عليه ظروفه الاجتماعية والتاريخية والسياسية والاقتصادية، ونقصد في هذا الإطار التجربة اللائكية في فرنسا، التي عملت على تحقيق المساواة بين المواطنين، ووضعت حد للانقسامات التي تؤدي إلى ميلاد هويات وجماعات جديدة تمزق النسيج المجتمعي، وهذه من أهم المقومات التي تقوم عليها الدولة اليعقوبية ونظرية العقد الاجتماعي عند روسو الذي "يرفض وضع العقد الاجتماعي كميثاق للإذعان بين الرجال، فيتعلق بميثاق تشاركي. فالسيادة الفردية غير مغتربية، وإذا كان الحاكم، في الحالة المدنية، تكون الإرادة عامة، ولا تتبع إلا بالخضوع لها، الإرادة العامة مكون للإرادات الفردية، المنقادة للإرادة العامة كذوات، والمواطنين لا يمثلون لأنفسهم بهذا المقدار من أعضاء في السيادة"

(Auroux، s، Weil، y، 1991، 425). وبهذا يؤكد روسوا في طرحه على على المساواة بين المواطنين، والعمل على تشكيل الإرادة العامة جماعيا، وليس فرديا وبهذا تشير اللائكية باعتبارها "قيمة مؤسسة لمشروع الجمهورية المؤسس على فكرة الفصل بين العام والديني، وهذا يكون ضمن بوتقة المجال الخاص" (Godin، C، 2004، 715).

نلاحظ أن معالم الدولة اليعقوبية، مازالت تفرض وجودها في جل الدول العربية، حيث أنها تركز على الثقافة الوطنية، وتضرب عرض الحائط جميع الثقافات واللهجات والتعدد والتنوع الثقافي باسم المصلحة الوطنية، متخذة القانون سندا في إيجاد تليفق وتزييف سياسي بين المشروع اليعقوبي القائم على الدين والتاريخ واللغة كأبعاد أساسية في رسم معالم الدولة الوطنية، وبين الخيار الديمقراطي كبعد في إرساء الدولة المدنية، التي تقوم على الاعتراف بالثقافات واللغات، كأبعاد أساسية في رسم معالم الهوية الوطنية وهذا هو بيت القصيد.

أما التجربة الثانية فهي الليبرالية التي وجدت نجاحا باهرا في الولاية المتحدة الأمريكية، خاصة بعد نجاح ثورتها سنة 1776. تقودنا الليبرالية عند الحديث عنها مباشرة إلى التفكير في أحد المنظرين البارزين في نظرية العقد الاجتماعي، وهو جون لوك، باعتباره "ملهم افتتاحية الدستور الأمريكي وإعلان حقوق الإنسان، لوك هو المؤسس الليبرالية السياسية" (Auroux، s، Weil، y، 1991، 284). فلم تنجح التجربة اليعقوبية في أمريكا لأنها كانت ستقوم على الاعتراف بالهنود الحمر كطيف رئيسي في تشكيل دولة الأمة، وبهذا استنساغ النموذج الأمريكي مسألة التعدد والتنوع الثقافي، الذي عمل على عملية تذويبها في أمة واحدة تسمى الآن بالولايات المتحدة الأمريكية. وبهذا يفقد التضامن المجتمعي دوره في النظام الليبرالي، ويأخذ شكل التفرد والفردية داخل المجتمع، التي تقوم على المبادرة الشخصية والإبداع الفردي، واحترام الثقافات والديانات.

فالغرض من هذا لتوضيح هو تبيان الحدود الفاصلة بين اللائكية والدينيوية.

يشغل الدين حيز هام في الفضاء المجتمعي، ونحن هنا نؤكد على التكامل بين الديني والسياسي، وهذا ما يطلق عليه بالدينيوية "ممر من الديني إلى الديني... عند ماكس فيبر الذي بين المفهوم المقدم في الفكر

الألماني في القرن 19 ميلادي: كسيرورات حضارية لبؤس العالم الذي شهد حداثة مدنسة، تسير عن طريق المصلحة الاقتصادية، وتعوض بالمفهوم التيولوجي اللانكي " (Godin)، C، 2004، (1189)

وبالتالي علينا أن نتجنب تحويل وإدخال الدين في سجلات سياسية، كلما ظهرت مستجدات وأزمات، الشيء الذي يؤدي إلى تفرقة المواطنين، واستباحة دمهم وعرضهم، وهذا ما يخالف الدين وروحه من جهة، ومع قيم الدولة المدنية القائمة على الحق والواجب من جهة أخرى، وتجربة الجزائر في هذا الإطار غنية عن كل تعريف.

فقد أشرنا إلى أهمية توظيف الدين في السياسة والاجتماع، بغية أن تكون هذه الدولة قادرة على تحقيق الإجماع الوطني والمدني، ووضع حد للنزاعات والتطاحنات بين الإخوة في الدين. فتأتي السلطة من خلال وسائلها وممارستها في صورة تعبر عن وعي وإرادة الفرد والمجتمع بالاعتماد على ما يخلقه الدين من روح للأخوة في العقيدة والإنسانية وهذا هو المصدر الأول والأساسي في تكوين الإجماع المدني ومن ثم الدولة.

فتحويل الدين إلى الدولة أو تجريد الدولة من السياسة، له انعكاسات سلبية خطيرة على البناء الاجتماعي. فينتج المجتمع نحو الجمود والرفض لكل ما هو جديد. وتعود الصورة القبيحة للدين على أنه مرتبط بالقديم والجمود، على أساس أن هذا الرفض يستمد شرعيته من الدين. كما أن هذا المنهاج الغامض والمطلق، سرعان ما تنتشأ عليه قيام سلطة غامضة لا يدرك حدها ولا يعرف هدفها، من خلال العلاقة بين الحاكم والمحكوم والمعارضة السياسية، فهذا المنهج لا يتراجع في نفي كل معارضة سياسية له باسم الدين، ويتخذ شعار الحفاظ على وحدة الأمة وإحياء المؤامرات والدسائس الأجنبية كركيزة لتثبيت ركائز نظامه. فهم يركزون على الأحكام ويطبقونها بصورة جامدة ومتزمتة ولو على حساب مبادئ الإسلام كما حدثت في تجربة طالبان بأفغانستان والتي طبقت فيها الحدود على الفقراء والنساء، في حين أفنت عصابات التجار بالمخدرات والأسلحة.

فإذا حظيت مسألة الحرية السياسية باهتمام مناسب وما ينجر عليها من فصل السلطات "ضرورة نوع من فصل السلطة الطبيعية التي تكون من السيادة أو الملك _ ويقصد بها الدولة _ عن السلطة السياسية التي تقع

عليها حماية المجتمع وتنظيم حمايته المدنية وفصلهما معا عن السلطة الدينية التي تتولى مهمة حماية الدين" (الهنداوي، ح، 1996، 92). فإن مسألة تفاقم الصراعات والتمييزات الاجتماعية، ستعالج بأسلوب حر ونزيه ومسئول. ونحن نعلم أن كل الخيارات السياسية تطبق في هذا الواقع بنسبية ولا وجود للمطلقات، وبما أن السياسة لا يمكن أن تكون قائمة على علاقة روحية ومرتكزة على الأخوة في العقيدة أو مستمدة من الإيمان أو مشروطة به دائماً. ينبغي إذن أن تكون السياسة خاضعة إلى نظام التوازنات بين القوى والأفراد والجماعات وفي إطار ما تمليه شروط العقد الاجتماعي أي الدستور وما يقتضيه مبدأ المواطنة. وهذه هي السياسة في معناها الايجابي وغايتها المقصودة. فنلاحظ مبدأ الدنيوية *sécularisation* كنموذج غربي سائد في أوروبا وأمريكا، أنه لم يمنع هذه الدول من توظيف المعتقدات الدينية بما يخدم تماسك مجتمعها، وحرص لصفوف أفرادها بتحسيسهم على أنهم أمة واحدة، وهذا ما ينعكس على القرار السياسي الهادف إلى إثراء الدولة، سواء بانتصار عسكري أو هيمنة اقتصادية. وهو توظيف ناجح وإيجابي ومثمر كونه موجه من قبل دولة مؤسسات لها غاية في هذا الوجود.

فمن الواضح عند التمعن في النظام الديمقراطي، فنحن نتحدث عن شيء مضمحل هو المواطنة، التي تعد أسلوباً ناجحاً وراقياً في إدارة وتسيير شؤون المجتمع من خلال مؤسسات دستورية، وجدت عبر الإجماع والتوافق. وبهذا المنهج يصبح مسألة التداول على السلطة وتوزيع الثروات بين الشرائح الاجتماعية تتم بالامتثال إلي القانون والحق وبهذا تشكل الأساس لعملية التغيير السلمي المدني وليس الانقلاب العنفي العشيري "فهناك تقسيم جلي بين الوظائف الدينية والوظائف السياسية والإدارية، ولكن هذه الأخيرة ليس لها أي علاقة مع الدين" (Carré، 1991، 203)

وفي الأخير تبقى المواطنة منهجا مساهما في توفر مستلزمات التعايش والسلم الاجتماعي والتطور والتراكم لاختيار أسلوب حكم يرتضيه الناس، بغية الحفاظ على قدرة المجتمع في تشكله ومواكبه وما يطرأ عليه من تحول. فنحن بهذا نحاول أن نكون عمليين في طرح موضوع المواطنة للإجابة على تساؤلات المجتمعية في الجزائري بغية الحفاظ على رباطه

وتضامنه، والعمل على إصلاح المؤسسات السياسية وجعلها قوية في مكانها ومكانتها، لبناء الدولة المدنية بقيم المواطنة التي تكون صمام أمام في التنفيس عن الوضع المتأزم المعاش.

- قسم علم الاجتماع جامعة وهران 2 الجزائر
مخبر: الأنساق، البنيات، النماذج الممارسات. جامعة وهران 2 الجزائر

- علي الدباغ، (2006)، "الاستبداد في فكرة ولي الأمر وفقه الغلبة وولاية الفقيه في الوقت الراهن"، ضمن (الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة) ط2، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

- رفيق عبد السلام بوشلاكة، (2006)، "الاستبداد الحدائي العربي: التجربة التونسية نموذجاً"، ضمن (في الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة) ط2، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

- جون لوك، (1999)، "رسالة في التسامح"، ترجمة منى أبوستة، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة.

-ألان تورين،(2001)، "ما هي الديمقراطية، حكم الأكثرية أم ضمانات الأقلية"، ترجمة حسن قبيسي، ط2، بيروت، دار الساقى، ط2، 2001، ص20.

- عروس الزبير(2002)، "مستقبل الديمقراطية في الجزائر"، ط1، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

- محمد عابد الجابري،(1990)، إشكاليات الفكر العربي المعاصر، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

- حسين الهنداوي، (1996)، التاريخ والدولة ما بين ابن خلدون وهيجل، ط1، بيروت، دار الساقى.

Christian Godin،(2004) «Dictionnaire de philosophie» fayard/éditions.

-Olivier Carré،(1991) «L'utopie islamique dans l'Orient arabe» paris، presse e la fondation nationale des sciences politiques.

- Sylvain Auroux ،Yvonne Weil، (1991) «Dictionnaire des auteurs et des thèmes de la philosophie» ، Hachette.

الانتقاء الغذائي عند الطفل دراسة عيادية لثلاث حالات

د. مليكة محرز
جامعة وهران 2

ملخص الدراسة

هدفت هذه الورقة لتسليط الضوء على سلوك الانتقاء الغذائي عند الطفل بصفتها ظاهرة تنتشر عند الأطفال. وهي مرحلة عادية غير أن نقص خبرة الوالدين في التعامل معها قد يحول هذه الظاهرة العادية إلى اضطراب السلوكيات الغذائية. كما يمكن لاضطراب السلوكيات الغذائية أن يخفي عدة اضطرابات نفسية وعلائقية بالإضافة إلى كونه يضر مباشرة بالطفل من خلال افتقاده التوازن الجسمي والفيولوجي ويعرقل عملية نموه.

للقيام بهذه الدراسة اعتمدنا على المنهج العيادي من خلال الملاحظة والمقابلة العيادية لدراسة ثلاث حالات تعاني من انتقاء غذائي شديد يصاحبه اضطراب في العلاقة مع المحيط. وتوصلت هذه الدراسة إلى أن الطفل الذي يعاني من انتقاء غذائي هو طفل لم يحظى بتنوع الخبرة الذوقية في سنواته الأولى، بالإضافة إلى أن القائمين عليه لم تكن لديهم التجربة الكافية من أجل التعامل مع رفض الطفل لبعض قوائم الطعام.

الكلمات المفتاحية: الانتقاء الغذائي - الخبرة الذوقية - الطفل - الممارسات الوالدية

Food selection in the child

Abstract:

This study sets up to investigate the behavior of food selection as a phenomenon that spreads in children. This is a normal stage but the lack of parents experience in dealing with it may turn the normal phenomenon into a food behavior disorder that can also mask several mental and relational disorders, in addition to being directly harmful to children as a result of the lack of physical and physiological balance. Furthermore, it can disrupt their process of development.

Accordingly, the researcher adopted the clinical method using both observational and clinical interview tools in studying three cases who suffer from severe food selection accompanied by a disorder in the relationship with the environment.

The results of the study revealed that the child who suffers from food selection is a child who did not have a variety of taste experience in its early years, in addition those who are supposed to bring him up did not have enough experience in dealing with the child's rejection of some menus.

Keywords: Food selection-Taste experience-Child-Parental practices

المقدمة:

يعد الغذاء ضرورة من ضروريات الحياة. فهو تلبية للحاجات الجسدية والنفسية في نفس الوقت. كما يعد أحد المعايير التي تحدد خصائص الشعوب وثقافتها. حتى أنها أدرجت بين الحاجات الأساسية والقاعدية في هرم ماسلو للحاجات.

فالتغذية تعتبر من المقومات الأساسية للبنية العضوية خصوصا في المراحل الأولى من النمو وأي اضطراب في تناول الطعام قد يعرقل عملية النمو الجسمي والفيزيولوجي للطفل.

من الوجهة العلمية يعتبر سلوك الطعام الطبيعي هو ذلك السلوك الذي ينظم تناول الطعام من خلال الشهية، الجوع، ومشاعر الشبع. بحيث يتم تناول المواد الغذائية اللازمة بكمية مناسبة لسد حاجات الجسم. (سامر جميل رضوان، 2009:530).

تظهر مشكلات التغذية من خلال السلوكيات التي يتبناها الطفل تجاه الطعام " فمشكلات الطعام قد تظهر بعدة أشكال: عبر سلوك المعارضة، رفض تام للأكل، الانتقاء الغذائي، صعوبة في تقبل تغيير نسق الأطعمة *consistance des aliments*، كما يمكن أن تظهر على شكل اشمنزاز من الأكل والتقيؤ" (S.Robaillet all,2017: 2).

فالانتقاء الغذائي مرحلة عادية يعرفها حوالي 70 بالمائة من الأطفال خلال الفترة الممتدة ما بين سنتين إلى غاية العشرة سنوات وذلك لعدم تكامل البنية النفسية والعقلية. حيث نجد الطفل يتناول الأطعمة التي اعتاد عليها

ويرفض تناول أطعمة معينة أو أطعمة جديدة. مما يجعل 50 بالمائة من الأمهات يعترفن بأن هذا السلوك يصعب عليهن التعامل مع أطفالهن. ويختفي هذا السلوك مع اكتساب الطفل الخبرة الذوقية عبر مختلف مراحل نموه. كما يمكن لهذا السلوك أن يستمر ويتفاقم حتى يصبح اضطراب.

نظرا للعلاقة الموجودة بين التغذية وبعض الاضطرابات، وعلمًا بأنه من الصعب تغيير العادات الغذائية عند الراشد والمراهق وحتى عند الطفل، فيبدو أنه من الأفضل أن يكتسب الطفل مبكرا العادات الغذائية المناسبة (Issanchou et all,2010: 713).

ومن هنا تأتي هذه الورقة لتسلط الضوء على أهمية اكتساب الطفل السلوكيات الغذائية السليمة خلال مرحلة الانفتاح لتجنب ظهور الاضطرابات الغذائية لاحقا والتي قد تلازمه طيلة حياته.

الإطار النظري للدراسة

تعريف الانتقاء الغذائي /التفضيل الغذائي

التعريف اللغوي:

نقا تنقية، وأنقا انتقاء (نظفه واختاره مثل: نقى وأنقى الطعام) انتقاء انتقاء) اختاره اختيارا (البستاني،1983: 831).

أما اصطلاحا فهو السلوك الذي يتبناه الطفل أثناء عملية التغذية من خلال اعتماده على قائمة غذائية محدودة يفضلها عن الأطعمة الأخرى ويكتفي بها مع رفضه للأطعمة الأخرى دون سبب معين. وقد أدرج هذا الاضطراب مؤخرا ضمن قائمة اضطراب السلوكيات الغذائية في التصنيف التشخيصي والإحصائي الخامس للجمعية الأمريكية للطب النفسي سنة 2013.

أنواع الانتقاء الغذائي:

هناك نوعان من الانتقاء الغذائي عند الطفل:

- النوع الأول: ويتمثل في رفض الطفل لنوع معين أو قائمة معينة من الأطعمة كان قد استهلكها واختبر ذوقها سابقا ثم تخلى عنها لسبب ما كمدافقتها، لونها، شكلها، أو لكونها ارتبطت بتجربة سيئة.

• النوع الثاني: ويطلق عليه أيضا باللغة الأجنبية la néophobie alimentaire، وهو رفض الطفل تذوق وتناول أطعمة جديدة قد يصل الى حد النفور الحسي من الغذاء. وهو يظهر في حوالي السنتين عند 50 بالمائة من الأطفال. كما يشتد هذا السلوك عند السنة الثالثة. ومن المعروف أن 75 بالمائة من الاطفال ما بين 2 و10 سنوات قد اختبروا الانتقاء الغذائي وهذا ما يعد عادي خلال هذه المرحلة (N.Rigal,2010: 210).

إن تغذية الطفل الصغير تتأثر بتفضيل المواد الغذائية دون الأخرى. وهذا التفضيل يبني على أساس الميل لذوق محدد دون الآخر (ذوق حلو، مالح، مر، حامض أو لذيذ umami). فالتجارب المبكرة يمكن أن تصوغ هذا الانجذاب (Schwartz et all,2010: 1026).

و يصبح الانتقاء الغذائي مشكلا عندما تزداد شدته ويصبح يشكل خطرا على صحة الطفل، كأن لا يتناول المواد التي تحتوي على الحديد والفيتامينات، مما يعيق عملية نموه الجسمي والفزيولوجي.

الخبرة الذوقية:

1. تكوين الذوق عند الطفل:

يعد الذوق احدى الحواس الخمسة التي يتمتع بها الإنسان. "إن الإدراك الحسي يولد الشعور Sensation، هذه الظاهرة هي نفس- فزيائية Psycho-physiologique واعية تسمح بالتعرف على المثيرات الخارجية والداخلية. من الكلاسيكي التعرف على ثلاث مكونات للشعور: طبيعة المثير، كثافته، واللذة التي يولدها. ومن هنا وبعد معالجة المعلومة من قبل الدماغ يصبح من الممكن وصف الشعور بالذوق من حيث النوعية (حلو، مالح، حامض أو مر)، من حيث الشدة L'intensité (هل هو كثير الملوحة أو قليل الملوحة)، ومن حيث المتعة (هل هو لذيذ أم لا)" (L. Brondel et all,2013: 127).

وللتذوق أدوار تتحدد فيما يلي:

1. يسمح لنا الذوق بالكشف والتعرف على الطعام الذي سوف نتناوله.
2. يسمح لنا بابتلاع أو رمي الطعام من الفم.
3. يسمح بتحضير ابتلاع، هضم، وتخزين الأغذية.

و من جهته يرى (فنتينو Fantino: 2012) أن إدراك الذوق يستند على قدرة التمييز بين المذاقات الأساسية والتي هي:

- **الذوق الحلو:** والذي يسمح بالحصول على الأطعمة الغنية بالسكريات وبالتالي الغنية بالحريرات.
- **الذوق المر:** والذي يسمح برفض المواد السامة، ولكنه يسمح بالتعرف على الأطعمة الصالحة للأكل والأقل مرارة.
- **الذوق الحامض:** والذي من خلاله يمنع تناول الأطعمة الفقيرة الـ PH والتي من شأنها أن تخل بتوازن الحموضة القاعدية Acido-basique.
- **الطعم المالح:** يتحكم في الصوديوم وبالتالي يسمح بالتوازن المائي-المعدني Hydrominéral.
- **وأخيرا ذوق imami:** ادرج من قبل العالم الياباني Kikunae سنة 1908 وهو يعني الذوق اللذيذ وهو يميز الأطعمة التي تعتبر مصدر للبروتينات.

2. الخبرة الذوقية:

تشير بعض الدراسات (Rigal2010, Issanchou et all2010 et Schwartz et all2010) أن التجارب الحسية الناتجة عن التنوع الغذائي تبدأ أثناء مرحلة الحمل. حيث يتغذى الطفل ويتذوق مختلف الأطعمة عن طريق السائل الأمنيوسي Le liquide amniotique. فالأم التي تناولت أثناء فترة الحمل الجزر نجد أن أطفالها يميلون لأكل الأطعمة التي لها مذاق الجزر أو إلى شرب عصير الجزر أكثر من الأطفال الآخرين.

فمرحلة الانفتاح الغذائي عند الطفل (Issanchou et all 2010: 714) والتي تتميز بإدراج المواد الغذائية مع الحليب لإثراء تغذية الطفل تبدأ بعد الشهر السادس غالبا. وهذه المرحلة هي جد هامة ومحددة للسلوك الغذائي مستقبلا.

فالتنوع الغذائي المبكر ونوعه هو ما سيساعد الطفل على التوازن الغذائي ويحدد ميولاته نحو مختلف الأطعمة. فمن خصائص هذه المرحلة حسب Issanchou et all 2010 ما يلي:

1. تعدد التجارب:

فالرضيع الذي يدرج عنده التنوع الغذائي بإعطائه مواد مختلفة ومذاقات متنوعة يتقبل بكل سهولة المواد الجديدة لاحقاً (بعد السنتين).

2. سن إدراج المواد الجديدة:

فالأطفال الذين يكون لديهم إدراج مبكر لمختلف الأطعمة ونوعيتها (مهروسة أو صلبة نوعاً ما) يكونون أقل صعوبة في تقبل المواد الجديدة في المستقبل.

3. التعرض المتكرر للمواد:

إذا قام الطفل برفض طعام ما في الوهلة الأولى فيجب أن يقدم له مرة ثانية وبصفة متكررة، إذ أنه سيعتاد عليه. فالتعرض المتكرر بمعدل مرة كل يومين ولمدة ثمانين وجبات سيجعله يعتاد عليه ويحسن من إقباله عليه.

ومن خلال تجربة قام بها Schwartz، نشرت سنة 2010، على 76 رضيع من أجل تحديد المذاقات التي يتعرض لها الطفل في السنة الأولى، حيث اختبر وزملائه قائمة غذائية مكونة من 2902 مادة غذائية طبيعية ومصنعة. حيث قسمت العينة إلى مرحلتين، الأولى من الولادة حتى الـ 6 أشهر والثانية من الشهر 7 إلى الشهر 12. وتوصلت الدراسة إلى أن المذاق الحلو يتصدر القائمة الغذائية عند الأطفال، يليه المذاق الحامض من خلال إدراج الفواكه خلال هذه المرحلة الغذائية عند الأطفال. ومن المدهش أن تعريض الطفل إلى المذاق المالح أقل نسبة حتى بعد فترة الانفتاح الغذائي.

من جهتها تضيف (نتالي ريفال Natalie Rigal 2010) أن الطفل يحتفظ بميله للمذاق الحلو بعد السنتين. وخلال هذه المرحلة تندمج الحاجة إلى الطاقة مع الإدراك الحسي لمختلف الأطعمة مما يسهل عملية النمو عنده.

تشخيص اضطرابات الأكل:

تم إدراج الانتقاء الغذائي ضمن اضطراب السلوكيات الغذائية في التصنيف التشخيصي والإحصائي الخامس للجمعية الأمريكية للطب النفسي 2013. فأصبحت قائمة الاضطرابات السلوكيات الغذائية كما يلي حسب DSMV:

- ✓ شهوة الطين بيكا Pica عند الطفل وعند الراشد.
- ✓ اضطراب الاجترار الغذائي (Rumination Disorder) Mérycisme.
- ✓ الانتقاء الغذائي (Avoidant/Restrictive) Alimentation selective .Food Intake Disorder
- ✓ فقدان الشهية (Type restrictif or binge- Anorexie nerveuse) .(eating/purging)
- ✓ النهم العصبي (Boulimie nerveuse) .
- ✓ الافراط بالطعام (Hyperphagie (Binge-eating disorder)
- ✓ اضطرابات أخرى محددة.

1. تفسير الانتقاء الغذائي حسب الدليل التشخيصي والاحصائي DSM 5:

سجل الاطفال المنتقين للطعام على انهم يمتلكون شهية جيدة وفي نفس الوقت يفضلون أنواع معينة من الاطعمة، استنادا الى الشكل المقدم به: (طعمه، رائحته، درجة حرارته، ومنظره).

وهذا النفور يسجل تطور انتقالا من رفض صنف معين من الطعام الى رفض نوعية كاملة من الأغذية. وتختلف نوعية الرفض من حالة الى اخرى مثل رفض طعام جديد أو اغذية غير معروفة. كما يعتمد الدليل التشخيصي والاحصائي على ثلاثة خصائص تحدد الانتقاء الغذائي وهي:

- درجة شدة رفض الطعام.
- تسجيل نقص في القائمة الغذائية.
- تأخر في النمو الغذائي مثلا (بقاء الطفل في مرحلة السوائل).

2. تشخيص انتقاء الطعام طبقا لتصنيف الجمعية الامريكية للطب النفسي:

(الاصدار الخامس 2013, APA) – DSM5. (ترجمة د. أنور الحمادي)

اضطراب تناول الطعام التجنبي/المقيد (Avoidant/Restrictive Food Intake Disorder (F50.8)

أ- اضطراب الأكل أو التغذية (مثلا، على ما يبدو عدم الاهتمام في الأكل أو الطعام، التجنب استناداً على الخواص الحسية للطعام، المخاوف حول عواقب تجنب الأكل) كما يتضح من الفشل المستمر لتلبية الاحتياجات المناسبة من الغذاء و/أو الطاقة المترافق مع واحد (أو أكثر) مما يلي:

1. فقدان وزن كبير (أو الفشل في كسب الوزن أو تحقيق النمو المتوقع عند الأطفال).

2. نقصان هام في التغذية.
 3. الاعتماد على التغذية المعوية أو المكملات الغذائية عن طريق الفم.
 4. تداخل ملحوظ مع الأداء النفسي والاجتماعي.
- ب- لا يفسر الاضطراب بشكل أفضل من خلال نقص المواد الغذائية المتوفرة أو بممارسة عقابية ثقافية مرافقة.
- ت- لا يحدث اضطراب الأكل حصراً أثناء سير فقد الشهية العصبي أو النهيم العصبي، ولا يوجد دليل على اضطراب في الطريقة التي ينظر فيها الشخص لوزنه أو شكله.
- ث- لا يُعزى الاضطراب إلى حالة طبية متزامنة أو لا يُفسر بشكل أفضل باضطراب عقلي آخر. عندما يحدث اضطراب الأكل في سياق حالة أخرى أو اضطراب آخر، فشدة اضطراب الأكل تتجاوز تلك المرافقة بشكل روتيني للحالة أو الاضطراب يوتجلب انتباهاً سريرياً إضافياً.
- ملاحظة: هذه المعايير المذكورة سابقاً لا ترتبط بمدة معينة محددة.

الممارسات الوالدية تجاه الأكل:

"إن التغذية جد مهمة في حياة الرضيع والطفل وتمثل محور اهتمام الأولياء. فاضطراب السلوك الغذائي عند الرضيع يتميز بغياب اللذة وطرح تساؤلات عديدة حول العلاقة بين الأولياء والطفل" (S.Robail & al, 2017: 1).

فالتغذية تكتسي أهمية بالغة في تكوين العلاقة أم/طفل وفي نوعية هذه العلاقة "فالرضاعة تشبع حاجة بيولوجية (الجوع) وحاجة لبييدية (اللذة) مما يجعل العلاقة أم طفل قوية (ميموني بدرة، 2005:123). وتسترسل الباحثة بذكرها مقولة ج. دوشي الذي يرى في الرضاعة أكثر من إشباع حاجة حرارية وإنما هو علاقة حيوية مع الأم.

فتجربة التغذية يمكن ان تكتسي طابع نفسي عاطفي Psycho-affectif حيث أثبتت الدراسات العلاقة الموجودة بين إستراتيجية الوالدين في التعامل مع المشكلات السلوكيات الغذائية للطفل وتكوين الطابع الصعب لديه أثناء فترة الأكل.

وتتمثل هذه الإستراتيجية في:

1. التسامح المفرط: في هذا السياق يلجأ الأولياء إلى التسامح المفرط مع أطفالهم كنوع من التعبير على حبهم لهم أو كطريقة لتميزهم وتدليلهم للطفل من خلال تلبية كل مطالبه. ويشمل هذا التسامح السلوكيات الغذائية للطفل. حيث يفقد الأولياء إلى السلطة اللازمة التي يحتاجها الطفل لتأطير سلوكياته الغذائية. فالأولياء هنا يغيرون رأيهم ويرضخون لمطالب الطفل ولا يبذلون مجهودات لإقناع الطفل بتقبل الأطعمة الجديدة وبالتالي لا يسمحون له بإثراء القائمة الغذائية وتكوين خبرة ذوقية متنوعة.

2. الإكراه: وهنا يقوم الأولياء بإرغام أولادهم ولو بالقوة على تناول المواد الغير مرغوب فيها، مما قد يؤزم الوضع ويجعل الأطفال ينفرون أكثر من الأكل. ويلجأ الأولياء الذين يندرجون في هذا الصنف إلى استعمال الطعام كوسيلة عقابية، كجعلهم أولادهم ينامون دون أكل عند قيامهم بتصرفات غير مرغوب فيها.

وكحوصلة يرى محمد عبد المؤمن حسين "ان تغذية الطفل تعتبر من المشاكل التي تواجه الوالدين، وتحتاج إلى مواجهة حكيمة. ففرض الطعام على الطفل بالقوة أو الاسراف في الرعاية والقلق عليه أو اتباع عادات غير سليمة في تناول الطعام تجعل الطفل لا يقبل عليه" (محمد عبد المؤمن، 1986:66).

استدلالات نفسية عيادية:

الحالة الاولى:

نهال طفلة ذات السبع سنوات. هي الأكبر ما بين ثلاثة إخوة، ولد عمره 5 سنوات وبنت صغرى عمرها سنة ونصف. تدرس نهال بالسنة الثانية ابتدائي. ليست لديها أية مشاكل في الدراسة أو في علاقتها مع معلمتها وزميلاتها. بل على العكس نتائجها الدراسية جيدة ومرتبها في الامتحانات تتأرجح ما بين الثانية والثالثة.

ولدت نهال بصحة جيدة ولم تعاني من أية أمراض جسدية أو مشاكل سلوكية حتى السنة الرابعة. حيث تعرضت لحادث سيارة وأدخلت للعناية المركزة لمدة 12 يوم. بعدها أصبحت تعاني من مشكل الانتقاء الغذائي الذي استمر معها إلى اليوم.

وُجِهت نهال للمعاينة النفسية من قبل الأم التي تشتكي من الانتقاء الغذائي عند ابنتها، وتخشى أن تنقل هذا السلوك لإخوتها الأصغر منها. خاصة أن ابنتها أصبح يقلد نهال برفضه لبعض المأكولات كالخضار والبيض واللحوم الحمراء التي كان يحبها ويطلبها مسبقاً. أما والدها فيرى بأن هذا السلوك عادي فهي تشبهه. ولهذا فهو يتدخل كلما حاولت الأم إرغام نهال على تناول الخضار واللحوم. ولكي يهدئ من نوبة البكاء عند ابنته يشتري لها البطاطا المجففة (الشيبس) والحلويات.

يظهر الانتقاء الغذائي عند نهال بشدة في البيت ولكنه يكون أقل حدة عندما تذهب عند جدتها أو خالتها. فهذا الأخير يحفزها على الأكل مع ابنته ويشرح لها فائدة الأغذية بالنسبة للجسم مما يجعلها تأكل ولكن شهيتها محدودة.

تحدد القائمة الغذائية عند نهال كما يلي:

القائمة المرغوبة بشدة تحتوي على الشيبس، الحلويات، الياوورت، العجائن بالحليب. أما القائمة المرفوضة فهي تتكون من الخضر، البيض، اللحوم، والبقوليات.

تبدو نهال نحيلة جداً، وتتعب بسرعة. ومؤخراً أظهرت التحاليل وجود أنيميا (Anémie) عندها، مما جعل طبيب الأطفال يصف لها بعض المكملات الغذائية وحمية خالية من الحلويات والشيبس.

لقد فاجأتها والدتها عدة مرات وهي تأخذ رضاعة أختها الصغرى وأحينا أكل أخيها الصغير، مما يجعلها تغضب وتصرخ على نهال وتعاقبها. ترى والدة نهال أنه لا يمكن الاعتماد عليها ولا يمكن أن تترك لها إخوتها لتعتني بهم. هذا الأمر أصبح يجرح نهال ويضايقها.

أما نهال فتري أن والدتها لا تحبها. فلهذا هي لا تتركها تأكل ما تشاء وتفعل ما تشاء. فهي أحيانا ترغمها على أكل الخضروات بالقوة، مما يجعلها تتقيأ وتمرض. فنهال تقارن دائماً نفسها بأخيها الصغير وتغار منه لأنه المفضل عند والدتها. وتعترف نهال أنها تحاول أحيانا أكل الخضروات لإرضاء والدها ولكنها لا تستطيع الاستمرار في ذلك.

استنتاج الحالة الأولى:

تعاني نهال من اضطراب في العلاقة مع أمها التي لا توليها الاهتمام نظرا لانشغالها بأبنائها الصغار. ثم ان والدتها تنعت نهال بأنها ابنة أبيها وأنها تحبه أكثر منها، مما يجلب نهال تعبر عن اضطراب هذه العلاقة عن طريق الانتقاء الغذائي، وتجعل منه وسيلة لجلب انتباهها.

تفتقد الأم إلى مساندة زوجها في مواجهة سلوك الانتقاء الغذائي عند نهال، مما يجعل هذه الأخيرة تستغل هذه الوضعية للحصول على ما تريده، وهي بهذا تضع والدها في اختبار دائم بينها وبين والدتها. هذا الموقف أساء للعلاقة بين الزوجين وأفقد نهال فرصة التخلص من هذا المشكل، خاصة انه أصبح يضر بصحتها الجسمية.

الحالة الثانية:

رياض طفل في الخامسة من عمره. هو الطفل الوحيد في عائلته. والدته طبيبة عامة ووالده ممثل تجاري. يدرس رياض بالتحضيرى منذ ثلاثة أشهر. لم يستطع التأقلم بعد مع المدرسة، وتنتابه نوبات بكاء شديدة عند ذهابه كل صباح للمدرسة، ويطالب بالعودة للروضة. حتى أن والدته أصبحت تفكر بجدية لإعادته للروضة لولا تدخل المعلمة التي نصحت بعكس ذلك.

ولد رياض ولادة طبيعية، ولم تلاحظ عنده أي مشاكل خلال مراحل نموه. كان وزنه وقامته طبيعيين عند الولادة. كان رياض جد مدلل من قبل والديه. وحرصت والدته على إرضاعه بالطريقة الطبيعية الى غاية السنتين. تخللت هذه الفترة إدراج بعض المواد الغذائية في الشهر الثامن، ولكن سرعان ما أظهر رفضه لقائمة طويلة من الأكلات سواء كانت محضرة في البيت أو مصنعة. مما جعل والدته تزوج بين الرضاعة الطبيعية والرضاعة الصناعية.

لم يطرح مشكل الانتقاء الغذائي عند رياض قبل دخوله الروضة لأنه كان يتناول كل ما يرغب فيه. ولم يحاول والده إرغامه على أي شيء لأنه كما تقول والدته "عندي غير وليد واحد" أما والده فيقول "انا بروحي راني نخدم غير عليه".

ولكن مع دخوله للروضة، اشتكت المربية والمديرة من سلوكه الغذائي، حيث يضل أحيانا كل الفترة الصباحية دون أكل وإذا ما أعجبتة أكلة فانه ينهي حصته ثم يحاول اخذ حصة زملائه مما يتسبب في شجار بينهم ينتهي دوما بنوبة بكاء شديدة عند رياض.

حاولت المربية التدخل من اجل تعديل السلوك الغذائي عنده ولكن والدته تدخلت وأصبحت تحضر له كل يوم وجبته بالرغم من أنها تعترف أن هذا يضايقها لأنها تضطر للنهوض مبكرا لفعل ذلك وتخشى أن يضل ابنها دون أكل إن لم تفعل ذلك.

وعندما انتقل رياض للتحضيري لازمه هذا السلوك مما جعل معلمته تنقل انشغالها لمدير المدرسة. فنصح أم وليد بأن تستعين بأخصائي من أجل مساعدة ابنها. هذه الأخيرة أصبحت تدرك أن الانتقاء الغذائي ليس بسلوك عابر عند ابنها بل على العكس فان هذا السلوك اصبح يتفاقم مع مرور الوقت.

تتحصر القائمة المفضلة عند رياض في أنواع محددة من الحلويات وعلى رأسها الشوكولاتة التي يتناولها صباحا بدل الحليب، والبيترزا، Les gratins aux fromage دون خضروات، اللحوم البيضاء، قطع الخبز بالجبن، والكاشير. أما الأكلات التي يتجنبها فهي الخضروات، الفواكه ماعدا الموز، البقوليات، والعجائن. غير انه أحيانا عندما يكون مع ابن جارتة يتناول نوع معين من العجائن تباع خصيصا للصغار.

لقد حاز رياض على كل اهتمام والديه إلى درجة أنهما يؤجلان إنجاب أطفال آخرين رغم ضغوطات عائلة الزوج. إن كلاهما يدركان أن سلوك ابنهما مبالغ فيه ولكنهما يعتبرانه سلوك عابر سوف يختفي مع مرور الزمن. وكون والدته طبيبة فهي دائما تقدم له المكملات الغذائية والفيتامينات التي تتحايل على رياض بإخفائها في الأكل أو المشروبات التي تقدمها له.

استنتاج الحالة الثانية:

يعاني رياض من الانتقاء الغذائي المدعم من قبل والديه وتجاهلها لخطورة هذا الوضع. فالطعام هو أكثر الوسائل المستعملة لإثبات أو تأكيد

حبهما لولدهما. فهذا النمط التربوي جعل رياض يفتقر للتجربة الذوقية والتي هي مهمة ومحددة لسلوكه الغذائي مستقبلا وحتى لعلاقته الاجتماعية. فوالدته ترفض أن تتركه يمضي العطلة عند جدته نظرا لتضمر الجميع من سلوكه الغذائي.

الحالة الثالثة:

آية طفلة ذات ثماني سنوات. وهي الثانية بين ثلاثة إخوة، بنتان وولد. ولدت آية بعملية قيصرية، وكان وزنها 3 كلغ. غير أنها لم تكن تعاني من أية مشاكل صحية. تدرس آية حاليا بالسنة الثالثة ابتدائي ونتائجها متوسطة.

وُجهت آية للفحص النفسي مع أختها من قبل خالتها التي تعمل كممرضة والتي ترى ضرورة التدخل بالنسبة للبنتين.

فالأخت الكبرى يسمين تعاني من الخلفة الدهنية وهي نحيفة جدا وذات بنية جسمية ضعيفة. أما آية فهي تعاني من الانتقاء الغذائي منذ سن الرابعة. والجميع يصفها بـ"المدللة".

تعيش آية في وسط عائلي مشحون بالشجار بين الوالدين من جهة، وبين الأم والجدة من جهة ثانية. فلا تتذكر آية أنها جلست وعائلتها كاملة على طاولة الأكل. فوالدتها دائما تحضر الأكل وهي منزعجة وتصرخ عليهم. وإذا ما رفضت آية تناول ما حضرته والدتها فهي تصرخ عليها مما يجعلها تبكي وتذهب عند جدتها لتستعطفها وتحصل على النقود لتشتري ما تريد.

تتمثل القائمة الغذائية عند آية فيما يلي: أغلب المأكولات الجاهزة، البيض المقلي، الجبن، والحليب. وترفض كل الأكل المطبوخ في المنزل. أما فيما يخص الفواكه فهي تُقبل بكثرة على البرتقال، حتى أنها إذا ما وُجد أمامها فهي لا تترك شيء للآخرين. فالانتقاء الغذائي لم يؤثر سلبا على وزن آية، بل على العكس فهي تعاني من الوزن الزائد حتى أن والدتها غالبا ما تصفها بـ"البقرة".

استنتاج الحالة الثالثة:

تعيش آية في جو مشحون بالصراعات والاضطرابات العلائقية. مما يجعلها وأختها تستندان على اضطراب السلوكيات الغذائية لجلب انتباه والدتهما دون جدوى. فالأم تحمل أولادها مسؤولية تركها لعملها وتواجدها في هذه الوضعية. ويأتي الانتقاء الغذائي عند آية كتعبير على هشاشة التوازن النفسي، الصحي، الأسري، والمدرسي الذي تعيشه.

استنتاج عام عن الحالات:

تحتاج عملية النمو السليم للطفل إلى مقومات نفسية-عاطفية متوازنة. فالحرمان العاطفي والصلابة في التعاملات مثلما هو الحال بالنسبة لنهال وآية، أو الإفراط في التسامح مع غياب معايير تربوية وحدود واضحة مثلما هو الحال بالنسبة للحالة الثانية رياض، يجعل الطفل يختبر إمكانياته في جلب اهتمام والديه أو فرض هيمنته عليهم.

ويستند الاطفال عادة على اضطراب السلوكيات الغذائية للتعبير عن ضائقتهم النفسية والعلائقية لان الأولياء يولون أهمية بالغة لعملية التغذية كوسيط علائقي يقيسون به كفاءتهم كأولياء.

فالتنوع الغذائي ليس بفعل طبيعي بل على العكس يحتاج إلى عملية تعلم طويلة ومعقدة تستند على صيرورة حسية وعلائقية. يستند خلالها الطفل على الكبار شريطة ان يتميزوا بتوازن نفسي وذهني من مساعدة الطفل لبلوغ نمو سليم.

بالنسبة للحالات الثلاث، نصحت الأخصائية النفسية بالتكفل العلاجي النسقي الذي سيمكن العائلات الثلاث من حل النزاعات العلائقية، وخاصة بالنسبة للعائلة الثالثة. ويأتي في الدرجة الثانية اعادة تأهيل السلوك الغذائي عند الأطفال.

توصيات:

1. تدعيم العلاقة أم-أب/طفل خلال المرحلة من 0 إلى 3 سنوات.
2. تدعيم الإحساس بالكفاءة الوالدية عند الأولياء.
3. تنويع السجل الغذائي للطفل عن طريق التعريض المبكر والمتنوع والمتكرر.

المراجع باللغة العربية

1. بدرة معتصم ميموني (2005). الاضطرابات النفسية والعقلية عند الطفل والمراهق. ط 2. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر.
2. محمد عبد المؤمن حسن (1986). **مشكلات الطفل النفسية**. دار الفكر الجامعي. الإسكندرية، مصر.
3. (البستاني، 1983: 831)
4. سامر جميل رضوان (2009). **الصحة النفسية**. ط 3. دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة. الاردن.

Références en langue étrangère

5. Laurent Brondel, Agnés Jacquin, Sophie Meillon, Luc Pénicau (2013). **Le gout: physiologie, rôles et dysfonctionnements**. Nutrition clinique et métabolisme, vol. 27, pp. 123-133.
6. Fantino M. (2012). **Gout des aliments et comportement alimentaire**. Médecine des maladies métaboliques, vol. 6, n° 5.
7. Schwartz C., Chabanet C., Boggio V., Lange C., Issanchou S., Nicklaus S. (2010). **A quelles saveurs les nourrissons sont-ils exposés dans la première année de vie ?** Archives de Pédiatrie, vol. 17, pp. 1026-1034.
8. Rigal N. (2010). **Diversification alimentaires et construction du gout**. Archives de Pédiatrie. vol. 17, pp. 208-212.
9. Robail S., Cambure Lt., Pannier S., Nguyen G., Rollant A.C. (2017). **Un groupe thérapeutique parents-enfants à destination des troubles précoces du comportement alimentaire**. Neuropsychiatrie de l'Enfance et de l'Adolescence, Vol. 65, pp. 487-499 <https://doi.org/10.1016/j.neurenf.2017.09.004>.
10. American Psychiatric Association (2013). *DSM-5: manuel diagnostique et statistique des troubles mentaux* (5e éd). Masson. Paris, France.

المشكلات النفسية والسلوكية لدى طفل الروضة قلق الانفصال نموذج

أ. صافية ملال

د. خديجة كبداني

جامعة محمد بن احمد - وهران 2 -

الملخص:

تهدف الدراسة الحالية إلى معرفة ما إذا كان التحاق الطفل بالروضة يؤدي إلى ظهور قلق الانفصال وأهم المؤشرات الدالة عليه.

ومن أجل تحقيق هذا الهدف تم إجراء دراسة على 6 حالات (2 ذكور و4 إناث) ينتمون إلى روضة الياسمين 1 و2 بوهران، وروضة ميسون وندی وروضة طيور الجنة التابعة لجمعية العلماء المسلمين بغليزان، وتم الاعتماد على المنهج الوصفي وذلك من خلال تطبيق مجموعة من الأدوات تمثلت في شبكة الملاحظة الخاصة بقلق الانفصال لدى طفل الروضة وكذا المقابلة

وخرجت الدراسة في الأخير بنتيجة مفادها أن:

- التحاق الأطفال برياض الأطفال يؤدي إلى ظهور قلق الانفصال،
 - يتجلى قلق الانفصال لدى طفل الروضة في بعض الأعراض النفسية (الانفعالية) مثل: "الحزن والبكاء.."، وبعض الأعراض الاجتماعية مثل (الشعور بالوحدة والانسحاب)، والأعراض المعرفية مثل "الشروود الذهني.."، والأعراض السلوكية مثل "العوانية وقضم الأظافر..."، واضطرابات النوم "الأرق، الكوابيس... .
- الكلمات المفتاحية:** الطفل، الروضة، قلق الانفصال

Abstract:

The current study aims to find out the relation between the entry of children into kindergarten and the separation anxiety, and its most important indicators.

In order to achieve this goal, a study has been made on 6 cases (2 boys and 4 girls) at "Jasmin kindergarten" in Oran and "Mayssoune &

Nada” kindergarten in Relizane‘ based on the descriptive approach using a set of tools represented by the interview and the observation.

We deduced that:

- the entry of children into kindergarten leads to the appearance of separation anxiety, which is manifested by some psychological symptoms such as sadness, crying., social symptoms (loneliness and withdrawal),Cognitive symptoms (difficulty of concentration..) behavioral symptoms (violence and nail biting)‘ and sleep disorders such as insomnia and nightmares.

Keywords: Children ‘kindergarten ‘separation anxiety

Résumé:

L’étude actuelle vise à connaître la relation entre l’entrée des enfants à l’école maternelle et l’angoisse de séparation ainsi que ses indicateurs les plus importants.

Pour cela‘ une étude a été réalisée sur 6 cas (2 garçons et 4 filles) au niveau de la maternelle Jasmin à Oran et Mayssoune & Nada jardin d’enfants à Relizane, basée sur l’approche descriptive en utilisant un ensemble d’outils représentés par l’entretien et l’observation.

On en a déduit que:

- l’entrée des enfants à l’école maternelle mène à l’apparition de l’angoisse de séparation, qui se manifeste par certains symptômes psychologiques tels que la tristesse‘ les pleurs., des symptômes sociaux (la solitude et le sevrage)‘ des symptômes cognitifs (difficultés de concentration..)‘ des symptômes comportementaux (la violence et la morsure des ongles)‘ et les troubles du sommeil comme l’insomnie et les cauchemars.

Mots-clés: enfants‘ l’école maternelle‘ l’angoisse de séparation.

مقدمة:

تعد مرحلة الطفولة المبكرة من المراحل الحاسمة في حياة الإنسان فهي تبدأ من لحظة الميلاد وتستمر حتى سن التمدرس، ففيها تطرأ على الطفل تغيرات جسمية، عقلية، انفعالية، نفسية واجتماعية وكذا يتعرض لعدة

أزمات وخبرات نفسية نتيجة تأثره بظروف المحيط المتغيرة باستمرار والتي تؤثر على نمو شخصيته في المراحل اللاحقة خاصة إذا لم يتم التكفل بها مبكراً، ولعل أبرز خبرة نفسية مؤلمة يعيشها الطفل في هذه المرحلة هي قلق الانفصال الذي يعتبر من الاضطرابات النفسية الشائعة التي تظهر لدى الأطفال، لكن بالرغم من هذا لا توجد معدلات انتشار دقيقة لهذا الاضطراب، حيث ذكر الدليل التشخيصي الرابع للاضطرابات العقلية (DSM4 DSM4)، (76: 1994) وكذا حسن مصطفى (2001: 267) أن نسبة انتشاره تبلغ تقريباً 4% لدى الأطفال في سن التمدرس و1% لدى المراهقين. أما روتير Rutter (2004: 4) فبينت انه منتشر بنسبة 6.8% لدى الأطفال، في حين ثلث هؤلاء الأطفال يكون لديهم قلق مفرط، وتظهر أول علامات القلق التطوري (قلق الانفصال) بعمر مبكرة والتي تبدأ في 8 أشهر أين يميز الرضيع أمه أو من يراه بشكل دائم، لكن ما يلبث أن يعاود الظهور في مرحلة ما قبل المدرسة أو في مرحلة التعليم الأساسي (ثلاث سنوات الأولى)، ويمكن أن يبقى حتى نهاية هذه المرحلة، ويستمر حتى مرحلة المراهقة، إلا أن نسب انتشاره تختلف من مرحلة لأخرى، فهي تصل إلى حدها الأقصى في مرحلة الطفولة وتقل شيئاً فشيئاً في مرحلة المراهقة، إلا أن تأثيره مختلف من مرحلة إلى أخرى، فهو طبيعي في مرحلة الرضاعة (8 أشهر)، أما في مرحلة ما قبل التمدرس والمراهقة يعد مشكلة بحاجة إلى انتباه واهتمام وعلاج.

مشكلة الدراسة:

عرفت الدراسات النفسية قلق الانفصال على انه قلق مفرط ومستمر يعبر عن الخوف من الفراق أو الانفصال المحتمل أو العزلة الفعلية عن الأفراد الذين تربطهم بالطفل ارتباطاً وثيقاً لاسيما الأم، ويكون بالاستئثار والحزن الشديد والبكاء، سوء التوافق، والخلل في الأداء الاجتماعي، وربما الاعتلال الجسدي الحاد (القريطي عبد المطلب، 1998: 40)

ومن الدراسات الرائدة في هذا المجال نجد دراسة تيراي Terrai (1980) التي هدفت إلى المقارنة بين مجموعتين من الأطفال أحدهما خبر الانفصال عن الأم والثانية لم يخبروا الانفصال عن الأم وقد استخدم

الباحث المنهج العيادي واشتملت عينة البحث على مجموعة من الأطفال تتراوح أعمارهم بين (3-6) سنوات في مؤسسة للأطفال الصغار،

وكانت من أهم النتائج أن نقص الرعاية الأموية له أثر بالغ على نمو الأطفال حيث أدى الحرمان من الأم إلى انخفاض معدل النمو في مختلف جوانبه، حيث أظهروا نقصاً في اتزانهم الانفعالي ونموهم الاجتماعي بالانسحاب من المواقف والتأخر في النمو العقلي

ويذهب في ذات السياق ويرمان Werman (2000) من خلال دراسته التي هدفت إلى التعرف على ردود أفعال الأطفال تجاه غياب الأم، حيث استخدم الباحث المنهج العيادي وشملت عينة البحث أطفال يتراوح سنهم بين (3-5 سنوات) وكانت أهم النتائج أن الأطفال أظهروا احتجاجاً على غياب الأم بالإضافة إلى ظهور مظاهر سلوكية سلبية مثل البكاء والصراخ.

ومن جهته هدفت دراسة وستتبرج وآخرين Westernberg et al (2007) إلى التعرف على أسباب انتشار اضطراب قلق الانفصال، والقلق الزائد لدى الأطفال والمراهقين المترددين على العيادة النفسية، وتكونت عينة الدراسة من (118) طفلاً ومرافقاً، واستخدم الباحثون قائمة اضطرابات القلق للأطفال لسيلفرمان ونيل Silverman & Nilles (1988)، وأسفرت نتائج الدراسة عن أن اضطراب قلق الانفصال يرجع في المقام الأول إلى مستوى نمو الأنا في حين يرتبط اضطراب القلق الزائد لمستوى الأنا المثالي.

أما عبدلي لمياء 2013 من خلال دراستها التي هدفت إلى معرفة أهم مؤشرات قلق الانفصال لدى أطفال الروضة من خلال الاختبار تفهم الموضوع للصغار، وتم إجراء الدراسة على عينة مكونة من أربعة حالات (2 ذكور و2 إناث) تراوحت أعمارهم من 4 و5 سنوات، وتم تطبيق المقابلة والملاحظة واختبار تفهم الموضوع للصغار، وخرجت الدراسة في الأخير بالنتائج التالية:

* يظهر قلق الانفصال لدى أطفال الروضة من خلال أعراض كالانسحاب، البكاء والعدوانية،

*كما يظهر قلق الانفصال من خلال اختبار تفهم الموضوع للصغار عبر مجموعة من المؤشرات المتمثلة في: التعلق الشديد بالأم وكذا الخوف من النوم بعيدا عنها،
* هناك اختلاف في موضوع التعلق لدى الطفل (الأب/ الأم) باختلاف سنه وجنسه.

وهناك دراسة دامن كريمة 2011 التي هدفت إلى معرفة العلاقة الموجودة بين دخول الطفل الى الروضة وظهور قلق الانفصال، حيث تكونت العينة من 4 أطفال طبقت عليهم الملاحظة، المقابلة، اختبار تفهم الموضوع للصغار وكذا اختبار خروف القدم السوداء، وخرجت الدراسة في الأخير بنتيجة مفادها أن هناك علاقة بين قلق الانفصال والتحاق الطفل بالروضة.

ومن جهته نجد دراسة كووان Cowan 1996 التي هدفت إلى معرفة العلاقة بين ارتباط الطفل بالوالدين وسلوكاته داخل المنزل وفي الروضة وذلك لدى عينة مكونة من 27 طفل تبلغ أعمارهم ما بين 3 و5 سنوات، وقد تم الاستعانة بمقياس خاص بارتباط الطفل بالوالدين وسلوكه داخل الروضة، وقد خرجت الدراسة في الأخير بالنتائج التالية:

-هناك تشابه كبير في سلوك الطفل أثناء ابتعاد الوالدين عنه داخل المنزل وبين سلوكه في الروضة، وتمثل سلوك الطفل في البكاء والصراخ الشديد، رفض الطعام، ورفض التحدث مع الآخرين

وقد لاحظ Schaefer & Eisen (2007) من خلال دراستهما إلى أن الأطفال الذين يعانون من قلق الانفصال يتميزون باضطرابات انفعالية ووجدانية وبعض السلوكيات غير المرغوب فيها كالتبول اللاإرادي، ورفض النوم بمفرده بعيدا عن أمه، بالإضافة إلى حدوث بعض النوبات العصبية لديهم، كما أنهم يتجنبون المواقف الاجتماعية كالحفلات مثلا والتي لا يجدون الشخص المتعلقون به ضمنها (رشا محمود حسين، 2013: 64).

ومن هذا المنطلق جاءت الدراسة الحالية للتعرف على قلق الانفصال لدى طفل الروضة وذلك من خلال الإجابة على الإشكالية التالية: هل يؤدي

التحاق الطفل بالروضة إلى ظهور قلق الانفصال وفي ماذا تتجلى أعراضه؟

انطلاقاً من الإشكالية المطروحة تم صياغة الفرضية التالية:
- يؤدي التحاق الطفل بالروضة إلى ظهور قلق الانفصال والذي يتجلى في الأعراض النفسية، الجسمية والمعرفية والاجتماعية.

الإطار النظري للدراسة

أولاً: طفل الروضة

1- تعريف طفل الروضة:

طفل الروضة أو طفل ما قبل المدرسة هو الطفل الذي يمر بالمرحلة العمرية من سن 3 سنوات إلى سن 6 سنوات، ويطلق على هذه المرحلة العمرية عدد من المسميات منها مرحلة ما قبل المدرسة، ومرحلة الطفولة المبكرة، ومرحلة اللعب وعمر الابتكار والإبداع

حيث يعرفه عادل عبد الله (1999: 25) "على أنه الطفل الذي يتراوح عمره بين (4- 6 سنوات)، والملتحق بإحدى رياض الأطفال.

2- خصائص طفل الروضة:

يمكن إيجاز خصائص نمو طفل الروضة إلى ما يلي:

أ- النمو الجسمي والحركي:

يشهد النمو الجسمي لطفل الروضة تغيرات في نسب أجزاء الجسم، فالعظام والعضلات تنمو بقدر أكبر ويستمر النمو في منطقة الجذع والأطراف ويصبح مظهر الطفل أقل استدارة وحين يصل الطفل إلى العام السادس تكون نسبة الأجزاء أقرب إلى نسب جسم الشخص الكبير، وبينما يرجع معظم وزن جسم الطفل في المرحلة السابقة إلى زيادة الدهون، فإن الزيادة في هذه المرحلة تعود إلى النمو في أنسجة العضلات والعظام، وتستمر الأسنان اللبنية حتى السن السادسة أو السابعة حين تستبدل بالأسنان الدائمة.

ب-النمو الانفعالي:

السلوك الانفعالي لدى الطفل ينمو تدريجياً في مرحلة ما قبل المدرسة ويزداد تمايز الاستجابات الانفعالية، كما تزداد الاستجابات الانفعالية

اللفظية لتحل تدريجيا محل الاستجابة الانفعالية الجسدية، ومن أهم خصائص انفعالات طفل الروضة أنها غير مستقرة وتتغير بسرعة من البكاء والدموع إلى الضحك، ويستطيع الطفل ضبط انفعالاته تدريجيا عند وصوله لسن الخامسة، حيث يظهر بداية الاستقرار في الانفعالات والقدرة على ضبطها نوعا ما، كما تظهر انفعالاته تمركزه حول الذات مثل الخجل، والشعور بالنقص، والشعور بالذنب، والشعور بالثقة في النفس ومن أكثر الانفعالات التي يمر بها الأطفال في هذه المرحلة الخوف والغضب والغيرة. (محمد عماد الدين، 1995: 32).

ج-النمو العقلي

يرى العالم النفسي **بياجيه** (Piaget) بأن الطفل من سنتين إلى سبع سنوات يمر بمرحلة سماه (مرحلة ما قبل العمليات الواقعية) وهي مرحلة يتصف فيها فكر الطفل بخصائص مميزة من أهمها خاصية (التمركز حول الذات) والتي تعني عدم قدرة الطفل على تمييز منظوره الشخصي على منظور الآخرين، وعلى ذلك فإن الطفل يتصرف كما لو أن الآخرين يدركون العالم بنفس الطريقة التي يدرك بها هو هذا العالم، ومن الخصائص الأخرى التي أشار لها بياجيه والتي تميز تفكير الطفل في هذه المرحلة خاصية (التفكير الحدسي والإحياي) والتي تعني أن فهم الطفل للمفاهيم يكون مرتكزا على ما يراه الطفل وليس على المنطق وفي الغالب فإن فهم الطفل لأي مفهوم أو موقف يكون مركزا على جانب حسي واحد من ذلك المفهوم والموقف هذا من جهة، ويسبغ الطفل الحياة على كل شيء يتحرك حوله بما في ذلك الجماد من جهة أخرى، كما تزداد قدرة الطفل تدريجيا على فهم الكثير من المعلومات البسيطة والتي تقع داخل نطاق اهتماماته وتزداد تدريجيا قدرة الطفل على التذكر المباشر، كما يملك الطفل خيالا واسعا وهذا ما يظهره بوضوح لعبه الإيهامي أو الخيالي (محمد عماد الدين، 1990: 129).

د- النمو اللغوي

يتصف النمو اللغوي للطفل بالنمو السريع والازدياد المستمر في المفردات حيث تتزايد المفردات التي يستخدمها الطفل كل عام وكلما تقدم الطفل في العمر تصبح الجملة التي يلفظها أطول وأكثر تعقيدا، وابتداء من سن 3

سنوات يبدأ الطفل في استخدام الجمل المركبة والتي تتضمن استخدام حروف الجر والضمائر وأدوات النفي وأدوات الاستفهام، وتستمر المفردات وتراكيب الكلام في الازدياد والتنوع والعمق، ويلاحظ أن الطفل ما قبل المدرسة يكثر الحديث حول نفسه وعن اهتماماته الخاصة، ويكثر من ترديد أسماء الأشخاص والأدوات التي تحيط به وكثيرا ما يكرر كلمة (أنا) في حديثه ولكن مع زيادة خبرة الطفل اتساع تجربته تتسع دائرة الأشياء التي يصب عليها اهتمامه أثناء حديثه. كما انه يحب طرح الأسئلة بشكل متكرر ومتتابع وقد أطلق على هذا السن (سن السؤال) لكثرة الأسئلة التي يطرحها الأطفال على الكبار، كما يميل الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين (4 - 6 سنوات)، إلى خلط كلماتهم بالهزل والمزاح، وهم يحبون تكرار الكلمات الجديدة كما يحبون ترديد الكلمات المسجوعة ويستمتعون بها (فتيحة كركوش، 2008: 29).

هـ -النمو الاجتماعي

يتسم النمو الاجتماعي في هذه المرحلة باتساع عالم الطفل وزيادة وعيه بالأشخاص والأشياء، حيث يقل تعلق الطفل بوالديه تدريجيا ويحل محله علاقات يكونها الطفل مع أطفال خارج نطاق الأسرة، ويمكن أن توصف المرحلة العمرية من (3- 6 سنوات) بأنها هي المرحلة الحرجة في عملية التطبيع الاجتماعي للطفل، حيث تتوقف نوعية السلوك الاجتماعي الذي ينمو لدى الطفل في هذه الفترة إلى حد كبير على الظروف البيئية المحيطة به.

وتسمى هذه المرحلة بمرحلة التمرکز حول الذات ولذلك فإن الطفل وعلى الرغم من حاجته ومحاولته في توسيع دائرته الاجتماعية لا يزال بحاجة إلى بعض المساعدة في محاولاته تلك، فهو يحتاج أولا إلى تحقيق ذاته وتنمية ثقته بنفسه ومن ثم تشجيعه على التعاون واللعب الاجتماعي عن طريق الأنشطة والألعاب الجماعية بحيث يتعود الطفل على المشاركة والتعاون تدريجيا وليس عن طريق الإكراه. (فتيحة كركوش، 2008: 29).

3- حاجات طفل الروضة

تتمثل حاجات طفل الروضة في ما يلي:

- الحاجات البيولوجية
- الحاجة إلى الأمن
- الحاجة إلى الحب والعطف
- الحاجة إلى اللعب
- الحاجة إلى الحرية والاستقلالية (كركوش فتيحة، 2008: 20).

II- قلق الانفصال

1- تعريف قلق الانفصال:

يعرفه ميار محمد علي سليمان (2003: 11) " على أنه اضطراب يظهر في صورة انزعاج أو مشاعر مؤلمة ينتج عند الانفصال عن الأم أو الشعور بالتهديد بالانفصال أو الخوف من فقدان الأم أو حدوث مكروه لها ويستدل على قلق الانفصال من أعراضه الفسيولوجية والانفعالية والسلوكية والاجتماعية".

أما الدليل الإحصائي التشخيصي الرابع للاضطرابات العقلية فيعرف قلق الانفصال على أنه قلق زائد حول الانفصال عن المنزل أو الأشخاص الذين يرتبط الطفل بهم ويسبب حزنا شديدا في نطاق العلاقات الوظيفية العامة DSM 4 ، (1994: 76)

2- أعراض قلق الانفصال:

1 - الأعراض الجسمية:

يتجلى قلق الانفصال في ظهور بعض الأعراض الجسمية تتمثل في الأمراض البدنية وخصوصا المعدية المعوية مثل الأم المعدة، الصداع، الغثيان والقيء وخصوصا عند توقع الانفصال أو عند حدوثه، كما أنهم يشكون من آلام وأوجاع في أماكن مختلفة من الجسم وأعراض تشبه الزكام، بالإضافة إلى ذلك فقد يظهر البعض منهم أعراض اضطراب الجهاز الدوري مثل الشعور بضربات القلب، الدوخة، والإغماء وإن كانت نادرة عند الأطفال الصغار ولكنها شائعة لدى المراهقين.

2- أعراض انفعالية:

تبدو المظاهر الانفعالية الدالة على قلق الانفصال في شكل مخاوف منها الخوف من الظلام، القلق التخيلي الغريب كان يرى الطفل بعض العيون تنظر إليه، ويصبحون منشغلين بشخصيات وهمية ووحوش تهم بالهجوم عليهم في حجرة النوم، بالإضافة لذلك تظهر أعراض اكتئابية قد تصبح أكثر ثبوتا بمرور الوقت وما يصاحبه من اضطراب في النوم، الأكل، كما

يتميز هؤلاء الأطفال بالاعتمادية الزائدة والخوف المستمر على من يعتمد عليهم والانطواء والحزن، ويحتاجون لجذب الانتباه دائماً، ويشكون من أن لا احد يحبهم أو يهتم بهم ويتمنون الموت خاصة إذا ما اكرهوا على الانفصال.

3- أعراض معرفية:

يظهر الأطفال المصابين بقلق الانفصال ملامح من الانسحاب الاجتماعي والتبؤ وصعوبة التركيز والتذكر والتفكير والانتباه في الدراسة واللعب مما يجعلهم عرضة للتأخر الدراسي، كما يرفضون رؤية أو زيارة الأقارب والأصدقاء لتجنب معرفة مشاكلهم وسبب غيابهم عن المدرسة أو الأنشطة الأخرى زد على ذلك تكون لديهم اعتقادات كالتوقع المستمر لوقوع الكوارث والحوادث الأليمة والخوف المبالغ فيه على مصدر الرعاية والأمان (الأب - الأم).

4- أعراض سلوكية:

ما يمكن ملاحظته هو أن الأطفال الذين يعانون من قلق الانفصال تظهر لديهم مجموعة من الاضطرابات السلوكية كالخوف من النوم بمفردهم دون وجود احد الوالدين بسبب الخوف من رؤية كوابيس حول موضوع الانفصال عن الوالدين، وكذا عادات مص الأصابع وقضم الأظافر، التبول اللاإرادي ليلاً بالإضافة إلى البكاء المستمر ونوبات الغضب المتكرر، زد على ذلك السلوك العدواني، الخجل الشديد والعصبية التي لا تناسب الموقف (عماد محمد مخيمر، 2006: 145).

3- أسباب قلق الانفصال:

يرجع ظهور قلق الانفصال لدى الطفل إلى عدة أسباب نوجزها فيما يلي:

1- الأسباب النفسية والاجتماعية:

أشار بولبي (Bowlby)، (30: 1978) إلى أن قلق الانفصال يبدأ عندما يكون الطفل صورة ذهنية للام ويتم هذا عند بلوغه 6 أشهر، ويزداد قلق الانفصال باضطراب البيئة الأسرية (فقدان أحد الوالدين: موت، طلاق، انفصال، خلافات)، وكذلك ترك الأم لطفلها فترات طويلة خلال السنوات الأولى من حياته (للعمل مثلا) دون رعاية كافية، فيتكون لدى الطفل اعتقاد بان الأم إذا ذهبت فقد لا تعود، فيبدأ الطفل في التشبث بها والمعاناة

من القلق الشديد والانزعاج لدى غيابها، وتظهر هذه الأعراض بشدة لدى غياب الأم عن الطفل، أو لدى غياب وابتعاد الطفل عن الأم للذهاب إلى الحضانة أو المدرسة، حيث يبدأ الطفل في البكاء الشديد والالتصاق بالأم وعدم الرغبة في تركها، وقد تظهر أعراض قلق الانفصال لدى الطفل في شكل الامتناع عن الذهاب إلى المدرسة، الإحجام عن النوم بمفرده، تكرار الكوابيس المتعلقة بالانفصال والشكوى من أمراض عضوية، وقد يستمر قلق الانفصال في مرحلة المراهقة مما يعوق المراهق عن تحقيق هويته واستقلالته، كما يستمر إلى مرحلة الرشد

2- عوامل القلق المتعلم

ترى نظرية التعلم الاجتماعي أن قلق الانفصال قد يكون سلوكا متعلما حيث أن وجود نموذج والدي لديه وقلق شديد قد يؤدي هذا إلى انتقال هذه المشاعر من الخوف والقلق إلى الأبناء، حيث بينت البحوث النفسية أن قلق الانفصال ينتقل من الوالدين إلى الأطفال عن طريق النمذجة المباشرة، فإذا كان الأب من النوع الذي يخاف فإن الابن قد ينشأ على الخوف من المواقف الجديدة وخاصة البيئة المدرسية، ويخشى الانفصال عن المنزل وعن والديه بالخصوص، وعادة ما يعلم الآباء أبناءهم بالقلق بالمبالغة في تحصيلهم من المخاطر المتوقعة أو بتحويل الأخطار، فمثلا الوالد الذي يختبئ في الغرفة أثناء حدوث العاصفة يجعل الطفل يخشى الأحداث الخارجية (عماد محمد مخيمر، 2006: 144)

3- العوامل الوراثية:

أظهرت دراسات بال دولان وآخرون Bell-Dolan et al. (1990) على بعض اسر الأطفال المصابين بقلق الانفصال أن آباء الأطفال كانوا عرضة للإصابة بقلق الانفصال في طفولتهم، كما بينت الدراسات أيضا أن الآباء المصابين بالهلع والخوف من الأماكن المفتوحة فإن أبناءهم معرضين بدرجة كبيرة لخطر الإصابة بقلق الانفصال، بالإضافة إلى ذلك فإن قلق الانفصال عند الأطفال يتداخل مع الاكتئاب، لذلك تم اعتباره حسب الدراسات انه من مظاهر الاكتئاب (حسن مصطفى عبد المعطي، 2003: 277).

4- النظريات المفسرة لقلق الانفصال:

اختلفت آراء علماء النفس والتربية والمهتمين بدراسة الطفل حول تفسيرات قلق الانفصال حيث قدم كل منهم عدد من التفسيرات والآراء مع إعطاء براهين على ذلك ومن أهم هذه النظريات:

1- نظرية التحليل النفسي:

سعى فرويد من خلال تجاربه وأبحاثه إلى تقديم تفسير علمي للقلق عند الأطفال، وقد ربط بين اعتماد الطفل على والديه بشكل زائد وبين وجود القلق لديه ويرى بأن الاعتماد العاجز للطفل الصغير على حب ورعاية والديه يجعله مستهدفا لقلق الانفصال.

- كما يرجع فرويد هذا النوع من القلق إلى ما يدعوه بالقلق الأولى أو صدمة الميلاد نتيجة انفصال الطفل عن جسم الأم، فالطفل يشعر بشوق شديد إلى أمه نتيجة تعلقه بها، وعدم إشباع هذا الشوق يتحول إلى قلق، فالقلق ناتج عن فقدان الموضوع (الأم غالبا) أو احتمال فقدانه، كما ترى هذه النظرية أن المولود يشعر بعجزه وبذلك تأتي الصرخة الأولى عند ميلاده والتي تتطلب حضور الأم التي تربطه بها علاقة مودة وعطف وحب وهذا يتفق مع أتورانك Otto Rank الذي يفسر القلق أيضا على أساس الصدمة الأولى والذهاب إلى المدرسة يثير القلق لأنه يتضمن الانفصال عن الأم. (سيغموند فرويد، 1984: 152).

2- نظرية التعلق والارتباط:

يعد بولبي Bowlby من رواد هذه النظرية، فقد اهتم بدراسة سلوك التعلق لدى الإنسان وبعض الكائنات الحية الأخرى نظرا لأهميته وتأثيره على نفسية الطفل ويؤكد بولبي أن سلوك التعلق لدى المولود البشري يستمر طيلة حياته على خلاف الكائنات الحية الأخرى، فالطفل يتعلق بأمه من خلال القرب الجسدي بينهما خلال فترة الطفولة الأولى فنراه لا يبتعد عنها، ومع تقدم العمر نراه يبتعد عنها أكثر ملييا لحاجة الاستقلالية واكتشاف الذات إلا أنه لا يلبث أن يعود مسرعا إليها عندما يشعر بخطر ضمن البيئة المحيطة، فهي مصدر الأمن والحب والطمأنينة، كما أنها مصدر تلبية حاجاته الفيزيولوجية وخاصة الحاجة إلى الغذاء، فالأم بالنسبة إليه مصدر أساسي لإشباع حاجاته الأولية والنفسية من حب وحنان

وطمأنينة وعطف. ويرى بولبي بأن الجوانب الأساسية لسلوك التعلق عند الطفل يتمثل بسلوك المص، وسلوك التشبث وسلوك الإلتباع، وسلوك البكاء، وسلوك الابتسام وتنظم هذه الأنظمة بحيث تعمل على بقاء الطفل بالقرب من الأم، وهذه السلوكيات هي التي تحث الأم على إشباع حاجات الطفل من خلال الاتصال معها بشكل مستمر ويحصل من خلالها على الأمان، وتخفف من شعور الخوف لديه فمن الضروري أن يشعر الطفل بعلاقة حميمية دافئة ومستمرة مع أمه، وأشار بولبي إلى أن نوع من المعاناة النفسية في الرشد ترجع إلى الاضطراب في العلاقات الأولى التي كونها الطفل مع أمه (هلا بيسييني، 2011: 49).

3- نظرية التعلم:

يعد كلا من ثروندايك وبافلوف وسكينر من أبرز علماء نظرية التعلم التي تركز على أن التعلم هو التغيير في السلوك الملحوظ والنتائج عن الاستجابة للمثيرات الخارجية البيئية، كما يؤكد بياجيه وبرونر بأن التعلم يتم أيضا عن طريق المعرفة والاكتشاف.

وتؤكد نظرية التعلم أن التعلق بالأم هو دلالة لإخفاق التوتر بحيث أن الأم يعتبر مشيرا محايدا للطفل ولكن إن قامت بتقديم الطعام والراحة للطفل، يقترن هذا المثير المحايد مع استجابة الراحة وبعد حدوث الاقتران بعدد من المرات يصبح الطفل متعلقا بها ويصبح مجرد حضور الأم ذو أهمية للطفل فيتعلق بها ويتوقع حضورها لذلك يصبح الخوف هنا محتملا عند غيابها. (عواملة مزاهرة، 2003: 156).

5- علاج قلق الانفصال:

لقد أجمع العديد من علماء النفس والمعالجين النفسيين على أن علاج قلق الانفصال يحتاج إلى خطة متكاملة الجوانب ولجميع أفراد الأسرة تشمل العلاج الأسري والعلاج النفسي الدينامي للطفل والعلاج السلوكي المعرفي والعلاج الأسري بالعقاقير وهذا أفضل من استخدام كل طريقة على حدة (رضوان سامر، 2009: 388).

الإطار المنهجي للدراسة

1- منهج الدراسة:

تم في هذه الدراسة استخدام المنهج الوصفي والذي هو أحد المناهج الرئيسية التي تستخدم في البحوث الاجتماعية وأكثر ملاءمة لأنه يصف الظاهرة التي نحن بصدد دراستها (قلق الانفصال لدى طفل الروضة) ويصورها كمياً عن طريق جمع معلومات مقننة عن المشكلة وتضخيمها وتحليلها وإخضاعها للدراسة الدقيقة. ونحن هنا عمدنا إلى استخدامه أيضاً لأننا نريد المساهمة في فهم ظاهرة نفسية في الوسط الذي نعيش ونعمل فيه، وخاصة لمعرفةنا كذلك بالجوانب المختلفة لظروف عائلات الأطفال الذين يعيشون قلق انفصال وما يشكله من اضطرابات في النمو النفسي والاجتماعي للطفل.

الأدوات المستعملة في الدراسة:

تم الاستعانة بالأدوات التالية:

* شبكة الملاحظة

تم استخدام شبكة الملاحظة بهدف معرفة الأطفال الذين يعانون من قلق الانفصال والأعراض الدالة على هذا الاضطراب والتي تم إعدادها انطلاقاً من الدراسة الاستطلاعية وكذا الإطار النظري للدراسة (أعراض قلق الانفصال وخصوصاً ما ورد في الدليل التشخيصي والإحصائي الرابع لتصنيف الاضطرابات النفسية DSM4 وكذا مجموعة من المقاييس مثل مقياس السلوك الانفعالي للطفل من إعداد رفيق عوض الله 1997، مقياس قلق الانفصال لأطفال الروضة من إعداد ميار محمد محمد علي سليمان 2003.

وتضم هذه الشبكة أهم الأعراض والسلوكيات وردود فعل الطفل الدالة على قلق الانفصال والمتمثلة في: الأعراض الجسمية، الانفعالية، المعرفية، السلوكية، الاجتماعية، العلائقية، اللغوية، اضطرابات التغذية، اضطرابات الإخراج، اضطرابات النوم.

*المقابلة العيادية:

- يعرفها حامد عبد السلام زهران(1980)"على أنها علاقة اجتماعية مهنية ديناميكية، وجها لوجه بين الأخصائي والمريض في جو آمن يسوده

الثقة المتبادلة بين الطرفين، أي أنها علاقة فنية حساسة تتم فيها التفاعل الاجتماعي الهادف، وتتبادل المعلومات والخبرات والاتجاهات، فهي تهدف إلى التعرف على الحالة وكسب ثققتها وتحديد مشكلاتها ومعاناتها، فهي تجري في مكان مناسب ولفترة زمنية معينة معدلها 45 د أو ساعة، وقد تقل فترة المقابلة أو تطول حسب الحالة. (مصطفى حسن عبد المعطي، 1998: 267).

- وفي هذا البحث تم استخدام المقابلة الموجهة مع أمهات الأطفال، المربيات، من أجل التعرف أكثر على الحالات وخصوصا الذين يعانون من قلق الانفصال بهدف رصد أهم الأعراض الدالة على الاضطراب سواء داخل أو خارج الروضة .

واشتملت المقابلة على دليل ضم المحاور التالية:

* **المحور الأول:** بيانات أولية حول الطفل: وتضم:

اسم الطفل، جنسه، سنه، مدة التحاقه بالروضة، الحالة الاجتماعية لوالديه

* **المحور الثاني:** الأعراض الدالة على قلق الانفصال التي تظهر قبل الحضور إلى الروضة (في البيت) والمتمثلة في: الأعراض الجسمية، الأعراض الانفعالية، الأعراض المعرفية، الأعراض السلوكية

* **المحور الثالث:** الأعراض الدالة على قلق الانفصال والتي تظهر عند الدخول إلى الروضة والمتمثلة في: الأعراض الجسمية، الأعراض الانفعالية، الأعراض المعرفية، الأعراض الاجتماعية، الأعراض السلوكية

الإطار الزمني والمكاني للدراسة:

تم إجراء الدراسة في الفترة الممتدة من 2014/12/04 إلى 2015/02/15 بروضة ميسون وندى وروضة طيور الجنة بجديوية - غليزان- وكذا روضة الياسمين 1 و2 بوهران.

3- عينة الدراسة ومواصفاتها:

تم إجراء الدراسة على عينة تضم 6 أطفال وروعي في اختيارهم الشروط التالية:

- سنهم يتراوح من 3 إلى 5 سنوات

- يعيش الطفل مع والديه
- مدة تواجده في الروضة سنة على الأقل
- اختيار كلا الجنسين ذكور وإناث
- وتميزت العينة بالموصفات التالية:

جدول رقم (01): مواصفات العينة*

الحالات	السن	مدة الالتحاق بالروضة	الحالة الاجتماعية للوالدين
كريمة	4	1 سنة	غير مطلقين
محمد	4	1 سنة	غير مطلقين
ليلي	5	1 سنة	غير مطلقين
عماد	5	1 سنة	غير مطلقين
أمال	4	1 سنة	غير مطلقين
مروى	4	1 سنة	غير مطلقين

* أسماء الأطفال الواردة في الجدول عشوائية وليست أسماء الأطفال الحقيقية

جدول رقم (02): مواصفات العينة حسب الجنس:

الجنس	التكرار	النسبة %
ذكور	2	33.33
إناث	4	66.66
المجموع	6	100

يمثل الجدول رقم (02) توزيع العينة حسب الجنس، ما نلاحظه أن نسبة الإناث تفوق نسبة الذكور والذين كانت نسبهم على التوالي 66.66 % و 33.33 %

جدول رقم (03): مواصفات العينة حسب السن:

السن	التكرار	النسبة
3	0	0
4	4	66.66
5	2	33.33
المجموع	6	100

يمثل الجدول رقم (03) توزيع العينة حسب السن، ما نلاحظه أن اغلب الحالات كانت أعمارهم 4 سنوات والممثلين بنسبة 66.66 % ثم يليها ذوي 5 سنوات والذين تراوحت نسبتهم ب 33.33 %

عرض النتائج ومناقشتها:

1- عرض النتائج:

تنص الفرضية "يؤدي التحاق الطفل بالروضة إلى ظهور قلق الانفصال والذي يتجلى في الأعراض النفسية، الجسمية والمعرفية والاجتماعية" وللإجابة على هذه الفرضية تم الاعتماد على دليل المقابلة الموجهة للأمهات والمربيات والتي استخلصنا منه ما يلي:

***المحور الأول:** وضم البيانات الأولية: حيث تم التعرف على الأطفال والذين كان عددهم 6 أطفال (4 إناث و2 ذكور، تراوحت أعمارهم ما بين 4 و5 سنوات وكانت مدة التحاقهم بالروضة السنة، وكانوا والديهم غير منفصلين

***المحور الثاني:** انطلاقاً من المقابلات المجرات مع أمهات الأطفال تعرفنا على أهم الأعراض الدالة على قلق الانفصال والتي تظهر لدى الأطفال قبل الحضور إلى الروضة والتي حصرناها في الأعراض التالية:

- * الأعراض الجسمية: التمارض والذي تجلى في آلام في الرأس، البطن، اليدين أو الرجلين، حمى، قيئ
- * أعراض انفعالية: حزن، بكاء وصراخ، القلق
- * أعراض سلوكية: ارتواء على الأرض، رفض الاستيقاظ ومغادرة السرير، ملازمة الأم أينما ذهبت (تتبعها من غرفة إلى أخرى)، التشبث بملابس ويد الأم، التباطؤ والتثاقل في ارتداء الملابس، الاحتجاج بالكلام ورفض الذهاب للروضة
- * أعراض معرفية: الشرود، عدم التركيز
- * اضطرابات في النوم: رفض النوم بمفرده، كوابيس

***المحور الثالث:** انطلاقاً من المقابلات المجرات مع الأمهات وكذا المربيات استطعنا حصر الأعراض الدالة على قلق الانفصال التي تظهر لدى الطفل عند حضوره للروضة (حضور الأم) ومدة تواجده في الروضة بعيداً عن الأم في المحاور التالية:

- * أعراض جسدية: تمارض (الم في الرأس، البطن، حمى..) خصوصا عندما تتركه الأم في الروضة وتغادر
 - * أعراض انفعالية: بكاء وصراخ عند دخوله الروضة ومغادرة الأم، وحزن وخجل طول فترة تواجه بالروضة ومناداة الأم كل مرة مصحوب بالبكاء
 - * أعراض سلوكية: التمسك بملابس ويد الأم، الارتواء على الأرض، الإلحاح على الأم بالحضور سريعا لأخذه الجري خلف الأم عندما تغادر الروضة، ضرب الأرض برجليه احتجاجا على تركه في الروضة، عدوانية، عناد، مص الإبهام، قضم الأظافر، التعلق بالمرعبة، البقاء واقفا بجوار الباب ومراقبته، رفض الدخول إلى القسم ورفض الجلوس
 - * أعراض اجتماعية: انسحاب وعدم المشاركة في أنشطة الروضة، رفض التكلم مع احد
 - * أعراض معرفية: الشرود، صعوبة التركيز
 - * أعراض متعلقة بالتغذية: فقدان الشهية ورفض الأكل داخل الروضة
 - * أعراض متعلقة بالإخراج: التبول اللاإرادي
- وللإجابة على الفرضية تم الاعتماد أيضا على شبكة الملاحظة والتي تم تطبيقها على حالات الدراسة (أطفال الروضة) والتي ضمت مجموعة من الأعراض تدل في مجملها على أعراض قلق الانفصال، وكانت نتائجها حسب ما هو مبين في الجدول رقم (04) كما يلي:

جدول رقم (04): نتائج شبكة الملاحظة الخاصة بالحالات الستة

النسب	الحالة	الحالة 5	الحالة 4	الحالة 3	الحالة 2	الحالة 1	الحالات
100%	X	x	x	x	X	x	أعراض انفعالية/نفسية
66.66%	X	x		x		x	أعراض
66.66%			x	x	X	x	أعراض اجتماعية
33.33%					X	x	أعراض معرفة
83.33%	x	x		x	X	x	أعراض
100%	x	x	x	x	X	x	أعراض علائقية
33.33%		x			X		أعراض لغوية
100%	x	x	x	x	X	x	اضطرابات النوم
83.33%	x	x		x	X	x	اضطرابات التغذية
33.33%	x	x					اضطرابات الاخراج

يوضح الجدول رقم (04) نتائج شبكة الملاحظة الخاصة بالحالات الستة، ما يمكن قوله حول النتائج أن كل الحالات أظهرت أعراضا دالة على قلق الانفصال والتمثلة في الأعراض النفسية (حزن، بكاء، صراخ، خجل...) والعلائقية (التعلق الزائد بالأب، الأم أو المربية) بالنسبة للحالة السادسة)...، واضطرابات في النوم (ارق، كوابيس، رفض النوم بعيدا عن الأم أو الأب، بكاء ومناداة الأب أو الأم عند النوم..) والتي كانت نسبتها 100 %، وتلتها الأعراض السلوكية (عدوانية، عناد، قضم الأظافر، مص الأصابع...) واضطرابات التغذية (كفقدان الشهية ورفض الأكل...) بنسبة 83.33 % والتي مست جميع الحالات ما عدا الحالة الرابعة، ثم جاءت الأعراض الجسمية (قيء، آلام بالمعدة، حمى..).

والاجتماعية (انعزال، رفض المشاركة في أنشطة الروضة..). والتي كانت نسبتها 66.66 % والتي لم نلمسها لدى الحالتين الثانية والثالثة (أعراض الجسمية) والحالتين الخامسة والسادسة (أعراض الاجتماعية)،

وأخيرا حصلت الأعراض المعرفية (شروود ذهني، عدم القدرة على التركيز...) واللغوية (تأتأة وتلعثم في الكلام.. .) واضطرابات الإخراج (خصوصا التبول اللاإرادي) على أدنى نسبة وكانت 33.33 % والتي ظهرت لدى الحالتين الأولى والثانية (أعراض معرفية)، والحالتين الثانية والخامسة (أعراض لغوية)، والحالتين الخامسة والسادسة (اضطرابات الإخراج).

2- مناقشة النتائج

سيتم مناقشة النتائج المتحصل عليها وذلك في ضوء الفرضية المطروحة وهذا استنادا على الجانب التطبيقي، الجانب النظري وكذا الدراسات السابقة

وتنص الفرضية على أن "التحاق الطفل بالروضة يؤدي إلى ظهور قلق الانفصال الذي يتجلى في الأعراض النفسية، الجسمية، الاجتماعية، معرفية..."، فمن خلال نتائج المقابلات المجرات مع أمهات الأطفال وكذا المربيات ونتائج شبكة الملاحظة المطبقة على الحالات الستة اتضح أنهم يعانون من قلق الانفصال وهذا نتيجة لالتحاقهم بالروضة والذي تجلى من خلال:

- الأعراض الجسمية (قيء، حمى، آلام بالمعدة، صداع) التي ظهرت لدى جميع الحالات ماعدا الحالتين الثانية والرابعة.
- الأعراض الانفعالية (بكاء، صراخ، خوف، خجل، قلق) التي ظهرت لدى جميع الحالات
- الأعراض الاجتماعية (الانسحاب، رفض التكلم مع احد، عدم المشاركة في أنشطة الروضة) التي ظهرت لدى جميع الحالات ماعدا الحالتين الخامسة والسادسة
- الأعراض المعرفية (شروود ذهني وصعوبة في التركيز) التي ظهرت لدى الحالتين الأولى والثانية
- الأعراض السلوكية (كالعدوانية وقضم الأظافر...) والتي ظهرت لدى جميع الحالات ما عدا الحالة الرابعة.

- الأعراض اللغوية والتي تمثلت في ظهور التأتأة لدى الحالتين الثانية والخامسة

- إلى جانب ذلك ظهور اضطرابات خاصة بالنوم (كالخوف من النوم بعيدا عن الأم الذي ظهر لدى جميع الحالات) والتغذية (كفقدان الشهية التي ظهرت لدى جميع الحالات عدا الحالة الرابعة) وكذا الإخراج (خصوصا التبول اللاإرادي الذي ظهر لدى الحالتين الخامسة والسادسة).

ومن هذا المنطلق يمكن القول أن هذه الفرضية قد تحققت وهي نتيجة تتوافق مع ما جاء في الجانب النظري وخصوصا ما ورد في الدليل التشخيصي الرابع للاضطرابات النفسية DSM4 (الشكوى المتكررة من الأعراض الجسمية: قيء وصداع وآلام بالمعدة، تكرار كوابيس الانفصال، خوف ومقاومة مستمرة من الذهاب إلى المدرسة، الخوف من الوحدة بعيدا عن من يتعلق به، يسبب الاضطراب خلل في الوظائف الاجتماعية).

وكذا الدراسات السابقة كدراسة كووان COWAN " (1996)، ودراسة ويرمان Werman (2000) وكذا دراسة عبدلي لمياء (2013) ودامن كريمة (2011) وأيضا دراسة Schaefer & Eisen (2007) حيث لاحظنا أن الأطفال الذين يعانون من قلق الانفصال يتميزون باضطرابات انفعالية ووجدانية وبعض السلوكيات غير المرغوب فيها كالتبول اللاإرادي، ورفض النوم بمفرده بعيدا عن أمه، بالإضافة إلى حدوث بعض النوبات العصبية لديهم، كما أنهم يتجنبون المواقف الاجتماعية كالحفلات مثلا والتي لا يجدون الشخص المتعلقون به ضمنها (رشا محمود حسين، 2013: 64).

خلاصة عامة

يعتبر قلق الانفصال من المشكلات النفسية والسلوكية التي يعاني منها الكثير من أطفال الروضة والذي يتجلى في أعراض جسمية ونفسية وكذا معرفية واجتماعية والتي يكون لها اثر سلبي على المدى الطويل أو القصير على جميع جوانب النمو لدى الطفل والذي يستدعي منا كأخصائيين ودارسين لمجال الطفولة الاهتمام بهذه الفئة (أطفال الروضة) بهدف التعمق أكثر في فهم هذه المشكلة ومسبباتها التي أصبحت

تؤرق الكثير من الأسر، وبالتالي الوصول إلى أفضل الطرق للتكفل بالطفل الذي يعاني من قلق الانفصال وهذا سعيًا لتحقيق التوافق النفسي والاجتماعي لديه، وعليه ارتأينا أن نختم دراستنا هذه بمجموعة من التوصيات والاقتراحات نوجزها في النقاط التالية:

- إجراء دورات تدريبية للمربيات بالروضة لتحسيسهم بمختلف الاضطرابات التي يعاني منها طفل الروضة.
- ضرورة التواصل بين الأولياء والروضة للتكفل أكثر بالطفل.
- ضرورة توفير الأخصائي النفسي في كل روضة حتى يتم التكفل أكثر بالطفل.

- إجراء دراسات وندوات علمية توضح طرق التكفل بالطفل الذي يعاني من اضطرابات نفسية وسلوكية عند التحاقه بالروضة أو المدرسة

قائمة المراجع:

- 1- ب. وولمان (1995)، **مخاوف الأطفال**، ترجمة محمد عبد الظاهر الطيب، دار المعارف، القاهرة
- 2- بيسيبي هلا أمين (2011)، **قلق الانفصال لدى طفل الروضة وعلاقته بالتوافق الزواجي**، كلية التربية، دمشق
- 3- كركوش فتيحة (2008)، **سيكولوجية طفل ما قبل المدرسة**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر
- 4- محمد عماد الدين إسماعيل (1995)، **الأطفال من الحمل إلى الرشد**، دار القلم، الكويت
- 5- ميار محمد علي سليمان (2003)، **فعالية برنامج إرشادي لخفض قلق الانفصال لدى أطفال الروضة**، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الزقازيق
- 6- سيغموند فرويد (1984) **التحليل النفسي لرهاب الأطفال**، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، لبنان
- 7- عادل عبد الله محمد (1999)، **دراسات سيكولوجية نمو طفل الروضة**، دار الرشد، القاهرة
- 8- عبد المطلب امين القريبي (1998)، **الصحة النفسية، دار الفكر، القاهرة**
- 9- عبد المعطي حسن مصطفى (2003)، **الاضطرابات النفسية في الطفولة والمراهقة**، كلية التربية، جامعة الزقازيق، القاهرة
- 10- عماد محمد مخيمر (2006)، **المشكلات النفسية للاطفال بين عوامل الخطورة وطرق الوقاية والعلاج**، مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة
- 11- عواملة حابس مزاهرة أيمن (2003)، **سيكولوجية الطفل، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن**
- 12- رشا محمود حسين (2013)، **الفوبيا المدرسية**، دار الجامعة الجديدة - الإسكندرية

- 13- DSM 4 (1994)‘ **Manuel diagnostique et statistique des troubles mentaux** ‘Masson ‘Paris
- 14- J.Bowlby (1978)‘**La séparation ‘angoisse et colère** ‘PUF ‘Paris
- 15-Rutter‘ M‘Foley (2004) ‘**Informant disagreement for separation anxiety disorder** ‘child -adoles psychiatry ‘p43-60

الهرمنيوطيقا، أو فلسفة التأويل

د. امحمد عيساني

معهد الآداب واللغات

المركز الجامعي أحمد بن يحيى الونشريسي تيسمسيلت

مقدمة

لقد كانت الدراسات النقدية السابقة، وإلى زمن قريب، مهتمة بمفهوم المؤلف، باعتباره يمثل الركيزة الأساسية في العملية الإبداعية والنقدية.

ومع بداية النصف الثاني من القرن العشرين، وهو عصر التحولات الكبرى في جميع الحقول، رُفض تبني المنهج الواحد، كما رُفض حتى مصطلح المنهج وقيل بتحليل النصوص. وهكذا بدأ الاهتمام بـ(النص)، فأعطيت الحرية لكل قارئ في أن يفسر النص على هواه، ويضع له ما شاء من المعاني. " وقد بدأ هذا الاهتمام بالقارئ منذ مدرسة (كونستانس) الألمانية، وحتى أمبرتو ايكو Umberto Eco الإيطالي (القارئ في الحكاية)، الذي يرغب في أن يترك النص للقارئ المبادرة التأويلية، وهكذا دخل النقد (عصر القارئ) الذي يؤول النصوص كما يشاء، (...) ويسمح لنفسه بأن تؤول (المنهج التأويلي) وتأتي بدلالات خاصة " (م. عزام، 2004. ص 50).

1- معنى التأويل أو الهرمنيوطيقا:

الهرمنيوطيقا، أو كما تسميها بعض الكتابات المعاصرة بـ(علم التأويل)، فهي تبحث عن فهم النص وتفسيره، وقد اشتق هذا المصطلح من كلمة هرمس في اليونانية، وهو ملاك ينقل تعاليم الآلهة ورسائلها إلى الأرض.

أما في تطبيقاته الحديثة، وانطلاقا من شلايرماخر Friedrich D. E. Schleiermacher وديلتاي Wilhelm Dilthey، فهو يختلف عما كان عليه عند أرسطو Aristote. إذ أصل الهرمنيوطيقا " هو دراسة النصوص المقدسة كالتوراة والانجيل وما يسمى بالتفسير ثم التأويل في الفقه الإسلامي. كما يدرس التأويل الأفعال الإنسانية وكانها نصوص. فإذا

اعتبرنا أن أفعال الإنسان تتضمن معنى أو معاني ومقاصد فمن المعقول أن يبحث المنهج الهرمنيوطيقي في معاني هذه الأفعال " (ر. العتيري، 1999. ص 80).

(أ) - التأويل لغة واصطلاحاً:

جاء في لسان العرب أن جذر كلمة تأويل هو "آل" فال إلى الشيء، بمعنى عاد ورجع إليه، و"آل" عنه أي ارتد. والمآل إلى الشيء والارتداد عنه لا يكون إلا إذا أدرك معناه وفهم مقاصده، ويقال أول الكلام تأويلاً، وتأوله، دبّره، وقدره، وفسره (لسان العرب، "ال").

وجاء كذلك في القرآن الكريم، قوله تعالى "وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث" (سورة يوسف، الآية، 6). ومعنى تأويل الأحاديث، هو استجلاء مقاصدها.

أما في المفهوم الغربي، فإن كلمة تأويل تقابلها لفظة Hermeneutic أو Interpretation، وقد شاع استعمال الأولى عن الثانية، نظراً لارتباط الثانية بالتفسير. والتفسير مرحلة من مراحل التأويل، كما سيأتي ذلك لاحقاً.

وترد كلمة Hermeneutic إلى أصلها اليوناني Hermeneuein الذي يعني (يفسر) والاسم hementia ويعني (تفسير)، وتعني كذلك، في استعمالها اللاهوتي، أن لغة الوحي الإلهي، هي في حاجة إلى استجلاء وفهم (أنظر Friedrich D. E. Schleiermacher، 1987). وفي رأي آخر، فإن أصل هذه الكلمة مشتق من Hermes هرمس، رسول الآلهة في الأساطير اليونانية، المفسرة لأصل الوجود، " الذي كان بحكم وظيفته يتقن لغة الآلهة ويفهم ما يجول بخاطر هذه الكائنات الخالدة، ثم يترجم مقاصدهم وينقلها إلى أهل الفناء من البشر" (م. عادل، 2003. ص 17).

أما في مفهومها الاصطلاحي الحديث، وبالتحديد في القرن التاسع عشر، فهي تعني النصوص وتفسيرها، أو كما يقول غادامر: "هي حل إشكالية الفهم بحصر المعنى ومحاولة الإطاحة به بواسطة تقنية ما" (ج. غادامير، 1988، العدد 03)، فمبادئ الهرمنيوطيقا كما يرى ديلتاي أنها هي التي تنير لنا الطريق للوصول إلى نظرية عامة في الفهم، "إنها

الوصول إلى معاني النصوص المكتوبة بما في ذلك النصوص القانونية والتعبيرية والأدبية والدينية" (م. الرويبي، س. البازغي، 2002. ص 89).

التأويل هو تحديد المعاني اللغوية، وإعادة صياغة المفردات بالتركيز على المقطوعات الغامضة والمجازية التي يتعذر فهمها. وعليه يمكن القول: إنه "لا حدود تُوَطر مجال هذا المصطلح (التأويل) سوى البحث عن المعنى والحاجة إلى توضيحه وتفسيره (...). كما لا توجد مدرسة هرمنيوطيقية معينة ولا يوجد من يمكن أن يطلق عليه صفة الهرمنيوطيقية. ولا هي كذلك منهج تأويلي له صفاته وقواعده الخاصة أو نظرية منظمة" (م. الرويبي، س. البازغي، 2002. ص 88).

إذا فمهمة الهرمنيوطيقا هي البحث في فهم النص بشكل عام، وذلك عن طريق إثارة الأسئلة الممكنة حول طبيعة النص وعلاقته بمحيطه من جهة، ومع منشئه وقارئه من جهة ثانية.

وأول من استخدم هذا المصطلح، هو أرسطو في كتابه الأركانون، باب منطق القضايا، حيث يقول: "هرمينيا هي قول شيء عن شيء" وفي القرون الوسطى استخدم مصطلح الهرمنيوطيقا بمعنى تفسير وتأويل الكتاب المقدس، فهو يشير إلى مجموعة من القواعد التي يجب على المفسر إتباعها لفهم النص الديني (الكتاب المقدس)، وبعدها توسع هذا المصطلح ليشمل كافة النصوص ذات المجال الإنساني كالتاريخ، وعلم الاجتماع والفلسفة والنقد الأدبي، ويعود أول كتاب طبع في الهرمنيوطيقا إلى مؤلفه دان هاور سنة 1654.

خلاصة القول أنه لا يمكن لنا أن نعثر على تعريف محدد وواضح للهرمنيوطيقا، وذلك لاختلاف الآراء حوله، من حيث الموضوع والهدف، فقد ذكرت له تعريفات متعددة منها مثلا: "نظرية تفسير الكتاب المقدس، ميثلوجيا فقه اللغة العام، علم كل فهم لغوي، الأساس المنهجي للعلوم الإنسانية، فينومينولوجية الوجود والفهم الوجودي" (م. عادل، 2003. ص 45).

وتعرف الهرمنيوطيقا اليوم، على أنها فن الفهم والتفسير (F. D. E. Schleiermacher، 1987، p 05)، والهرمنيوطيقا باليونانية

هرمينيا Hermeneuein معناها التعبير والشرح، والترجمة من لغة إلى أخرى، كما يعرفها كذلك بول ريكور Paul Recœur، "بأنها جهة من جهات الفهم" (ر. العتيري، 1999. ص 79).

(ب) - الهرمنيوطيقا وسلطة القارئ:

إذا كنت القراءة هي الركيزة الأساسية في عملية الأداء التحليلي والاستقرائي لتحصيل رؤية معينة في عملية تفسير النص، فإن الهرمنيوطيقا كأداة تحليلية هي التي تتناول بالدرس معضلة تفسير النص بشكل عام، سواء كان نصا تاريخيا أم نصا دينيا، وتركز اهتمامها على علاقة المفسر بالنص.

فسلطة القارئ، أداة تؤدي وظيفة محورية في علاقتها مع آليات القراءة الأخرى (سلطة النص، المرجعيات التي تخص كل من النص والقارئ) وعليه يمكن وصف سلطة القارئ، بأنها الاقتراب من منطقة النص المكتوب وفق منهجية عمل محددة تتحرى مداخل النص المتوقعة والمقترحة، وذلك قبل الولوج إلى بوطنه، حيث يتم هذا التحري عن طريق بناء شبكة من العلاقات مع النص تساعدنا في عملية القراءة الصحيحة وتسهل على القارئ تنفيذ بعض من سلطته.

وسنعرض أهم النظريات في هذا المجال حسب مراحلها الزمنية.

(2) - مرحلة الهرمنيوطيقا الكلاسيكية:

- من لوثر إلى شلايرماخر: (حرية الفكر)

إن تقصي تاريخ النظرية الهرمنيوطيقية يحيلنا بدءا إلى كتابات رجال لاهوت القرن السابع عشر البروتستانت من الألمان، هؤلاء الذين طوروا منهج فهم الكتاب المقدس لتدعيم أساس لاهوتهم.

إنه مع ظهور حركة الإصلاح البروتستانتية، طرح إشكال تفسير الكتاب المقدس من دون الحاجة إلى مساعدة الكنيسة، حيث كان لازاما على الكهنة البروتستانت، وهم الذين قطعوا صلتهم مع الكنيسة، أن يجدوا لأنفسهم مخرجا في تدريس وتفسير الكتاب المقدس، من دون الاستناد إلى سلطة الكنيسة، من هذا الجانب "ألحت الحاجة إلى تأسيس مبادئ أو معايير للتفسير الصحيح" (م. عادل، 2003. ص 46).

ويعد كتاب دان هاور الموسوم بالهرمنيوطيقا (طبع سنة 1654) أول كتاب تضمن الدعوة إلى تفسير الكتاب المقدس، حيث وجد في حركة الإصلاح الديني، التي أسسها لوثر، الركيزة الأساسية في دعوته لإرساء "القواعد اللازمة للتفسير الصحيح للكتاب المقدس، (...)" (م. عادل، 2003. ص 46)، وترى هذه المنهجية أنه لا يوجد أي عائق من اكتشاف حقيقة النص وفهم قصد المؤلف، فهما موضوعياً.

والهرمنيوطيقا الكلاسيكية لا تختلف في عمقها عن المعنى التقليدي لمصطلح التفسير، فهو يعني إزالة المفسر للغموض عن قصد المؤلف.

والفهم حالة طبيعية في مضمون الهرمنيوطيقا الكلاسيكية، وبالتالي فالأمر يتطلب إزالة العقبات التي تحول دون الوصول إليه. وعلى هذا الأساس تكون "الهرمنيوطيقا عبارة عن علم يبين لنا منهج الفهم الصحيح للنص، فتبدأ مهمتها حينما تتعثر عملية الفهم، وتتوقف المسيرة الطبيعية لها بسبب وجود بعض الغموض في النص" (هاشم الهاشمي، مقال بالانترنت).

3- مرحلة الهرمنيوطيقا الرومانسية:

أ- شلايرماخر: (علم الفهم).

يمثل المفكر الألماني فريدريك شلايرماخر Friedrich Schleiermacher (1768 - 1834) الموقف الرومانسي بالنسبة لفلسفة التأويل أو الهرمنيوطيقا، وهي المرحلة الثانية بالنسبة للهرمنيوطيقا الكلاسيكية، أي ما يسمى بـ "الهرمنيوطيقا الرومانسية"، وله الفضل الكبير في نقل هذا المصطلح من دائرة استخدامه اللاهوتي إلى دائرة استخدامه في مجال تحليل النصوص، حيث يكون علماً أو فناً لعملية الفهم والتفسير.

وقد جعلت الهرمنيوطيقا الرومانسية من مهمتها الأساسية تحقيق التجانس بين النص والناقد، حيث يعلم القارئ الحدث النفسي للمعنى الذي خضع له المؤلف أولاً. ويصف شلايرماخر هذه العملية بمصطلح "الدائرة الهرمنيوطيقية" "le cercle hermeneutique"، "والدائرة بوصفها كلاً تحدد كل جزء مفرد فيها، والعكس أيضاً صحيح، فالأجزاء المفردة تكوّن الدائرة الكلية وتحددها. الجملة على سبيل المثال هي وحدة كلية، ونحن نفهم معنى الكلمة المفردة داخل الجملة بإحالتها إلى الجملة الكلية، والجملة بدورها

يعتمد معناها الكلي على معنى كلماتها المفردة. وتمتد هذه العلاقة التبادلية لتشمل المفاهيم الذهنية، (...) وخلال هذا التفاعل الجدلي بين الكل والجزء يمنح كلُّ منهما الآخر معنى ومغزاه. الفهم إذن عملية دائرية، والمعنى لا ينهض إلا داخل هذه الدائرة" (م. عادل، 2003. ص ص 67، 68).

(ب)- تصور شلايرماخر للهرمينوطيقا:

إن المتتبع لكتابات شلايرماخر وبالتحديد منذ سنة 1805 وهي السنة التي بدأت تدرس فيها أعماله، يجد أن للهرمينوطيقا مكانة خاصة في تأملاته الفلسفية، فتصوره لها قائم على أن النص في أساسه، وسيط لغوي ينقل فكر المؤلف إلى القارئ، "وبالتالي فهو يشير في جانبه اللغوي - إلى اللغة بكاملها. ويشير في جانبه النفسي - إلى الفكر الذاتي لمبدعه" (أبو زيد، ح، 2001. ص 20). من هنا تصبح العلاقة بين الجانبين علاقة جدلية، فكلما تقدم النص في الزمن أصبح غامضا بالنسبة لنا، وغريب عنا، ومن ثم صار هذا المنتج أقرب إلى سوء الفهم منه إلى الفهم.

وعليه، وفي رأي شلايرماخر، لا بد من قيام (علم) أو (فن) يعصمنا من سوء الفهم ويجعلنا أقرب إليه، فينطلق في وضع قواعد الفهم من تصوره لجانبي النص، اللغوي والنفسي، وإليه يعزى هذا العمل، فهو الذي جعل من الهرمينوطيقا علما يصف الشروط اللازمة للفهم في أي حوار كان. فقد "كانت ثمرة هذا السعي لا مجرد هرمنوطيقا فيلولوجية بل (هرمنوطيقا عامة) يمكن لمبادئها أن تقدم أساسا لتأويل النصوص بجميع أنواعها" (م. عادل، 2003. ص 49). لأن هذا الفن هو في حقيقة الأمر فن ذو بُعد من حيث المهية، سواء كان النص نصا تشريعيا أو نصا دينيا أو نصا أدبيا.

فالمفسر يحتاج للنفاذ إلى متون النص، إلى موهبتين، الموهبة اللغوية، والقدرة على النفاذ إلى الطبيعة البشرية.

- الموهبة اللغوية وحدها لا تكفي لأن الإنسان لا يمكن أن يعرف الإطار اللامحدود للغة.

- كما أن الموهبة في النفاذ إلى الطبيعة البشرية لا تكفي لأنها مستحيلة الكمال، لذلك لا بد من الاعتماد على الجانبين، ولا يوجد ثمة قواعد لكيفية تحقيق ذلك" (أبو زيد، ح، 2001. ص 21).

ولكن ما هي طبيعة العلاقة بين فكر المؤلف (أو نفسيته) وبين الإطار اللغوي (الوسيط) الذي يتم فيه التعبير؟

يرى شلايرماخر أن اللغة هي السبيل الوحيد الذي يمكن للمؤلف أن يسلكه، ومن خلاله، يعبر عن فكره، وهذا جانب موضوعي يجعل عملية الفهم ممكنة. أما الجانب النفسي فيمكن في عملية استعمال اللغة وتعديل بعض معطياتها، (الاستخدام الخاص للغة).

إذن هناك في كل نص جانبان يشيران إلى تجربة المؤلف، "التي يسعى القارئ إلى إعادة بنائها بغية فهم المؤلف أو فهم تجربته" (أبو زيد، ح، 2001. ص 21).

- **جانب موضوعي:** ويتمثل في لغة النص، وهذا الجانب مشترك بين المؤلف والأخرين العارفين بلغته، كأن يملك القارئ الفهم الشامل الدقيق لأنواع الألفاظ والصور اللغوية، والثقافة التي عاشها مؤلف النص وساهمت في خلق تفكيره وآرائه.

- **جانب السيكولوجي:** وهو فكر المؤلف وذهنيته، أي الوعي الفني والنفسي بذهنية المؤلف الإبداعية، والوصول لمقاصده من النص، وهذا الجانب يعتمد على ضرب من التنبؤ يقوم به المفسر.

لم يضع شلايرماخر منهجاً لتفسير النص، بل قدم لنا بعض المعايير التي رآها ضرورية ومناسبة لتجنب سوء الفهم، فهو يطالب المفسر مهما ابتعد عن زمان المؤلف، عليه "أن يتباعد عن ذاته وأفقه التاريخي الراهن لفهم النص فهماً موضوعياً تاريخياً، وأن يساوي نفسه بالمؤلف، وأن يحل مكانه عن طريق إعادة البناء الذاتي والموضوعي لتجربة المؤلف من خلال النص، ويعتبر ذلك الأساس الهام للفهم الصحيح" (هـ. الهاشمي <http://library.tebyan.net>)، أي إنه يؤكد على ضرورة معرفة الظروف التاريخية التي عاش فيها المؤلف ومكوناته الثقافية التي ساعدته في كتابة النص.

إن دعوة شلايرماخر المفسر إلى الوصول إلى أقصى طاقته في تفسير النص، ولو بالتقريب، هو ضرب من الحدس والتنبؤ. "ومن هنا يتبين السبب في تسمية نظريته بالرومانسية، لأنها تأثرت بالحركة الرومانسية

التي شاعت آنذاك في أوروبا، وهي تعني في بعض معانيها، محاولة اكتشاف العالم الداخلي للفنان وانفعالاته ومشاعره، ولكنها في الوقت نفسه تؤكد على دور القارئ وانطباعاته ومشاعره الذاتية تجاه العمل الفني، وتفاعله مع مشاعر الفنان والعمل الأدبي والفني، وتؤكد أيضاً على جزم الإنسان بسهولة بمدركاته عن الواقع"

(هـ. الهاشمي <http://library.tebyan.net>).

من هنا نجد أن **شلايرماخر** لا يؤكد كثيراً على "المنهج والقواعد التي وضعتها الهرمنيوطيقا الكلاسيكية لإزالة الغموض في الفهم، ولتحقيق الجزم والاطمئنان في وصول المفسر لقصد المؤلف تماماً، ولجميع المعاني الداخلية في النص" (هـ. الهاشمي <http://library.tebyan.net>)، بل يطلب من المفسر أن يمتلك ملكتي الحدس والتنبؤ، حتى يتمكن من اكتشاف أبعاد النص المتعددة، بمعنى أن يحول القارئ نفسه إلى كاتب.

بهذا الطرح يكون **شلايرماخر** قد أحالنا إلى نظرية فرويد في بحوثه حول اللاشعور. لأنه يعتقد كثيراً بقصد المؤلف ومراده المباشر من نصه، وإن كان هذا النص يحمل معنى نهائي، ولكن هذا المعنى النهائي الكامن في النص أعمق من هذا المراد المباشر للمؤلف.

لذلك ولمعرفة المعنى النهائي للنص، لابد على القارئ من دراسة الخصائص الفردية والحالات النفسية لشخصية المؤلف، وكذلك معرفة الظروف الثقافية والحضارية لعصر المؤلف، لأنها تمثل الأسس الحقيقية لرسالة المؤلف وقصده ووعيه الثقافي، فكان النص تعبيراً عن تلك الظروف والنظام الحضاري الحاكم فيها.

والحلقة عند **شلايرماخر** "هي الانتقال من التخمين عند المعنى "الكلي" للعمل إلى تحليل أجزائه عبر علاقتها بالكل، يعقب ذلك العودة إلى تعديل فهم العمل "كله". وتجسد الحلقة الاعتقاد بأن الأجزاء والكل يعتمد أحدهما الآخر وأنها يرتبطان بعلاقة عضوية ضرورية. ومن خلال تفسير التأويل بهذه الطريقة، تصبح الفجوة التاريخية التي تفصل العمل الأدبي عن الناقد أو القارئ سمة سلبية ينبغي التغلب عليها من خلال الحركة المتذبذبة بين إعادة البناء التاريخي من جهة والأفعال acts التكهنية للتقمص

empathy من جانب الناقد أو القارئ، من جهة أخرى (إيان، م، مجلة أفق العدد 2002/20).

ج- فيلهلم ديلتاي: (منهجية العلوم الإنسانية)

إذا كانت النصوص عبارة عن علامات موضوعية تحمل في طياتها معاني ومقاصد ذاتية للمؤلف، فإن مهمة القارئ (الهرمينوطيقي)، هي توضيح هذه المعاني وتأويلها، لأن النص لا يحمل ولا يحيل إلى معاني الكاتب فقط، بل يحيلنا إلى تراث ثقافي مشترك " يفهم عن طريق معاني لغوية اجتماعية وتاريخية مشتركة (...)، أي أن النصوص تعبر عن الإنسان المتكلم وعن تجربته داخل حياة اجتماعية وثقافية وتاريخية متغيرة باستمرار " (رجاء العتيري، 1999 ص 80).

من هنا يواصل، الفيلسوف الألماني الآخر، فيلهلم ديلتاي Wilhelm Dilthey (1833-1911) كاتب سيرة شليرماخر، وأحد نوابغ الفكر الفلسفي في القرن التاسع عشر، بحثه في مجال الهرمينوطيقا ويعمق دراسة منهج الفهم، وهذا خلافا لسلفه شلايرماخر، منطلقا في دراسة الخبرات التاريخية عبر مختلف أنواع النصوص، "معتبرا أن النص يحتوي على وجه ذاتي باطني هو المعنى المقصود من طرف الكاتب ووجه موضوعي ظاهر يمكن أن يدرس بصورة علمية" (رجاء العتيري، 1999 ص 81)، لأنه يعتقد أن منهج الفهم باستطاعته أن يحقق لنا معرفة موضوعية عن التجربة الإنسانية، بخلاف المعرفة الموضوعية التي يحققها منهج التفسير في مجال العلوم الطبيعية.

هكذا جعل ديلتاي الهرمينوطيقا بالنسبة للعلوم الإنسانية Les sciences humaines " رديفا للمنهج العلمي بالنسبة للعلوم الطبيعية، وهو يرى التفسير L'explication النمط الملائم لفهم العلوم الطبيعية في حين أن الفهم La compréhension هو النمط الملائم للعلوم الإنسانية" (إيان، م، أفق العدد 2002/20). وأن لهذا الفهم ارتباطا وثيقا بخبرة الذوات والعقول الأخرى أكثر من ارتباطه بخبراتنا وعقولنا، لأن الدراسات الإنسانية لا يكون لها معنى إلا إذا قامت بإلقاء الضوء على العمليات الداخلية في الإنسان عن طريق عملية انتقال ذهني باطنة وخفية.

ويرى كذلك أنه يمكن أن توجد حقيقة في التأويل مثل ما توجد حقيقة في تفسير العلوم الطبيعية. وقد جعل من حقل التاريخ ميدانه المعرفي المفضل لممارسة منهج التأويل، من ذلك أنه "فرض المشكلة الفلسفية المتمثلة بوضع الخبرة الفردية التاريخية في فهم عام واضح يفترض أن تكون الطبيعة الإنسانية فيه الوعي الشمولي التاريخي أي نمط المعرفة" (إيان، م، أفق العدد 2002/20).

من الملاحظ هنا أن فيلهلم ديلتاي قد أخذ عن جيامياتستا فيكو G. Vico تعاليمه حول دراسة الظاهرة الإنسانية كظاهرة طارئة (حادثة) تاريخيا. وقد كان فيمو الخصم العنيد لديكارت في نظرتة للعلم والنصير الأساسي لعلم تاريخي متميز، ليخلص في النهاية إلى استحالة تطبيق مناهج العلم الطبيعي على الحياة البشرية، لأن الدراسة الإنسانية لا بد لها أن تقوم على أساس التفاعل والتفاهم.

د- الصيغة التأويلية عند ديلتاي

يقول ديلتاي: "نحن نفسر الطبيعة، أما الإنسان فإن علينا أن نفهمه "كيف ذلك؟"

إن محتوى هذه العبارة يحيلنا إلى دراسة الحياة الإنسانية من خلال الإجراء القائم على العلاقة المنهجية بين الحياة والتعبير والفهم، بمعنى الصلة القائمة بين الخبرة المعاشة والتعبير والفهم، حيث:

1- الخبرة Expérience: لقد استخدم ديلتاي هذا المصطلح بصورة شديدة الخصوصية والتحديد، ويعني بها الوحدة المتقومة والمشاركة والمدمجة كلياً، حيث يقول عنها: هي "ذلك الذي في مجرى الزمان يشكل وحدة في الحاضر بفضل حيازته لمعنى موحد هو الكيان الصغير الذي يمكن أن نسميه (خبرة). فإذا مضينا أبعد من ذلك فإنه بوسع المرء أن يطلق على كل وحدة جامعة مكونة من أجزاء حياتية مدمجة معا بفضل معنى مشترك لمسار الحياة اسم (الخبرة)، حتى ولو كانت هذه الأجزاء العديدة منفصلة بعضها عن بعض بأحداث اعتراضية" (م. عادل، 2003. ص 89).

2- التعبير Expresion: لا يقصد ديلتاي بهذا المصطلح التعبير الخبرة الشعورية والفنية، بل هو ذلك التعبير الأشمل عن الحياة، بمعنى هو تعبير

"يشير إلى فكرة، قانون، شكل اجتماعي، لغة، أي إلى أي شيء يعكس بصمة الحياة الداخلية للإنسان" (م. عادل، 2003. ص 94).

3- **الفهم** Compréhension: ويعني به تلك العملية التي يقوم بها العقل في فهم عقل شخص آخر، أو لنقل إنها لحظة خاصة حيث الحياة تفهم الحياة. ولهذا يقول: "نحن نفسر الطبيعة، أما الإنسان فينبغي علينا أن نفهمه".

ه- التعارض بين التفسير والفهم.

إن التعارض في المنهج الهرمينوطيقي عند **ديلتاي**، لم يكن بين التفسير والتأويل على وجه الدقة، "بل بين التفسير والفهم" Compréhension " ولم يكن التأويل سوى حالة جزئية من الفهم." (م. عزام، علامات العدد 10 سنة 1998).

لقد ميز **ديلتاي**، بين التفسير والتأويل، على اعتبار أننا "إما أن نفسر على طريقة العالم الطبيعي، وإما أن نؤول على طريقة المؤرخ" (م. عزام، الأسبوع الأدبي، العدد 920 سنة 2004).

هكذا حاول أن يؤسس نظرية يضع من خلالها منهجا عاما لدراسة العلوم الإنسانية، يقوم على قواعد تساعدنا على فهم الموضوع. فالعلوم الإنسانية تختلف عن العلوم الطبيعية القائمة على المنهج التجريبي ذي الظواهر الثابتة.

لقد أراد **ديلتاي** أن يعيد الاعتبار للعلوم الإنسانية أو العلوم الروحية، فهي مجموع الدراسات التي موضوعها حقيقة التاريخ والمجتمع، وفي ذلك يقول: "إن قدرة حياتنا واتساعها، وحيوية انعكاس تفكيرنا عليها، هما أساس الرؤيا التاريخية. إنها وحدها تمكنا من أن نعطي حياة أخرى لظلال الماضي" (ه، شرابي، النهار، 2001)، على اعتبار أن الإنسان يعيش مكانا وزمانا معيناً، والعلوم الإنسانية تبحث في جوانب الإنسان الحياتية.

وعليه فدور المفسر هو "إزالة الفاصل التاريخي والزمني بينه وبين المؤلف، ويشترط في ذلك، رفض جميع الأحكام والقناعات المسبقة، التي وصلت لوعي المؤلف من ظروفه وعصره الراهن والتجرد من قيود تاريخه المعاصر، والتعصب والأحكام المسبقة" (ه. الهاشمي

التاريخية عن عمل التجربة الذاتية (الجوانية). (<http://library.tebyan.net>)، هكذا ينكر ديلتاي إمكانية فصل معنى الحقيقة

إن هذا التعارض، يمثل حقلين مختلفين، هما حقل العلوم الطبيعية، وحقل علوم الفكر. الأول هو مجال الموضوعات المقدمة والمعطاة للملاحظة العلمية، والثاني فهو من صميم مجال الفردانيات النفسية التي تسمح لكل نفسية من الانتقال إليها والولوج بداخلها.

لقد أقام ديلتاي العلوم الاجتماعية على معيار منهجي مختلف عن العلوم الطبيعية، حيث رفض في فلسفته كلا من الوضعية والميتافيزيقا الكانطية الجديدة، لأن الفارق في رأيه كما ذكرنا سابقا بين العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية. فالعلوم الاجتماعية -وهي العقول البشرية - مادة معطاة وليس مثل العلوم الطبيعية التي هي مشتقة من الطبيعة. من هنا أراد أن يجعل الهرمنيوطيقا بالنسبة للعلوم الإنسانية رديفا للمنهج العلمي بالنسبة للعلوم الطبيعية.

ولهذا وجب السؤال عن مدى إمكانية وجود علوم خاصة بالفكر، أو كما يقول بول ريكور عن مدى "تحقق معرفة علمية بالأفراد وعما إذا كان ممكنا أن يكون ذلك الإدراك (العلمي) للفرد (للنفسية المفردة)" (ب، ريكور، العرب والفكر العالمي، العدد 03، 1988، ص 40).

هذا ما يُجيب عنه ديلتاي بالإيجاب كون الباطن النفسي يكشف عن نفسية أخرى مغايرة، لأنه على العلم الاجتماعي "أن يجد مفتاح العالم الاجتماعي في نفسه وليس خارجها، إن العلوم الطبيعية تبحث عن غايات مجردة، بينما تبحث العلوم الاجتماعية عن فهم آني من خلال النظر في مادتها الخام. إن الإدراك الفني والإنساني هما غاية العلوم الاجتماعية وهذان يمكن الوصول إليهما من خلال التحديد الدقيق للقيم والمعاني التي ندرسها في عقول الفاعلين الاجتماعيين، وليس من خلال مناهج العلوم الطبيعية، وهذه هي عملية الفهم الذاتي أو التفسير. نصل إلى مثل هذا الفهم من خلال العيش مرة أخرى في الأحداث الاجتماعية" (أبو زيد، ح، 2001. ص 24).

من هنا ندرك أو نفهم ثنائية (فهم/ تأويل) عند ديلتاي، وهي الأساس أو القاعدة في عملية المعرفة التي تتم بواسطة رموز نفسية (سيكولوجية) الآخرين، وهي السمة المميزة للفهم أو كما يقول: "وضع المرء لذاته موضع حياة الآخرين الذهنية، لأن الوعي- أو الحياة الشعورية - ليس قطع من الطبيعة الفيزيائية يمكن دراستها بمناهج تجريبية، وذلك لأن الوعي ينطوي على المبادرة والمسؤولية، فهو الذي يضيف الدلالة الإنسانية والمعنى على موضوعه" (توفيق، س، 1992. ص 20)، طالما هنا مشترك بين الناس. وبالتالي تصبح التجربة *Expérience* هي الأساس للإدراك الموضوعي خارج الذات وهذا ما يسمى بالعلوم الإنسانية، أي معرفة الإنسان للإنسان أو اكتشاف "الأنا" في "الأنثى"، "فمهما كان الإنسان الآخر مغتربا عنا فإنه لا يكون غريبا، بمعنى أنه شيء مادي مجهول، فالفارق في المكانة بين الأشياء الطبيعية والعقل هو الذي يحدد الفرق في المكانة بين التفسير والفهم. فالإنسان ليس مغتربا عن الإنسان كليا لأنه يقدم علامات على وجوده، وإن فهم هذه العلامات يعني فهم الإنسان" (ب، ريكور، أفق العدد 23، يوليو 2002).

فالقدر على تحديد الأبعاد البيئية المكانية والزمانية، والأبعاد النفسية والاجتماعية للنص، تمثل قابلية التحليل التي تعمل على كشف رموز النسيج الداخلي للنص، وبالتالي كشف جزء كبير من المرجعيات المعتمدة في بناء وتشكيل النص أو المنتج، وبالتالي أيضا تأسيس رؤية تفكيكية.

هذه هي البداية عند ديلتاي في تأسيس الإنسانيات (علوم خاصة بالتجربة الإنسانية)، لأن كل معرفة أساسها قائم على التجربة، ولكن الوحدة الأصلية للتجربة ولنتائجها الصحيحة مشروطة بالعوامل التي تشكل الوعي وما ينشأ عنه، أي محكومة بطبيعتنا الكلية. ويجب أن نفهم التجربة المعاشة، هي عملية الإدراك الحسي، وليست الخبرة باعتبارها موضوعا للتأمل العقلي، أي أنها التجربة السابقة على ثنائية الذات والموضوع، هذه الثنائية تكون عادة من صنع الوعي المفكر في تأمله للتجربة بعد مرورها (P. Richard، 1969).

فاكتشاف قصد المؤلف يكون من خلال التعرف على الظروف النفسية والاجتماعية والثقافية التي طبعت حياته كما يقول شلايرماخر أو كما

"يرى أصحاب العلوم الحسية بأن الإنسان يختلف عن سائر الموجودات بأنه متغير، لأنه يعيش في عالم متغير، فلا يمكن معرفته من خلال أي منهج ثابت" (ه. الهاشمي <http://library.tebyan.net>).

إن فالتجربة الذاتية هي أساس المعرفة عند **ديلتاي**، مادام هناك مشترك بين الناس، لأن هدف المفسر عنده إزالة الفاصل التاريخي والزمني بينه وبين المؤلف، "ويشترط في ذلك رفض جميع الأحكام والقناعات المسبقة، التي وصلت لوعي المؤلف من ظروفه وعصره الراهن، والتجرد من قيود تاريخه المعاصر، والتعصب والأحكام المسبقة" (ه. الهاشمي <http://library.tebyan.net>). لأن الإنسان كائن تاريخي في جوهره، فهو يعيش في الزمان، ووجوده عملية زمنية يحددها ميلاده ووفاته ومؤلفه من سلسلة من الحلقات تتألف من ماض وحاضر ومستقبل.

4 - مرحلة الهرمنيوطيقا الفلسفية: (من الاستمولوجيا إلى الأونطولوجيا)

في هذه المرحلة من تطور الهرمنيوطيقا انتقل البحث في العلوم الإنسانية من ميدانها الإستمولوجي إلى التساؤل عن بديته الأساسية، بمعنى آخر الغوص في المشروع الاستمولوجي ذاته للكشف عن شروطه الأونطولوجية على نحو سليم.

أ- مارتن هيدغر: (معنى الفهم وحقيقته)

كان لمنهجية **ديلتاي**، في تركيزه على تجربة الحياة وعلى دور المفسر في عملية الفهم الأثر الكبير في فلسفتي **هيدغر** و**غادامير** فيما بعد.

فقد أقام **هيدغر** Heidegger (1889 - 1976) الهرمنيوطيقا على أساس فلسفي، "طالما أن الفلسفة هي فهم الوجود، والفهم هو أساس الفلسفة وجوهر الوجود في الوقت نفسه" (أبو زيد، ح، 2001. ص 30). بمعنى البحث عن معنى الفهم وحقيقته، بدلا من البحث عن منهج للفهم.

ويرى **هيدغر** أن الفلسفة قد أخذت، بعد أفلاطون، منعرجا آخر تمثل في البحث عن فهم الموجودات دون البحث عن معنى الوجود وحقيقته، وقد ذكر في كتابه، (الوجود والزمان) أو (الكينونة والزمان Etre et temps (1926)، أن الطريق الوحيد لإدراك معنى الوجود هو معرفة حقيقة

الوجود الإنساني، وهو ما يسميه بمصطلح (الذراين Dasein)، حيث يعتقد " أن قضية التفسير أو التأويل تتطابق قليلاً مع قضية التفسير الديني الذي يشترك مع قضية (الكينونة) التي غلفها النسيان" (ب، ريكور، أفق العدد 23، 2002).

(ب)- طبيعة الفهم عند هيدغر

لقد كان الفهم عند شليرماخر، هو تماثل للعوالم الداخلية، بحيث يتجاوز المرء مع من يحدثه عندما يفهمه، أما عند ديلتاي، فهو يسير إلى مستوى أعمق من الإدراك، عندما نفهم لوحةً فنيةً أو قصيدة شعرية أو حتى حقيقة اجتماعية، "كشيء أكثر من معلومة من المعلومات أو بيان من البيانات، عندما نفهمها ك (تعبير) عن (الوقائع الباطنية)، أو تعبير عن (الحياة) ذاتها في نهاية المطاف" (م. عادل، 2003. ص 155).

أما الفهم عند هيدغر، فهو يختلف عن كل التصورات السابقة التي ذكرها شليرماخر أو ديلتاي، فهو قدرة الإنسان على إدراك إمكانات وجوده ضمن السياق العام للحياة الذي وجد فيه، بمعنى أن الفهم عند هيدغر هو شيء نكوّنه، أو هو شكل من أشكال (الوجود - في - العالم)، أي (الذراين).

ومن هنا وجد هيدغر منهاجاً يمكن أن "يفسر عملية الوجود في الوجود الإنساني بطريقة تكشف عن الوجود نفسه، وطرح مشروعه لفهم الوجود ككل من خلال فهم الإنسان ووعيه لوجود نفسه، فيمكن تفسير عملية الوجود في الوجود الإنساني" (N°86، 2004، Catholica، D. Composta). أي فهم الكائن المشخص في ذاته، لأنه أقرب إلى متناولنا في معناه الخالص، وهو "يعتبر دراسة المتواجد هي نقطة الانطلاق لدراسة مشكلة وحقيقة الوجود في معناها الواسع" (N°86، Catholica، D. Composta، 2004). فقد أعاد إدخال التاريخانية historicité إلى الظاهرية وشرع بتقديم عرض مختلف تماماً للعالم البيداتي كما يرى ديلتاي. وهو "يرى أن القصدية قد أسّيت تصويرها، وأن الفهم لا يعد نشاطاً إنسانياً لا تاريخياً، مثلما زعم هوسرل بل وسيلة من خلالها يأتي العالم إلى الإنسان، وهي تصف كينونته إلى حد ما. ويصف في كتابه (الكينونة والزمان) العالم بأنه عالم مشترك، يخلقه ويديمه الفهم المشترك الذي يكون على شكل لغة: وبذا

يصبح الفهم لسانيا وتاريخيا وأونطولوجيا (أي أنه مرتبط بقضية الكينونة) " (إيان، م، أفق العدد 20/2002). ويذكر هيدغر في كتابه السالف الذكر، أننا "عندما نؤول لا نسقط الدلالة على شيء عار أمامنا، أي أننا لا نلصق له قيمة، بل حينما نواجه شيئا داخل العالم، يكون للشيء مشاركة تتكشف في فهمنا للعالم، ولا يكون التأويل إدراكاً، خالٍ من الافتراضات المسبقة لشيء حاضر أمامنا، على الإطلاق، بل يرتكز على ما نعرفه نحن (دائماً) - أي أنه فهمنا المسبق الذي لا يمكن أن ينفصل عن كينونتنا (الدازين). ولا مناص من موقعية الفهم التاريخية لأنها تمثل الأساس الأونطولوجي لكينونتنا في العالم " (إيان، م، أفق العدد 20/2002).

ج- ثنائية الذات/الموضوع

كيف تخرج (الذات) من داخل الإنسان أي من عالمها الباطني وتصبح موضوعاً موجوداً في الخارج؟ يجيب عن هذا السؤال هيدغر بما يلي: ليس هناك مشكلة تستدعي إثبات الذات في علاقتها مع الوجود الخارجي، لأن الذات (الآنية) "باعتبارها (الوجود - في - العالم) موجودة دائماً في الخارج، أي في العالم المؤلف. فهو يقول عنها: إن الآنية في اتجاهها إلى الموجودات وإدراكها لها لا تحتاج إلى مغادرة مجالها الداخلي الذي نتصورها حبيسة فيه، وإنما هي بحسب طبيعة وجودها الأولية موجودة دائماً في الخارج، بالقرب من الموجود الذي تلقتي به في عالم تم اكتشافه بالفعل" (م. عادل، 2003. ص 157).

د- ليس هناك تأويل بدون فروض مسبقة

يرى هيدغر أن أي محاولة للوصول إلى تأويل بريء من أي تحيز أو فروض مسبقة هو ضرب من الفشل المسبق، ذلك لأنها تكون ضد الطريقة التي يتم بها التأويل الصحيح، فكل ما يظهر من شيء عن الموضوع هو ذلك مايسمح به المرء ان يظهر، "فهو أمر يتوقف على فروضه المسبقة ومنظومته اللغوية، (...). فتعريف ما نفرض وضوحه الذاتي هو نفسه شيء يقوم على حشد غير مرئي من الفروض المسبقة" (م. عادل، 2003. ص 163).

وقد بين هيدغر ذلك بوضوح في تحليله لعملية الفهم ذاتها، فلقاء أي قارئ بالعمل الأدبي أو الشعري لا يكون لقاءً قائماً في سياق خارج الزمان والمكان، أو خارج الأفق الخاص من الخبرات والإهتمامات للقارئ نفسه، وإنما هو لقاء في زمان ومكان معينين ومحددتين، بل هناك سببا وراء التفاتة هذا القارئ لهذا النص دون غيره من النصوص، فهي مقارنة محفوفة بالتساؤلات والشك.

هـ- غادامير: (التأويل كحوار مع النص)

لقد اعتبر ديلتاي فيما سبق أن الفهم منهج كامل يبحث فيما وراء النصوص، "إلا أن منهج الفهم قد يسقط في الظن والاعتقاد وهماً بالفهم ويغوص بنا في الرومنسية والقراءة الشعرية أكثر منه في الفهم الموضوعي للنصوص" (ر. العتيري، 1999، ص 80).

هذا ما نجده عند غادامير H.G. Gadamer (1900 - 2002) في كتابه "الحقيقة والمنهج" (1965) الذي يعد الإسهام الأكمل والأشد تأثيراً. وعنوان الكتاب لا ينم عن توافق أو توحيد بين الحقيقة والمنهج، بل الفصل بينهما، إذ يهاجم غادامير المفهوم القائل أن "المنهج شيء يمكن تطبيقه على موضوع معين للخروج بنتيجة ما. ويقدم (الهرمنيوطيقا الفلسفية) بوصفها وسيلة لتصحيح مسألة تعيين هوية الحقيقة والمنهج التي يرى أنها تميز العلوم" (إيان، م، أفق العدد 20/2002). وبهذه الصورة يتجاوز تصور شليرماخر للهرمنيوطيقا (بوصفها سيكولوجيا الفهم) ويرفض طرح ديلتاي القائل باقتران التأويل بالمنهج، ويقدم بدلاً عن ذلك انطلاقاً من الأونطولوجيا الهيدغرية القائلة " بضرورة أن تقف النزعة التاريخية historicism والسلطة الزمنية temporalitie في مركز أي مشروع فلسفي" (إيان، م، أفق العدد 20/2002).

فهو لا يرى أن المسافة الزمنية التي تفصل المؤول عن الموضوع الذي يؤوله تعد حاجزا منيعا في وجه الهرمنيوطيقا ينبغي إزالته، بل هي سمة مفيدة في العلاقة بينهما، حيث يمكن من خلالها طرح سؤال الهرمنيوطيقا المركزي (كيف يمكن حماية النص من سوء الفهم من البداية)؟

وللتعامل مع هذه القضية يقترح غادامير اتباع الخطوات التالية:

أولاً، ينبغي للمرء أن يحضر إلى وعيه أية أفكار مسبقة قد تؤثر في فعل التأويل.

ثانياً ينبغي له أن يكون عارفاً بعادة حديثة تتمثل بمحاكاة نمط معين من النزعة التاريخية (أي، النمط الذي يرى النسبية والبرالية متضمنتان في المقاربات التاريخية بوصفها قيماً موضوعية).

ثالثاً، ينبغي إحياء مفهوم الانحياز [الحكم المسبق] prejudice وإعادة تقييمه لأنه اقترن منذ عصر الأنوار بالتسرع في التوصل إلى الأحكام والثقة بالمرجعية الإنسانية من دون استحقاق.

ويرجع **غادامير** منهج التأويل الذي يقترحه إلى نموذج الجدلية الأفلاطونية، "باعتبار أن طرح الأسئلة هو الذي يحرك الفكر ويوجه البحث" (ر. العتيري، 1999، ص 82). والجدلية حسب **غادامير** هي البحث عن الحجج التي يتدعم بها الجواب وهي في الوقت نفسه أساس كل معرفة، فهو يرى أن منهج التهكم السقراطي يمثل إرادة المعرفة الجدية للموضوع، عكس المنهج السفسطائي الذي يعطل البحث عن حقيقة الموضوع. فطرح الأسئلة حسب **غادامير** "هو فتح الآفاق إلى موضوع البحث حتى ينكشف الشيء على حقيقته" (ر. العتيري، 1999، ص 83).

وفن الحوار عند **غادامير** هو التوجيه الصحيح للأسئلة حتى تكون في خدمة الموضوع، بمعنى "الانتباه لقيمة الجواب المقدم إلى السؤال والاعتراف بصلاحيته في اتجاه حل الأشكال المطروح، وبذلك الانتباه المتبادل بين المتحاورين، (...) الذين يلتقيان في نقطة مشتركة (...) تمثل موقع اللغوس الحقيقي" (ر. العتيري، 1999، ص 83).

إن إيجابية الحوار الذي يقترحه **غادامير** كتبادل للحلول في البحث عن الحقيقة، يجعل من الهرمنيوطيقا، أو كما يسميه فن التأويل، أمراً ممكناً في الدخول في حوار مع النص، من ذلك أن الحوار مع النص هو بحث عن تقليص المسافة بين النص وقارئه، لأن الفهم في نظر **غادامير** لا يمثل فعل ذاتية الفرد، بل هو وضع المرء لنفسه داخل سيرورة التراث التي ينصهر بها الماضي والحاضر باستمرار "(إيان، م، أفق العدد 2002/20)، لأنها تمثل "الفترة الزمنية التاريخية لتفسير النص، لأن كل

باحث ومفسر يعيش داخل التاريخ، تحيط به مجموعة المعلومات والتوقعات والمقبولات، هي ضرورية لعملية الفهم، بل لا يمكنه التخلص من تأثيرها" (ه. الهاشمي <http://library.tebyan.net>).

تتولد عن هذا الموضوع في رأي **غادامير** مشكلة واضحة هي: كيف يتأتى للفرد التمييز بين الانحياز المشروع والانحياز السيئ؟ فهو "يؤكد أنه من الممكن تحقيق ذلك من خلال استخدام العقل بشكل منضبط منهجياً، على أن يصاحب ذلك التقدير السليم لقيمة المرجعية والتراث. ويرى أن المرجعية تعد مصدر انحياز ومصدر حقيقة، معاً، بحيث إنها تشاركنا في تقويم أحكام الآخرين ورؤاهم والاعتراف بتفوقها على أحكامنا ورؤانا حينما يستدعي الأمر ذلك" (إيان. م، أفق العدد 20/2002). كما أنه ينبغي على كل جيل في عصره أن يفهم النص بطريقة النص الخاصة لأنه يعد جزءاً من التراث كله الذي يبدي العصر نحوه اهتماماً موضوعياً والذي يسعى فيه وراء فهم ذاته" (إيان. م، أفق العدد 20/2002)، لأن فعل الحفاظ على الماضي والإبقاء عليه في وعينا الحاضر، سيمكننا "عندئذ من إصلاح المرجعية والعقل ونمنحهما دوراً ليلعباه في الهرمنيوطيقا" (إيان. م، أفق العدد 20/2002). وبالتالي نكون في وضع يساعدنا ويؤهلنا لفهم النص في مضمونه.

وفكرة التأويل كحوار مع النص عند **غادامير**، هي أن هذا المحاور (النص) إنما يريد أن يقول شيئاً ما، وعن طريق التأويل نقوم بالبحث عن الشيء الذي يصوب نحوه النص.

أما عن موقفه من التفسير والذي يمثل مرتكزا أساسياً تحدد به إمكانية الرؤية، فلا يعتبره تفسيراً سليماً إلا عندما يبين حقيقة فاعلية التاريخ، ولكي يوضح موقفه أكثر استعار **غادامير** من ظواهرية **هوسرل** مصطلح (الأفق) "فالأفق يبين تمركزنا في العالم، ولكنه غير ثابت وغير مغلق، إنه يدخل فينا ويتحرك معنا، (...) وعلى هذا يمتزج الأفق الخاص للفرد بالأفق التاريخي" (ع. الربيعي، Arresalah.Net)، أي أنه إذا "كنا محددين بالطريقة التي ننظر بها إلى العالم، وب(أفقتنا) أيضاً، فبإمكاننا تقبل (أفق) الآخر ومنظوره من خلال إدراك تاريخية موقفنا" (إيان. م، أفق العدد 20/2002). تأسيساً على ما سبق يذهب **غادامير** إلى أنه علينا أن

(نصهر) أفقنا مع أفق الماضي، لأن الفهم يمثل انصهار دائم بين أفقي الماضي والحاضر انصهار الأفاق. وعليه فلم يعد "هناك مؤول ذاتي ومعنى نصي موضوعي، بل أصبحت هناك وحدة بيذاتية في الزمان، وصار هناك تراثا ما وراء شخصي تعد آثاره التي تظهر على الفرد - الفهم المسبق والانحياز والتصوير المسبق.. الخ- شروطا أساسية للفهم ذاته" (إيان. م، أفق العدد 20/2002).

ويعتقد غادامير أنه إذا تعالينا على مشكلة الذات- الموضوع في التأويل وتحاشينا في الوقت ذاته جدل النسبية- الموضوعاتية من خلال الإصرار على أن المعنى شأن زمني وما وراء شخصي، فإنه بذلك لا يريد الفصل بين القراءة والنقد طالما أنه يهتم بالتأويل ذاته.

ومن اهتماماته التأويلية كذلك، تأكيده على الطابع اللغوي للتجربة الإنسانية، من ذلك أنه يشبه فهم النص بفن الخطابة، وبالتالي فهو متحد أساسا بالعنصر اللغوي، "فالفهم هو الوعي التاريخي الذي يفسر التاريخ نفسه من خلال اللغة (...)", واللغة هي أفق الوجود ككائن سابق مثل الوجود الإنساني، والفهم في غضون ذلك لا يحول إلى منهجية في معرفة الحقيقة الخارجية للإنسان، فهو ليس نظرية للمعرفة، بل هو طريقة لتفسير ما هو بداخل اللغة" (Catholica: N°86، D. Composta، 2004).

لقد أخذ غادامير من هيجل فكرة أن الحقيقة توجد داخل اللغة، وأن اللغة تعتبر المهد الأساسي لكل وجود ولكل صيرورة إنسانية. ولكنه "تخلّى عن عدم جدوى آلية الروح المطلق التي يفسر بها هيجل التاريخ، حيث يكفي الانفتاح على المجتمع الكلامي الذي يحفظ التراث داخل اللغة، بمعنى يجب الولوج إلى التاريخ عن طريق التجربة اللغوية، فمن يمتلك اللغة يمتلك العالم، ومادامت اللغة هي الوجود. فالتراث، والدين، والثقافة، والجمال، والعلم حتما تمر عبر اللغة" (Catholica: N°86، D. Composta، 2004).

(و)- بول ريكور: (تَرْحُلُ المعنى)

يعد بول ريكور (1913- 2006) كاتباً انتقائياً يعتمد الفلسفة واللسانيات والسيكولوجيا في توجهاته. ويعتبر كتابه (نظرية التأويل La theorie de

(l'interprétation 1976) خليط من لسانيات سوسير وياكوبسن ونظرية أفعال الكلام والظاهرانية والهرمنيوطيقا والتحليل النفسي.

والفكرة الأساسية في الهرمنيوطيقا عند بول ريكور هي إدراك الخطاب discours بوصفه نصا، والحاجة "إلى التأويل تنشأ من حقيقة أن المعاني، في النصوص المكتوبة، تحررت من مؤلفها وملتقيها" (إيان. م، أفق العدد 2002/20). ولكن كيف يُمارس التأويل عند بول ريكور؟

يرى بول ريكور أنه قبل ممارسة فعل التأويل، علينا حل المشكلة المركزية في الهرمنيوطيقية وهي التعارض، الذي يقول عنه: "أراه يصل حد الكارثة، بين التفسير L'explication والفهم la compréhension. ولذا فإن أي بحث متكامل بين هذين المفهومين، اللذين تميل الهرمنيوطيقا الرومانسية إلى تفكيكهما، سوف يقود أبستمولوجياً إلى إعادة توجيه الهرمنيوطيقا، بما يتطلبه مفهوم النص نفسه" (ب. ريكور، أفق العدد 23، 2002).

ويتساءل بول ريكور عن فهم الخطاب حين يكون نصا أو عملا أدبيا، أي كيف نضفي المعنى على الخطاب المكتوب؟

فمن خلال جدل "التفسير والفهم" يبني "بول ريكور" لنظريته في التأويل، لإيجاد ذلك التكامل المتبادل بينهما، المذكور سابقا، فهو يقول: "أعتقد أن الدائرة الهرمنيوطيقية (أي التباين بين التفسير والتأويل عند ديلتاي ومن قبله شليرماخر) ليست مفهومة فهما صحيحا حين تُعرض، أولا، كدائرة بين ذاتين، ذات القارئ وذات المؤلف، وثانيا، كإسقاط لذات القارئ داخل القراءة ذاتها." (ب. ريكور، الكرمل، العدد 60 سنة 1999، ص ص 181، 182) فهو يدعو إلى التخلي عن إلحاق التأويل بالفهم، وعدم اعتبار تأويل الآثار المكتوبة مجرد حالة جزئية من الفهم كما يدعي ديلتاي والبحث من جديد في علاقة هذا الأخير (التأويل) بالتفسير. فهو يقول: "لا بد من ترتيب المصطلحات الثلاث على النحو التالي: (فهم Comprendre، تأويل interpréter وتفسير expliquer) بدلا من أن نجعل التأويل مرادفا للفهم، والتفسير مقابلا للفهم (كما هو الحال عند ديلتاي)، ولكن دمج فهم وتفسير في التأويل" (M. Philibert، conditions (Seghers. p. 187).

لا يمكن في نظر بول ريكور، التوصل إلى إيجاد علاقة متكاملة ومتبادلة بين التفسير والتأويل، دون تحديد مفهوم القراءة. فهو يرى أن هناك طريقتين ممكنتين للقراء، حيث نستطيع من خلالهما تقوية التعليق الذي يمس إحالة النص على العالم الفعلي وعلى المواجهة الحية بين الذات المتكلمة، وهذا هو التفسير، أما التأويل فهو "الذي يشكل الوجهة الحقيقية لفعل القراءة لأنها هي التي تكشف الطبيعة الحقيقية للتعليق الذي يمس حركة النص في اتجاه الدلالة." (ب. ريكور، العرب والفكر العالمي، العدد 03، 1988. ص47) فلا تكون القراءة الأولى (التفسير) ممكنة دون أن يظهر أن النص ينتظر قراءة ما باعتباره نصا مفتوحا على ذاته، وبالتالي إنتاج خطاب جديد" هذا الارتباط بين الخطاب القارئ وبين الخطاب المقروء، يكشف قدرة أصيلة على استعادة الخطاب لذاته بشكل متجدد، وهي التي تعطي خاصيته المفتوحة على الدوام.. والتأويل هو النهاية الفعلية لهذا الارتباط." (ب. ريكور، العرب والفكر العالمي، العدد 03، 1988. ص47)، وعليه يبقى التأويل محتفظا بخاصية الامتلاك Appropriation، وهذه ميزة التأويل عند "شلييرماخر".

(ز)- مهمة الهرمنيوطيقا: (كيف يُمارس التأويل عند ريكور؟)

إذا كان التأويل عند ريكور يحتفظ بخاصية الامتلاك، فإننا كذات مؤولة نمتلك فهما متجددا للنص ولذاتنا في نفس الوقت، فهو يقصد بالامتلاك "أن تأويل النص يجد اكتماله داخل تأويل الذات المؤولة لذاتها، هذه الذات التي منذ ابتداء تأويلها للنص فصاعدا تفهم ذاتها بشكل أحسن ومغاير وتبدأ في تحقيق ذلك الفهم الذاتي. (الفلسفة التأملية الذاتية) وهنا يتحقق الترابط والتكامل بين الهرمنيوطيقا وبين التأمل الذاتي" (ب. ريكور، العرب والفكر العالمي، العدد 03، 1988. ص47)، بمعنى أن فهم الذات يمر عبر فهم الرموز الثقافية التي تتوثق الذات داخلها، وأن فهم النص لا يكون غاية في ذاته بل يتوسط علاقة الذات بذاتها، وعليه يقول ريكور: "إن تأمل الذات لذاتها لن يتحقق دون وساطة الرموز والعلامات والأثار الثقافية المكتوبة" (ب. ريكور، العرب والفكر العالمي، العدد 03، 1988. ص48).

هكذا يتحقق عند ريكور معنى النص ويصبح مكشوفاً، ويدركه القارئ بوصفه طريقة للكينونة في العالم، ويساهم في ترحل معناه.

قائمة المراجع

- (1)- القرآن الكريم.
- (2)- إيان ماكلين، التأويل والقراءة، تر: خالدة حامد، مجلة أفق العدد 20/2002.
- (3)- بول ريكور، الاستعارة والمشكل المركزي للهرمنيوطيقا، تر: طارق النعمان، مجلة الكرمل، العدد 60 سنة 1999.
- (4)- بول ريكور، مهمة الهرمنيوطيقا، تر: خالدة حامد، مجلة أفق العدد 23، يوليو 2002.
- (5)- بول ريكور، النص والتأويل، تر: منصف عبد الحق، مجلة العرب والفكر العالمي، العدد 03، 1988.
- (6)- رجاء العتيري، من مناهج العقل الفلسفي، تبر الزمان، تونس، الطبعة الأولى 1999.
- (7)- ابن منظور، لسان العرب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2008..
- (8)- محمد بن عياد، التلقي والتأويل مدخل نظري، مجلة علامات العدد 10 سنة 1998.
- (9)- محمد عزام، النقد بين النص والتلقي، الأسبوع الأدبي، العدد 920 سنة 2004.
- (10)- ميجان الروبي وسعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي. المغرب. الطبعة الثالثة سنة 2002.
- (11)- نصر حامد أبو زيد، إشكالية القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة السادسة، 2001.
- (12)- عادل مصطفى، " فهم الفهم " مدخل إلى الهرمنيوطيقا، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2003.
- (13)- عبد القادر الربيعي، التأويل دراسة في آفاق المصطلح، Arresalah.Net
- (14)- سعيد توفيق، دراسة في فلسفة الجمال الظاهرية م.ج للدراسات والتوزيع، لبنان، الطبعة الأولى سنة 1992.
- (15)- هاشم الهاشمي، فهم النص، (عرض ونقد) مقال بالإنترنت. (<http://library.tebyan.net>)
- (16)- هانس جورج غادامر، اللغة كوسيط للتجربة التأويلية، تر: آمال أبي سليمان، مجلة العرب والفكر العالمي العدد، 03، صيف 1988.
- (17)- هشام شرابي، ديلتاي، الفلسفة الوجود والتاريخ، تر: محمد شريح، مجلة النهار، ديسمبر 2001.

مراجع بالأجنبية

- 1)- Dario Composta، Gadamer et son herméneutique universelle Catholica: N°86: Decembre 2004.
- 2)- Friedrich D. E. Schleiermacher، Herménetique، Tra، Marianna Simon، éditions Labor et Fides، France، 1987.
- 3)- Michel Philibert، Paul Ricoeur ou la liberté selon l'espérance، éditions Seghers.

- 4)- Palmer. Richard, Hermeneutics, Northwestern University press Evanston, 1969
- 5)- Wilhelm Dilthey, Critique de la raison historique, traduit et présenté par Sylvie Mesure, éd. Cerf Paris 1992.

تمدرس البنات وتراجع الخصوبة في الجزائر

شريفة بلعروسي (طالبة دكتوراه بجامعة وهران 2)
أ.د طيب الوادي جامعة وهران 2

ملخص:

عرفت الجزائر تراجعا كبيرا في معدلات الخصوبة منذ بداية
العشرية الثالثة من استقلالها بالموازاة مع ارتفاع كبير في معدلات
التمرس خاصة عند البنات فما هي العلاقة بين هذين المتغيرين؟

يعتبر التعليم من المتغيرات الموجهة للسلوك الإنجابي للمرأة في
العالم عامة والجزائر بشكل خاص. وتحسن معدلات تمدرس البنات في
الجزائر هو نتيجة للتطور الاجتماعي والاقتصادي، بالإضافة إلى
تناقص الفوارق بين الجنسين بفضل التخلص من عقدة البعض تجاه تعلم
الفتاة بالمقارنة مع ذي قبل. مما لعب دورا هاما في خلق تفكير مختلف
لدى المرأة تجاه الإنجاب. استطاعت هذه الأخيرة أن تحقق تفوقا مذهلا في
مشوارها الدراسي مما دفع بها إلى إتمام دراساتها العليا ولو على حساب
بعض الواجبات الاجتماعية كالزواج وغيره.

للتعليم أثر مزدوج على الخصوبة، فالأثر المباشر يتمثل في أن المرأة
المتعلمة تنجب عددا أقل من الأطفال حتى تحافظ على صحتها وصحة
أبنائها لتضمن لهم تربية سليمة، أما الأثر غير المباشر فيتمثل في تأخر
سن زواج المرأة أكثر فأكثر، والاستعمال الواسع لموانع الحمل، والإقبال
الحر على النشاط المهني وفقا للمستوى التعليمي. كل هذه التغيرات قلبت
موقف المتزوجات وكذا التفكير المستقبلي للعازبات إزاء الإنجاب. من هذا
المنطلق يمكننا أن نعتبر التعليم محدد مهم لخصوبة المرأة وعامل فعال في
توجيه باقي المحددات الأخرى.

كلمات مفتاحية: المرأة، التعليم، الخصوبة.

Résumé:

L'Algérie a connu une baisse très importante des taux de fécondité dès le début de la troisième décennie de son indépendance, ainsi qu'une augmentation des taux de scolarisation des filles. Quelle peut être la relation entre ces deux variables ?

L'instruction de la femme est une variable qui oriente le comportement reproductif de la femme. L'amélioration des taux de scolarisation des filles en Algérie est le résultat d'un certain nombre de facteurs tels que les progrès socio-économique, sans oublier évidemment l'évolution des mentalités et des perceptions, jadis négatives, concernant l'instruction féminine. La lutte contre les discriminations entre les deux sexes, l'amélioration de la condition féminine grâce à une batterie de mesures et de réformes profondes a joué un rôle essentiel dans l'émergence d'une vision différente au sujet de la procréation chez la femme. Cette dernière a pu réaliser d'énormes succès dans ses études, chose qui l'a poussé à la poursuite de sa scolarisation jusqu'au cycle universitaire au détriment de certaines « priorités » sociales tel que le mariage et ce qui s'ensuit.

L'instruction a un double effet sur la fécondité. D'abord, direct, puisque la femme instruite fait moins d'enfants pour préserver une bonne santé, et pour assurer une meilleure éducation à ses enfants, et puis indirect, car il contribue à un âge au mariage de plus en plus tardif, à une pratique contraceptive très importante, et à l'accès libre aux activités professionnelles suivant le niveau d'instruction. Toutes ces mutations ont bouleversé le comportement non seulement des femmes mariées, mais aussi des célibataires vis-à-vis de la procréation. En effet, l'instruction féminine apparaît comme un déterminant direct de la fécondité et un facteur initiateur des autres déterminants.

Mots clés: *La femme, l'éducation, la fécondité.*

Abstract

Since independence, and from the beginning of the third decade onwards, fertility rates in Algeria have seen a great deal of decline. In parallel, sophistication rates boomed large in importance and great rise. This latter was, especially, if not exclusively, more common and characterized by girls than boys. With this in mind, what is the relationship between these two

considerable variables? Education is considered one of the variables, which have oriented and influenced women's reproductive behavior all over the world, in general, and in Algeria in particular. Very saliently, girls' enrollment rates and their improvement in Algeria result in social and economic development. From the other side, diminishing gender differences, which go hand in hand with the disposal of some traditionally sophisticated complexity toward education and with the girls' changing behavior, have played a great role in changing the angle from which women has assimilated procreation. In spite of the force of social obligations and rituals, let us take as an instance: marriage, women managed as to achieve superior academic stunning and success in her academic career. Accordingly, they found it very salient to carry on pursuing her master and high education. Be though as it may, education has as a great dual impact on reproduction rates. From the one hand, the direct influence resides on the fact that educated woman, compared to the uneducated one, gives birth to fewer infants, so that she can be apt as to ensure her infant's proper upbringing and to protect not solely her health but also her children's. From the other hand, the indirect impact is mirrored in delaying women's excessive age of marriage, in the widespread use of contraceptives and in the free demand for professional activity, which stands in accordance with the level of education. All of these changes have led married women to change their minds toward fertility and have promoted single women as to think forward about future procreation. From this point, we can consider education as a paramount determinant for women's reproduction and an effective aspect to guide the rest of other incitements.

Key words: Woman- education- fertility, economic, development.

تمهيد:

تزايد سكان الجزائر بعد الاستقلال بسرعة كبيرة، فقد تضاعف في مدة لم تتجاوز ربع قرن حيث انتقل من حوالي 10 مليون نسمة سنة 1962 إلى 22 م.ن سنة 1987، إذ بلغ معدل النمو الطبيعي في تلك الفترة أعلى المستويات أين تخطى حدود 3%. ولعل أهم مسبب في ذلك بعد تسارع الزيادة في معدل المواليد الذليل يقل عن 45% حتى سنة 1977، ذلك التراجع المسجل في معدل الوفيات العامة الذي انتقل من حوالي 16% سنة 1966 إلى 14% في 1977 ليقل عن 5% في 2014. بالأخص

وفيات الأطفال الرضع الذي تناقص بوتيرة متسارعة حيث انتقل من 141.4% سنة 1970 إلى 22% في 2014 بعدما سجل 36.9 في آخر سنة من القرن الماضي(2000)، بفصل السياسة الصحية التي انتهجتها الجزائر منذ العشرية الأولى للاستقلال. بدءا بمجانبة العلاج إلى نشر عدد كبير من النقاط الصحية عبر الوطن، مما سهل على الكثير عملية التواصل مع هذه المؤسسات قصد القضاء على عدة أمراض والوقاية من أخرى، وصولا إلى توفير اللقاحات الوقائية من عدة أمراض.

هذه السياسة الصحية التي تخدم صحة المواطن من جهة وتخفف على الدولة تحمل أعباء تلك الأعداد الهائلة من المرضى من جهة أخرى، وتبني مواطنا يتمتع بالصحة الجيدة تمكنه من تلقي تكوين يؤهله للعمل بأكثر كفاءة، مما يعود عليه وعلى مجتمعه بالفائدة.

على ذكر التكوين والكفاءة فقد أعطت الدولة الجزائرية أولوية بالغة لقطاع التعليم، فحضي هو الآخر بمبدأ المجانية والإجبارية حتى سن 16 سنة دون تمييز بين الجنسين، الشيء الذي أعطى للفتاة فرصة الحصول على مستويات عالية مكنتها من اقتحام عدة مجالات لتمشي جنباً إلى جنب مع أخيها الرجل. لكن هذا التعليم والتكوين كان له اثر على الحياة الشخصية والأسرية للمرأة، فالتعليم أخر سن زواج الفتاة والشهادات العليا منحها فرصة العمل الذي مكنها من العيش الكريم، مما جعلها تعيد النظر والتفكير من جديد في كيفية تخطيط حياتها ككل، وبالتالي تأثر سلوكها الإيجابي بشكل مباشر وغير مباشر بفعل تحسن مستواها التعليمي.

أثر التعليم على العملية الإنجابية عندما اهتمت المرأة بالتعليم بدلا من الزواج والإنجاب في سن مبكر، ثم العمل في مناصب متعددة منها تلك التي تتطلب الكثير من الوقت والجهد، وبالتالي لجأت المتزوجة إلى تباعد الولادات وتحديد النسل في بعض الأحيان. لهذه الأسباب ولأخرى اعتبرنا التعليم موجه مهم لباقي محددات الخصوبة بدلا من اعتباره احد المحددات فقط كما سنرى لاحقا.

I- تطور الخصوبة في الجزائر:

نتيجة لرغبة الجزائريين في تعويض الخسائر البشرية للحرب التحريرية، وكذا الزواج المبكر الذي ساد بعد الاستقلال بفعل العادات

والتقاليد وصل المعدل الخام للمواليد إلى 50 مولود لكل ألف امرأة في بداية السبعينات، أما المؤشر التركيبي للخصوبة وهو أكثر المؤشرات تعبيرا عن حقيقة الحالة الديمغرافية للبلاد فقد تجاوز ثمانية أطفال لكل امرأة آنذاك.

إن التراجع الكبير الذي طرا على هذا المؤشر تشترك فيه عدة محددات، مثل تأخر سن الزواج الأول للمرأة واستعمالها لموانع الحمل الذي انتشر بكثرة فور انتهاء الجزائر للسياسة السكانية في بداية الثمانينات. واعتناء المرأة بصحتها أكثر من ذي قبل، وكذا دخولها سوق العمل بفضل تعليمها وحصولها على شهادات عليا أكثر فأكثر. فما لبثنا ندرس محددات من هذه المحددات إلا وجدنا للتعليم أثرا في زيادة فعالية ذلك المحدد. فما هو هذا الأثر وما هي هذه الفعالية؟

1.I- جدول رقم (1): تطور معدلات الخصوبة في الجزائر والمؤشر التركيبي للخصوبة(1970-2014).

2014**	2008**	1998***	1986***	1977***	1970***	السنوات الأعمار
13.5	8.8	10.9	27	97	114.1	19-15
100.9	76.1	81.4	190	284.6	338.5	24-20
159.2	142.1	139.7	257	342.1	388.1	29-25
146.9	152.6	138.3	260	336.3	354.8	34-30
123.7	121.7	104.5	218	266.8	281.5	39-35
54.6	52.1	48.6	104	128.7	152.5	44-40
7.9	8.2	9.8	27	27.3	42.2	49-45
3.3	2.81	2.67	5.4	*7.3	8.36	ISF

**ONS، démographie Algérienne n° 690

المصدر:

*DELEND AÏssa، thèse de doctorat d'état 2004، p 208

***HAMZA Cherif Ali، thèse de doctorat ،p285

II- العوامل المحددة للخصوبة:

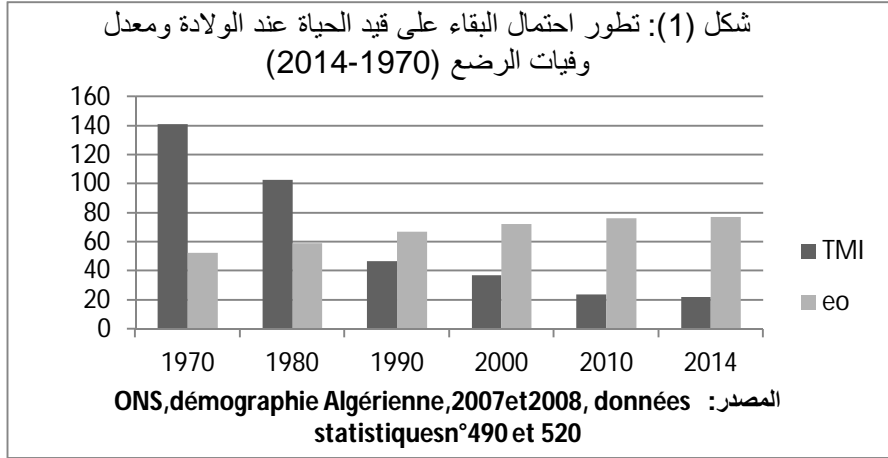
رغم أن الخصوبة تلعب دورا مهما في التأثير على الحركة السكانية في المجتمع إلا أنها لم تسلم من التأثير بعوامل ظهرت أو تحسنت على ما كانت عليه من قبل في مجتمعنا أهمها ما يلي.

- 1- التحسن الصحي.
- 2- تحسن المستوى التعليمي للفتاة.
- 3- تأخر سن الزواج الأول عند المرأة.
- 4- استعمال وسائل منع الحمل.
- 5- دخولها سوق العمل.

II.1- التحسن الصحي

لقد تحسن المستوى الصحي للسكان مقارنة بما كانت عليه سابقا بفعل السياسة الاقتصادية المنتهجة في تلك الفترة التي أولت أهمية للقطاع الصحي في البلاد، فمن خلال فتح أبواب كليات الطب أمام كل النجباء من المتحصلين على شهادة البكالوريا حتى البسطاء منهم، تعزز قطاع الصحة بنخبة كبيرة من خريجي السلك الطبي والشبه طبي، ورفع من عدد الأطباء والمرضين لكل مجموعة من السكان وبالتالي رفع مستوى الخدمة الصحية المقدمة ولو بالشيء القليل.

فضلا عن مجانية العلاج وحق كل مواطن فيه، حضت المرأة بعناية خاصة بفضل إنشاء عدد كبير من مراكز حماية الأم والطفل المتمخض عن انتهاج الجزائر للسياسة السكانية في بداية الثمانينات، هذه العناية الخاصة بصحة المرأة وطفلها ساهمت في تراجع معدل وفيات الأطفال الرضع وارتفاع أمل الحياة عند الولادة كما هو موضح في الشكل التالي، مما جعل المرأة تباعد بين الولادات وتنجب عددا أقل من الأطفال.

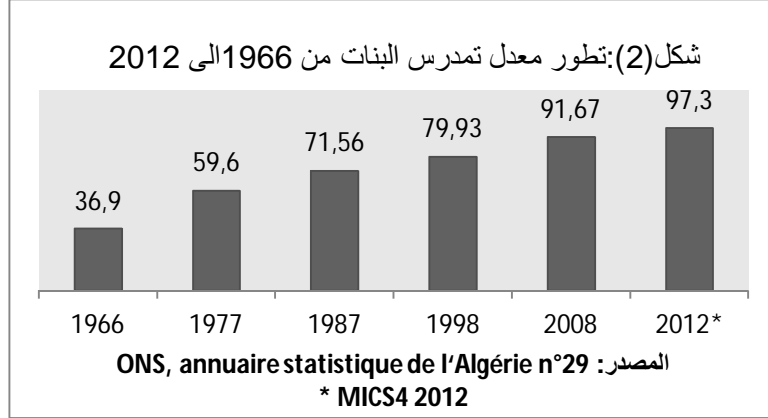


II.2- المستوى التعليمي:

يعتبر هذا المتغير بمثابة محرك لكل تلك المحددات المساهمة في توجيه الخصوبة نحو النقصان، سنربط هذا المتغير بشكل مباشر مع كل محدد لنرى مدى ترابطه معها ثم نجمع كل هذه المتغيرات والمستوى التعليمي في رسم بياني واحد قصد توضيح وملاحظة تلك العلاقة الوطيدة بين هذه المتغيرات والمستوى التعليمي للمرأة.

II.2.1- تطور نسب تدرس الفتاة في الجزائر:

التقدم المسجل في إقبال الفتيات على مقاعد الدراسة الذي يفسر بالاستقلال أولا وبمجانبة التعليم واجباريته في سن 6-16 سنة ثانيا، بالموازاة مع تزايد وتطور نسب البنات في سن التمدرس نسجلا تراجعاً واضحاً في نسب الأمية في سن العاشرة فما فوق نظراً للدور الذي لعبته مراكز محو الأمية بفعل سياسة تعميم التعليم. ولأن الشيء يصعب في بدايته فإن إجبار الدولة للآباء على تمكين أبنائهم من التعلم في هذه الفترة من أعمارهم دون تمييز بين الجنسين كان بمثابة خطوة إلى الأمام بالنسبة للفتاة لمواصلة دراستها.



شيء آخر يمكننا ملاحظته بالعودة إلى الرسم البياني السابق هو أن تسارع وتيرة الفتاة في الإقبال على مقاعد الدراسة طيلة السنوات الأولى للاستقلال، هذا الأخير سجل أعلى زيادة له فيما بين 1966 و1977 إذ قارب 23 نقطة في حين سجل أدنى مستوياته في الفترة الممتدة بين 1987 و1998 فلم يتجاوز عتبة 8 نقاط، الشيء الذي يمكن أن نفسر به هذا التراجع في معدلات تـمدرس الفتيات هو أن العديد من الآباء تغاضوا عن تسجيل بناتهم في المدارس خلال تلك الفترة خاصة في المناطق الريفية للأسباب الأمنية التي سادت حينها وربما لأسباب أخرى. فقد تعددت الأسباب والنتيجة واحدة، فالمجتمع الذي يكون فيه النصف من أبنائه لا يملك الحرية في اكتساب المؤهلات بفعل التمييز بين الجنسين لا يخضع لمقاييس تدفع به إلى الأمام، فيكون عاجزا عن تحقيق أي تقدم مما يجعله مجتمعا مشلولا نصفيا أو ساكنا في أحسن أحواله.

II.2.2- المؤشر التركيبي للخصوبة حسب المستوى التعليمي للمرأة:
جدول رقم(2):تطور المؤشر التركيبي للخصوبة في الجزائر من 1969 إلى 2012.

المؤشر التركيبي للخصوبة				المستوى التعليمي
MICS4	EASF	EASME	ENSP	
3.4	2.6	5.6	8.5	بدون مستوى
2.9	2.1	3.3	5.7	ابتدائي
2.9	2.0	3.3	3.7	متوسط
2.4	1.4	3.0	3.7	ثانوي فأكثر

المصدر: مختلف التحقيقات المذكورة في الجدول.

مع تراجع الخصوبة لدى كل النساء باختلاف مستواهن التعليمي حسب مختلف التحقيقات الوطنية إلا أن العلاقة العكسية بين خصوبة المرأة ومستواها التعليمي لا تزال قائمة، فكلما تراجع عدد الأطفال لدى النساء بدون مستوى وصاحبات الابتدائي والمتوسط تناقص عدد الأطفال لدى الجامعيات بوتيرة أسرع، وهذا ما يفسر لنا دور التعليم في تراجع الخصوبة بشكل واضح حيث تنجب الجامعيات أقل من نصف ما تنجبه الغير متعلمات(2002).

II.3- تأخر سن الزواج الأول عند المرأة:

II.3.1- جدول رقم (3): تطور متوسط سن زواج الفتيات بين 1966 و2014.

السنوات	1966	1977	1987	1998	2008	*2014
السن	18.3	20.9	23.7	27.6	29.3	31

المصدر:

LOUADI Tayeb، les déterminants de la baisse de la fécondité en Algérie

* ONS، données statistique 2014،n° 690.

إذا كانت سنوات الستينات والسبعينات قد تميزت بزواج الفتيات في سن دون 20 سنة الذي فتح أمامها مجالاً زمنياً للخصوبة يفوق 30 سنة، فإن الفترة التي تلتها عرفت ارتفاعاً كبيراً في متوسط عمر الفتاة عند

الزواج الأول مما قلص فترة الخصوبة لديها إلى النصف تقريبا، والمسبب الأكبر في ذلك هو اختيار الفتاة لإتمام تعليمها قبل الزواج.

II.3.2.1- جدول رقم(4): متوسط عمر النساء عند الزواج الأول حسب مكان الإقامة (1977-2008).

السنة	الحضر	الريف
1977	23.1	19.8
1987	24.8	22.3
1998	27.9	26.9
2008	29.5	28.9

المصدر: مختلف الإحصائيات العامة للسكان.

II.3.2.2: تطور سن الزواج الأول حسب المستوى التعليمي للمرأة. جدول رقم(5)

السنة	بدون مستوى	ابتدائي	ثانوي فأكثر
1970	17.8	20.7	22.0
1992	23.7	25.5	30.0

المصدر: HEMAL ALI، TAHAR HAFAD، 'la transition de la fécondité ' population en Algérie et politique de 86 p

لم يبقى لمكان الإقامة دور كبير في تحديد عمر الزواج الأول للبنات كما كان عليه في السنوات الأولى للاستقلال، بل اخذ الفارق بين الريف والحضر يتراجع تدريجيا حتى كاد أن ينعدم في السنوات الأخيرة، وهذا راجع إلى تمكين الفتاة الريفية من اخذ نصيبها من التعليم على غرار مثيلاتها الحضريات بفضل السياسة التعليمية المنتهجة في البلاد من جهة، وانفتاح البلاد على العالم الخارجي بسبب العولمة التي حولت العالم إلى قرية صغيرة بمساهمة وسائل الاتصال بمختلف أنواعها السمعية والمرئية في نشر فكرة التحضر حتى في الوسط الريفي من جهة ثانية.

1.3.3.II-تراجع نسب الزواج قبل الثامنة عشر حسب درجة تعلم الفتاة: جدول رقم(6):

المستوى التعليمي	MICs32006	MICs42012
بدون أي مستوى	17.5	16.4
ابتدائي	9.2	9.4
متوسط	4.4	84.
ثانوي	1.7	1.6
جامعي	0.1	0.4

المصدر: التحقيقات المذكورة في الجدول.

2.3.3.II- جدول رقم(7):معدل الخصوبة حسب السن والمستوى التعليمي(1000 امرأة) 1992.

المعدل العام للخصوبة	السن							المستوى التعليمي
	-45	-40	-35	-30	-25	-20	-15	
5.6	49	44	39	34	29	24	19	بدون مستوى
3.8	25	103	192	258	262	221	52	ابتدائي غير مكتمل
3.3	12	72	130	176	199	149	26	ابتدائي
3.3	00	40	121	185	176	122	13	متوسط
2.5	00	45	119	173	175	128	19	ثانوي
4.4	00	49	49	185	147	49	2	المجموع
	23	92	164	220	214	143	21	

المصدر:

HEMAL ALI، HAFFAD Tahar ،la transition de la fécondité et politique de population en Algérie ،p 67

يعتبر سن المرأة عند الزواج الأول إحدى المتغيرات الهامة في تحديد خصوبتها، فالزواج المبكر يفتح مجالاً واسعاً أمام المرأة حتى تنجب عدداً كبيراً من الأطفال، كما يسمح لها أن تباعد بين كل مولود وآخر لفترة أطول لأن فترة خصوبتها تكون طويلة، فالمرأة التي تتزوج في العشرينيات من عمرها أوفر حضا من تلك التي تتزوج بعد سن الثلاثين،

فكلما كان الزواج مبكرا بالقدر الذي لا يمس بصحة المرأة (بعيدا عن زواج الفتاة في سن مبكرة) كانت فترة الخصوبة طويلة، أما المتزوجات بعد سن الثلاثين أو أكثر فان فترة الخصوبة لديهن تنقلص هذا من جهة، من جهة أخرى نجد بعض النسوة ينجبن الطفل الثاني أو الثالث بعد سن الخامسة والثلاثين مما يشكل خطرا على حياتهن وحياة أطفالهن معا في حالة ما إذا استعملت وسيلة من وسائل منع الحمل، أما إذا خشيت الإنجاب بعد سن الخامسة والثلاثين فإنهن ستجدن أنفسهن أمام تكرار وتقارب الحمل الذي لا يقل خطورة عن خطر الولادة المتأخرة، فمتاعب المرأة هذه تشكل عبئا اقتصاديا على الدولة.

1.4.II- جدول رقم(8): استعمال موانع الحمل عند الجزائريات .-

السنة	1968	1980	1984	1986	1992	2002	**2006	*2012
معدل استعمال موانع الحمل %	8	11	25	35	51	57	64	57

المصدر: * MICS 4 2012، * MICS 3 2006 **

في توعية المرأة بأهمية (PNMCD) أهم ما يمكننا قوله هو الدور الذي لعبه البرنامج الوطني لتنظيم الولادات التباعد بين الولادات، مما ساهم في زيادة استعمال موانع الحمل من طرف النساء خاصة خلال العشرية الأولى من انطلاقه، قدرت هذه الزيادة ب 10 نقاط بين 84 و 86 ثم سجلت زيادة 16 نقطة مئوية بين سنتي 86-92، لتواصل النساء استعمال هذه الموانع بشكل نسبي، يمكن إرجاع هذا البطيء إلى تأخر الفتاة في الزواج بسبب التعليم في أغلب الأحيان.

II.4.2- جدول رقم(9): نسبة استعمال موانع الحمل حسب المستوى التعليمي للمرأة

المستوى التعليمي	نسبة استعمال موانع الحمل
بدون مستوى	52.5
ابتدائي	57.1
متوسط	58.8
ثانوي	60.4
جامعي	54.7

المصدر: MICS4، 2012 p 134

العلاقة بين المستوى التعليمي للمرأة واستعمال موانع الحمل علاقة طردية، فكلما ارتفع المستوى التعليمي للمرأة تزايد استعمالها لهذه الوسائل، ما عاد ذلك التراجع الطفيف الذي سجل عند الجامعيات الراجع بالدرجة الأولى إلى سن المرأة، فالمتخرجات من الجامعة يجدن أنفسهن في سن إنجاب شبه متأخرة لهذا يقل استعمالهن لتلك الوسائل على الأقل قبل الولادة الأولى لديهن.

II.5- عمل المرأة:

II.5.1- جدول رقم(10): معدل الخصوبة حسب الوضعية المهنية للمرأة (1998).

الوضعية الاقتصادية	عاملة	طالبة	مأكثة في البيت	في المجموع
معدل الخصوبة	1.9	1.2	3.3	2.2

المصدر: الإحصاء العام للسكن والسكان 1998.

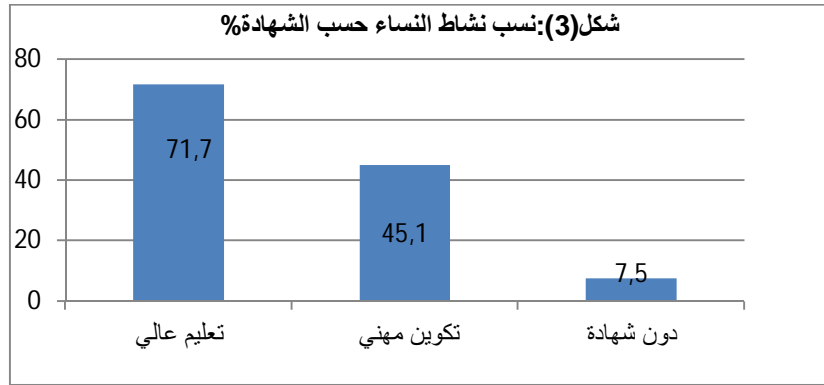
بالرغم من أن المعطيات تمثل سنة 98 فقط إلا أنها تعكس لنا بشكل ما تأثير عمل المرأة على خصوبتها، حيث نجد أن عدد الأطفال لدى المرأة العاملة أقل بكثير منه عند المرأة المأكثة في البيت. ثم أن الطالبة أقل خصوبة من العاملة والمأكثة في البيت معاً، وهنا يمكننا أن نرجح دور التعليم على غيره من المحددات.

أما إقبال النساء على سوق العمل فيكون بنسب عالية لدى الجامعيات مقارنة مع صاحبات التكوين المهني أين بلغت النسب على التوالي 71.7% و 45%، أما نسبة النساء اللاتي لا يحملن أي شهادة فقد بلغت

7.5% فقط، مما يفسر بالمستوى التعليمي للمرأة الذي يلعب دورا هاما في دخولها سوق العمل بغض النظر عن مدى حاجتها للعمل. عكس المرأة التي لا تحمل أي شهادة التي تدفع بها الحالة المادية الصعبة إلى العمل في كل الأحوال والظروف.

II.2.5- جدول رقم(11): نسبة نشاط النساء حسب المستوى التعليمي 2013.

النسبة المؤوية	المستوى التعليمي
4.9	دون مستوى
8.4	ابتدائي
12.9	متوسط
18.6	ثانوي
48.5	عالي (جامعي)



المصدر: الدليل الإحصائي لمركز الإعلام والتوثيق لحقوق الطفل والمرأة (CIDDEF) 2015، ص50.

تضاعف نسبة النساء الناشطات حوالي أربع مرات بين 1977 و2014 الذي انتقل من 5.2 إلى 19.5 على التوالي إلا أن هذه النسبة تبقى جد منخفضة بالمقارنة مع تلك التي يشغلها الرجال إذا أخذنا بعين الاعتبار التفوق الذي حققته المرأة الجزائرية في مجال التعليم خاصة مستوى الجامعي، فربما هذا المستوى العالي من التعليم يمنعها من أن تقبل بعض المناصب.

فمن خلال تتبعنا لطلب المرأة المتزايد على العمل يتضح النشاطات، حيث تشغل الجامعيات ما يقرب من نصف النساء النشاطات وتشغل صاحبات المستوى الثانوي خمس الفئة النشطة، وتشغل باقي النساء ما يزيد بقليل عن الربع. إذ تمثل نسبة الغير متعلقات 14/1 فقط من نسبة الجامعيات والثانويات، أما فيما يخص نسب النشاط حسب الشهادة فان حوالي 72% ممن يتواجدن في سوق العمل لسنة 2013 حاملات لشهادة التعليم العالي، وما يقرب من نصف المكونات في مراكز التكوين المهني دخلن عالم الشغل، إن عدم مشاركة أكثر من نصف هذه الفئة في القوى العاملة كان سببه عدم حصولهن على منصب أو رغبة منهن في التواجد بالبيت فان فكرة تكوين هذه الأعداد من النساء الذي يكلف الدولة الكثير من الأموال تبدو غير صحيحة حتى في حالة ممارسة أولئك النسوة في بيوتهن لنشاطات تعود عليهن بدخل مادي فهذا لا يخدم الاقتصاد الوطني. لأنه على المواطن الصالح أن يخدم بلده في كل الأحوال خاصة إذا كان تكوينه قد كلف ميزانية الدولة مبالغ كبيرة، وتبقى النساء الغير حاملات لأي شهادة ماكنات في البيت بنسبة تفوق 92% لان نسبة 7.5 % فقط منهن متواجدات في سوق العمل.

للمستوى التعليمي للمرأة دور بارز في توجيهها نحو عالم الشغل، ثم أن التكوين الفسيولوجي للمرأة يجعلها تبحث عن مناصب تتسم بنوع من الخصوصية، لذا يعتبر التعليم عامل مساعد لها للحصول على مهن راقية وسهلة تتماشى مع ذلك المستوى العلمي العالي وتلك البنية الجسمية.

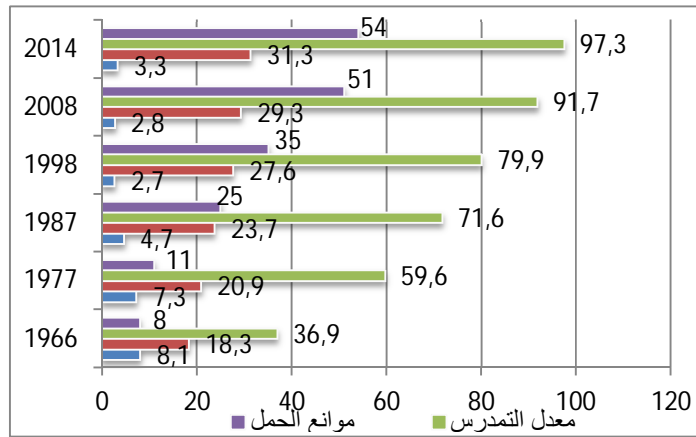
وخير دليل على ذلك أننا نجد أكثر من 62 % من العاملات في القطاع العمومي ينتمين إلى قطاع الخدمات غير التجارية (الإدارة، التعليم، الصحة) مقابل 28% بالنسبة للرجال، كما تشغل المهن العلمية والفكرية اهتمام النساء بنسبة 45% في القطاع العمومي. لكن نسب تشغيل العنصر جليا بان المتعلقات من النساء هن من يشكلن النسب الساحقة من مجموع النساء النسوي تبقى ضئيلة جدا بالمقارنة مع الرجال، إلا أن نسب العاملات المؤمنات أي المنتسبات إلى الضمان الاجتماعي تفوق بكثير نسب الرجال المؤمنين حيث بلغت في 2013 على التوالي 72.3%

و54.4% لأن العديد من النساء يعملن في الصحة والتعليم والإدارة حيث يكون الضمان الاجتماعي عام.

III- خلاصة العلاقة بين المستوى التعليمي للمرأة وباقي محددات الخصوبة.

انطلاقاً من الشكلين الموائين يمكننا القول بان تعليم المرأة ليس مجرد محدد غير مباشر لخصوبتها، بل هو محدد مباشر لهذه الخصوبة وموجه مهم لباقي المحددات. فمن خلال الشكل الأول أدناه نلاحظ العلاقة الطردية بين معدل تـمدرس الفتاة وتأخر سن زواجها مع استعمالها لموانع الحمل وحتى معدل العمل (بالرغم من غياب معطيات تتماشى زمنياً مع باقي المعطيات لنتمكن من وضعها في نفس المنحنى) وتلك العلاقة العكسية بين معدل تـمدرسها والمؤشر التركيبي للخصوبة.

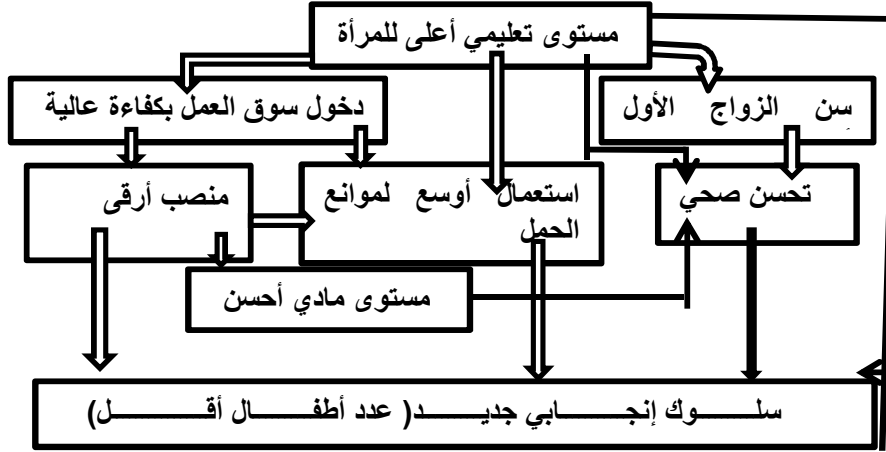
شكل (4): العلاقة الطردية والعكسية لتعليم المرأة مع باقي محددات الخصوبة لديها:



المصدر: ISF 1977، 'DELEND AÏssa، 'thèse de doctorat d'état 2004، p 208.

جدول رقم 1، شكل رقم 2، جدول رقم 3، جدول رقم 8.

تأثير التعليم على الخصوبة:



المصدر: إعداد الطالبة.

خاتمة:

من خلال ما سبق عرضه يمكننا أن نستنتج تلك الازدواجية في تأثير المستوى التعليمي للمرأة على نمط حياتها الخاصة والعامة بالأخص خصوبتها، بما لهذا الأخير من تأثير مباشر وغير مباشر على سلوكها الإيجابي، فتلك العلاقة الطردية بين التعليم والتباعد بين الولادات تظهر بوضوح عند ربط المستوى التعليمي للمرأة وإقبالها على استعمال موانع الحمل، دون أن نغفل المساهمة الفعالة لتعليم المرأة في تأخر سن زواجها الأول، فقد كانت تعتبر العزوبة بمثابة ضمان للمرأة لإتمام تعليمها قبل خوضها لغمار الحياة الزوجية التي قد تمنعها من ذلك في وقت سابق. أما في السنوات الأخيرة فإننا نجد عددا معتبرا من الفتيات يتزوجن وينجبن قبل إنهاء دراستهن حتى أننا نجد البعض منهن يتزوجن في بداية الدراسة الجامعية، وهو ما يفسر لنا ذلك التراجع المسجل في سن زواج المرأة وحتى في متوسط سن الأمومة في الجزائر خلال الثلاث سنوات الأخيرة.

المتسبب في ذلك بالدرجة الأولى هو ارتفاع نسبة المتعلمين في المجتمع ككل فقد أصبح الكثير من الأسر الجزائرية التي كانت ترفض أن

تعلم بناتها في وقت قريب ترحب بزوجات أبنائها المتمدرسات والعاملات، كما أن لتفشي ظاهرة الأسر النووية الدور الأكبر في ذلك.

لقد فتح تعليم المرأة الطريق أمامها لدخول سوق العمل، وحصولها على مستوى تعليمي عالي ساعدها في مواجهة بعض العادات المعارضة لعمل المرأة تحججا بظروف العمل وطبيعته وغيرها من المعوقات، فكما كان المستوى التعليمي للمرأة عالي كلما حظيت بمنصب عمل راقى يصعب على الآباء أو الأزواج معارضته، وبالتالي نجد حصولها على الوظيفة يقلص من وقت بقائها في البيت لتجد نفسها غير قادرة على الاهتمام بتربية عدد كبير من الأطفال مما يجبرها على إنجاب عدد اقل، أي أن هذه المرأة ستلجأ إلى التباعد بين الولادات في بعض الأحيان وفي أحيان أخرى تقرر عدد أطفال امثل بالنسبة لها تماشيا مع ظروفها. بالإضافة إلى تحسن الظروف الصحية مقارنة بما كانت عليه في السابق الذي لعب دورا هو الآخر في المسار الجديد للحياة الإيجابية للمرأة.

المراجع:

1. LOUADI Tayeb، les déterminants de la baisse de la fécondité en Algérie، revue des sciences humaines n°24، université Mohamed Khider، Biskra، Algérie، 2012.
2. HEMAL ALI ،HAFAD Tahar ،la transition de la fécondité et politique de population en Algérie، Revue sciences Humaine n°12، université Mentouri، Constantine، Algérie ،1999.
3. DELEND AÏssa ،rôle du développement social et économique dans le changement des comportements démographiques en Algérie، thèse de doctorat d'état 2004.
4. HAMZA Cherif Ali، population et besoins sociaux essentiels en Algérie à l'horizon 2038 thèse de doctorat.
5. ONS، démographie algérienne 2014 n° 690.
6. ONS: Annuaire statistique de l'Algérie n° 29،2013.
7. Enquête national sur la santé de la population، ENSP 1969-1971.
8. Enquête algérienne sur la sante de la mère et de l'enfant، EASME 1992.
9. Enquête algérienne sur la sante de la famille، EASF 2002.

10. Enquête par Grappes à Indicateurs Multiples(MICS) 2006.
11. Enquête par Grappes à Indicateurs Multiples(MICS) 2012-2013.

- 12 - الإحصاءات العامة للسكن والسكان، 2008، 1998، 1987، 1977، 1966.
13- الدليل الإحصائي لمركز الإعلام والتوثيق لحقوق الطفل والمرأة 2015.

الكفاءة المهنية للمرشد التربوي بين الواقع والمأمول. (دراسة ميدانية على عينة من المرشدين التربويين)

أحلام مداني قسم العلوم الاجتماعية (جامعة سعيدة)
أ. سيد أحمد ورغي قسم العلوم الاجتماعية (جامعة وهران 2 محمد بن أحمد)

ملخص الدراسة

"كفاءة المرشد التربوي المهنية بين الواقع والمأمول"، هي دراسة هدفت إلى التعرف على مستوى الكفاءة المهنية التي تؤهل المرشد التربوي لأداء عمله الإرشادي في ظل مجموعة متغيرات متمثلة في (الجنس، التخصص، الأقدمية المهنية، الزمرة الدموية، المؤهل العلمي، ولاية العمل)، بحيث تكونت عينة الدراسة من (78) مرشدا (ة) تابعين لمراكز التوجيه المدرسي والمهني عبر البعض من ولايات الجزائر (سعيدة، معسكر، سيدي بلعباس، النعامة، الشلف)، ولاختبار فروض الدراسة تم الاعتماد على استبيان لقائمة الكفاءات المهنية للمرشد التربوي على مستوى (04) أبعاد متمثلة في: بعد الكفاءة الشخصية، بعد الكفاءة الاجتماعية، بعد الكفاءة التكوينية، بعد الكفاءة الإنتاجية، وبعد التأكد من الخصائص السيكمترية للأداة وجب تطبيقها على مجتمع الدراسة، حيث تم الاعتماد في ذلك على المنهج الوصفي، وفق المعالجة الإحصائية للبيانات باستخدام الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS/22)، باستخدام اختبار "ت" لعينتين مستقلتين واختبار "تحليل التباين الأحادي" اتجاه واحد، لدراسة الفروق الخاصة بمتغيرات الدراسة، إضافة إلى المتوسط الحسابي لتقدير مستوى الكفاءة المهنية للمرشد التربوي.

وقد توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

* هناك كفاءة مهنية بمستوى مرتفع تؤهل المرشد التربوي لعمله الإرشادي.

إضافة إلى ما أثبتته الدراسة في قبول الفرض الصفري في جميع الفرضيات المطروحة لمتغيرات الدراسة ضمن أبعاد الاستبيان بأنه "لا

توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05) تعزى لمتغيرات: (الجنس، التخصص، الأقدمية المهنية، الزمرة الدموية، المؤهل العلمي، وولاية العمل) وذلك في جميع أبعاد الاستبيان. " وقد أظهرت الدراسة بعض النقص في الكفاءة التكوينية والإنتاجية، وتم على أساس ذلك مناقشة هذه النتائج في ضوء الإطار النظري للدراسة. **الكلمات المفتاحية:** الكفاءة المهنية، الإرشاد التربوي، المرشد التربوي، متغيرات الدراسة.

Abstract: This study aimed to identify the level of professionalism that qualify counselor for guiding its work, under a set of variables (sex, specialty, seniority professional, group butcherly, qualification, canton work), so that the sample of the study consisted of (78) Guide (e) of the educational and vocational guidance center's across some towns of Algeria (Saida, mascara, Sidi Bel Abbes, Naama, Chlef), to test the hypotheses of the study questionnaire was relying on the list of professional competencies to guide educational level (4) dimensions in: personal competence social competence, creating competence, productivity competence, the efficiency production efficiency, and after confirming the psychometric properties of the instrument shall be circulated to the study community, where he adopted the student on the descriptive analytical, comparative, statistical treatment of data using statistical package for social science (SPSS/ 20), using the "t test" for specimen independent testing "analysis of variance" one away to study differences in the study variables, add percentages to estimate the level of professionalism of the counselor.

The study has reached the following conclusions: *There are Professional qualifications at advance level qualifies counselor for his work. In addition to the study demonstrated in accepting the imposition of zero in all the hypotheses of the study variables within the dimensions of the questionnaire that "no significant differences when the level indication (0.05) due to variables:(sex, specialty, seniority professional, group butcherly qualification, canton work) in all

dimensions." in addition, the study showed some deficiencies in efficient formative and productive side. It was based on the discussion of these results in light of the theoretical framework of the study.

Key words: professional competence, educational counseling, educational guide, study variables.

1. إشكالية الدراسة:

تحاول إشكالية الدراسة البحث في الكفاءة المهنية للمرشد التربوي وما قد يكون لها من دور بارز في تحقيق ما سطر من أهداف ضمن المنظومة التربوية، حيث يكمن عمل المرشد في بناء وتعديل شخصية الطلبة المسترشدين لمواجهة العقبات التي تعترضهم في حياتهم، وفي تنمية قدراتهم وإمكاناتهم المادية والمعنوية في سبيل النمو السوي. وحتى يساهم المرشد في تحقيق الغايات والأهداف التربوية والإرشادية بوجه خاص، قد يحتاج إلى كفاءات مهنية تؤهله لأداء عمله بدقة ووضوح لتجعل منه شخصا مسؤولا قادرا على تحمل أعباء المسترشدين، وفي هذا الصدد يؤكد "عمر" (1992): "على ضرورة أن يكون المرشد مؤهلا تأهيلا علميا أكاديميا ومتدربا تدريبيا فنيا مهنيا راقيا، حيث يعتبر التأهيل العلمي والتدريب العملي والتدريب المهني جزءا مهما من أي تعريف للإرشاد" (أبو يوسف، 2008: 03)، إضافة إلى ما نلمسه في قول "الشارفا" (2011): "في أن المرشدين المؤهلين علميا والمزودين بالمهارات الأساسية والفرعية في عملية الإرشاد هم الكوادر المهنية التي تستطيع القيام بهذا الدور، فإنه يجب إعداد تلك الشريحة وفق أسلوب علمي مخطط، وتوعيتهم بمفهوم الذات المهنية وأهميتها في زيادة كفاءتهم في العمل، حتى يتمكنوا من القيام بهذا الدور على الوجه المطلوب." (الشرفا، 2011: 05).

كما أن عملية الإرشاد أو مهمة المرشد لا تنحصر بإماماته النظرية فقط، وإنما يتعدى الأمر ذلك إلى ما هو عملي في مجال مهنته، إضافة إلى ما يمتلكه من كفاءات ضمن قطاعه التربوي مسائرا في ذلك التحديات التي قد تترتب جراء أداءه المهني، وهذا ما دلت عليه بعض الدراسات المحلية الآتية:

- دراسة "براهمية" (2006) بعنوان "تأثير الوضعية المهنية على أداء المرشد التربوي والمهني" لولايتي "قالمة وسوق أهراس" (الجزائر)، استخدمت الباحثة منهج المسح الشامل للمرشدين في كلتا المنطقتين نظرا لصغر حجم العينة الذي بلغ (37) مرشد للإجابة على مفردات الاستمارة، بحيث هدفت الدراسة إلى الكشف عن كيفية تأثير الوضعية المهنية، والأطر التنظيمية، وعلاقة المرشد بالمتعاملين التربويين على أدائه، وأظهرت النتائج، تأثير الظروف المادية للمؤسسة على أداء المرشد التربوي التي تتمثل في: الموقع الجغرافي للمؤسسة، مكتب المرشد التربوي داخل المؤسسة من ناحية (الموقع، الحجم، التجهيزات)، إضافة إلى تأثير الأطر التنظيمية من بينها الأطر القانونية لتحديد المهام، والنظام الداخلي للمؤسسة الذي تتحكم في مجموعة من المتغيرات، الخريطة المدرسية التي لا تخدم الملمح التربوي لتلاميذ التي تقوم وفق ترتيب إحصائي فقط، أما فيما يخص طبيعة العلاقات في تخدم علاقته مع (المدير، أعضاء الفريق التربوي، التلاميذ، الأولياء) وكل يرجع على حسب موقعه بعلاقته مع المرشد التربوي. (براهمية، 2006: 67)

و دراسة "العماري" (2015) بعنوان "معوقات عمل المرشد المدرسي والمهني وعلاقتها بكفاءته المهنية" دراسة ميدانية على بعض مراكز التوجيه المدرسي والمهني لولايات الغرب الجزائري، شملت عينة الدراسة (130) مرشدا (ة)، بغرض تحقيق أهداف الدراسة من خلال استجاباتهم على استبيانين أولهما لقياس معوقات عمل المرشد والثاني لقياس الكفاءة المهنية للمرشد، كما اعتمد في الدراسة على المنهج الوصفي، وقد توصلت الدراسة إلى نتائج أهمها:

* لا يوجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين المعوقات الشخصية التواصلية والكفاءة المعرفية للمرشد.

* لا يوجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين المعوقات الشخصية التواصلية والكفاءة المهنية للمرشد.

* لا يوجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين المعوقات البيداغوجية والكفاءة المعرفية للمرشد.

*لا يوجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين المعوقات البيداغوجية والكفاءة المهنية للمرشد

*لا يوجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين المعوقات المادية والكفاءة المعرفية للمرشد.

*لا يوجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين المعوقات المادية والكفاءة المهنية للمرشد.

تشابهت كلا الدراستين في تناولهما للمؤثرات التي تحد من أداء المرشد بما فيها معوقات العمل والوضعية المهنية، ومدى انعكاس هذين المتغيرين على طبيعة المهام التي يزاولها المرشد التربوي وعلاقة هذا التأثير بمستوى كفاءته في التحكم وإدارة مهنته.

وفي ضوء ما سبق ذكره، فإن كفاءة المرشد تستند بالدرجة الأولى على مدى كفاءته في صياغة الموقف الإرشادي، وهذا ما يظهر جليا في مستوى أدائه المهني ومدى فعاليته اتجاه العملية الإرشادية في الإطار التربوي، وهذا ما دلت عليه معظم الدراسات العربية التي فحواها كفاءة المرشد والعملية الإرشادية، من بينها:

- دراسة "أبو الهيجاء" (1988) التي تهدف إلى "معرفة مدى فعالية المرشد التربوي في المدارس الأردنية"، وما هي انطباعات المدراء والمعلمين والمرشدين والمسترشدين نحو هذه الفعالية، شملت عينة الدراسة (320) فردا من المديرين والمعلمين والمرشدين والمسترشدين في المدرسة الأردنية. ولقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها:

1. المرشد التربوي لم يصل إلى المستوى المطلوب تربويا في المدرسة الأردنية.

2. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المديرين والمرشدين، نحو فاعلية المرشد التربوي. (السلامه، 2003: 52)

إضافة إلى دراسة "العموش" (2002) بعنوان "الكفاءات الإرشادية لدى مرشدي المدارس الرسمية وعلاقتها ببعض المتغيرات." وتكون مجتمع الدراسة من جميع مرشدي المدارس الحكومية في مديريات التربية والتعليم التابعة لإقليم الشمال الأردني، وتألفت عينة الدراسة من (177)

مرشدا)، أظهرت النتائج أن الكفاءات الإرشادية متوافرة لدى المرشدين، بدرجة عالية في ثمان مجالات من مجالات الدراسة، وهي المجال الأول الذي تضمن مجال التشخيص ومجال العلاقة المهنية ومجال تفهم السلوك الاجتماعي للمسترشد، ومهارات الاتصال والسلوك غير اللفظي وإعداد البرنامج الإرشادي وإدارة الجلسة الإرشادية وقيادتها واستخدام الأساليب السلوكية، والمعرفية، وأخيرا اتخاذ القرارات السليمة، وأشارت النتائج إلى أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في توافر الكفاءات التدريبية لدى المرشدين ترجع لاختلاف الجنس أو التدريب. أما فيما يتعلق بمتغير الخبرة فقد وجد أن هناك فروقا ذات دلالة إحصائية في توافر الكفاءات لدى المرشدين في الإجابة على فقرات الاستبيان، وقد وجدت أيضا فروق ذات دلالة إحصائية في توافر الكفاءات لدى المرشدين ترجع إلى متغير التأهيل العلمي على مجال التقييم، وإصدار الأحكام، لصالح حملة الدبلوم العالي. (العموش، 2002: 03)

ودراسة "عوض" (2003) بعنوان "اتجاهات مديري المدارس الحكومية بمحافظة غزة نحو الإرشاد التربوي وعلاقتها بأداء المرشد". وهدفت هذه الدراسة إلى معرفة اتجاهات مديري المدارس الحكومية بمحافظة غزة نحو الإرشاد التربوي وعلاقتها بأداء المرشد التربوي، حيث كانت عينة البحث مديري المدارس الحكومية بمحافظة غزة للعام الدراسي (2003)، وقد أسفرت النتائج على أن (85%)، من مديري المدارس لديهم اتجاهات إيجابية نحو الإرشاد التربوي، وخلصت الدراسة إلى توصيات من أهمها إعطاء أهمية أكبر لبرامج الإرشاد التربوي وذلك من خلال وضعها على سلم أولويات وزارة التربية والتعليم من حيث الإعداد والتطوير، كما قدم الباحث مقترحات ومن أبرزها عمل دراسة لقياس اتجاهات الطلبة نحو الإرشاد التربوي. (أبو يوسف، 2008: 140)

كما بينت دراسة "زريقي" (2008) بعنوان "الكفاءات الإرشادية المدركة واختلافها باختلاف التأهيل والتدريب والخبرة وجنس المرشد في المدارس الأردنية". وتم اختيار عينة عشوائية (184) مرشدا ومرشدة في محافظات عمان والزرقاء واربد، ومن مجتمع عدد أفرادها الإجمالي

(794)، ولتحقيق ذلك تم بناء أداة خاصة للتعرف على درجة امتلاك الكفاءات الإرشادية مكونة من (89) فقرة موزعة على تسع مجالات، وأظهرت النتائج أن مرشدي المدارس الحكومية ممن شملتهم الدراسة الحالية يمتلكون درجة عالية جدا في مجالين من مجالات الدراسة، وبدرجة عالية في السبعة المجالات المتبقية من الكفاءات الإرشادية مرتبة تنازليا كما يلي: مجال تنفيذ الإرشاد الفردي والجماعي احتل المرتبة الأولى ويليه مجال الالتزام بالمعايير الأخلاقية ومعايير التطور المهني ثم مجال تنظيم برنامج الإرشاد في المدرسة تلاه مجال مساعدة الطلبة لتحسين تحصيلهم الأكاديمي، ثم مجال مساعدة الطلبة على فهم خصائصهم الإنمائية تلاه تطبيق التوجيه المهني للطلبة ثم تقييم الطلبة وتفسير المعلومات تلاه تقديم الاستشارات ثم مجال تطبيق الأبحاث وتقييم البرنامج الإرشادي الذي احتل المرتبة الأخيرة. وبالنسبة لمتغيري التأهيل العلمي وجنس المرشد، أشارت النتائج إلى أنه لا توجد فروق في امتلاك الكفاءات الإرشادية المدركة لدى المرشدين ترجع إلى درجة اختلاف التأهيل العلمي أو الجنس. أشارت النتائج إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في امتلاك المرشدين للكفاءات الإرشادية المدركة ترجع إلى متغير الخبرة ولصالح المرشدين من ذوي المستوى العالي في الخبرة الإرشادية (6 سنوات فأكثر) والمتوسطة (2-5 سنوات) فيما يتعلق بمتغير التدريب لوحظ وجود فروقا ذات دلالة إحصائية في امتلاك الكفاءات الإرشادية لدى المرشدين ولصالح المرشدين الذين شاركوا في ثلاث دورات فأكثر ثم دورتين. (الشارف، 2011: 95)

ودراسة "الشرفا" (2011) بعنوان "الذات المهنية للمرشدين النفسيين في العمل الإرشادي التربوي بقطاع غزة" هدفت الدراسة إلى معرفة مستوى الذات المهنية للمرشدين في ظل مجموعة من المتغيرات، حيث اعتمدت الباحثة على عينة (279) مرشدا، وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى للمتغيرات التالية: الجنس، والمرحلة الدراسية، والمنطقة التعليمية.

- توجد فروق ذات دلالة إحصائية تعزى للمتغيرات التالية: العمر، الحالة الاجتماعية، المؤهل العلمي، التخصص، الدورات التكوينية، استخدام الحاسوب. (الشارفا، 2011: 04)

استنادا لما سبق نجد أن هذه الدراسات تمحورت حول هدف معين وهو موضوع المرشد في العمل الإرشادي التربوي، الأمر الذي يسهم في إظهار التباين في الممارسة العملية للمرشد ومدى توفر كفاءاته المهنية في السياق الإرشادي داخل المؤسسات التربوية.

كما يركز مفهوم الكفاءة على مجموعة من المستويات التي تستوجب القياس ضمن الإطار المرجعي لها، مع الأخذ بعين الاعتبار طبيعة الاختلاف وتقويم أداء المرشد وإعداده وتأهيله الأكاديمي، وهذا ما أشارت إليه الدراسات التالية:

دراسة "برنت" "Brent" (1981) هدفت إلى "معرفة آراء المرشدين التربويين والأخصائيين النفسانيين من حيث إعداد المرشد أكاديميا وتأهيله ومعرفة ما إذا كان المرشد يحتاج إلى إجازة الإرشاد". طبقت هذه الدراسة على الطرفين على عينة بلغت (116) مرشدا في مقاطعة أدا هو (Idaho) وبلغ معدل سنوات الخبرة عند المرشدين (9.4) سنوات وكانت مؤهلاتهم (68%) من المرشدين الحاصلين على درجة أعلى من الماجستير و(18%) منهم حاصلون على درجة ماجستير، (12%) وحاصلون على درجة دكتوراه و(2%) من المرشدين أقل من ماجستير. وأوضحت الدراسة من وجهة نظر المرشدين التربويين أن المرشدين كانوا أكثر حماسا من علماء النفس لإجازة المرشد وتأهيله تربويا، وكما أوضحت الدراسة أن كلا من الطرفين المرشدون التربويون، والأخصائيون النفسيون يرون بأن المرشدين بحاجة إلى إجازة في الإرشاد. (السلامه، 2003: 60)

دراسة "جودنو، رشال وكرولين" "Rashelle & Carolyn" "Goodnough" (2001) بعنوان "قياس الكفاءات المتوافرة في تخصص الارشاد". وتكونت عينة الدراسة من (232) طالبا في تخصص الإرشاد في

مجموعة من الجامعات الأمريكية، استخدم استبيان مكون من قسمين: الأول اختيار من متعدد والثاني أسئلة مفتوحة، أشارت نتائج الدراسة أن الجامعات بحاجة إلى تدريس مساقات متقدمة في البحث والقياس في الإرشاد، أما التدريب الميداني فبينت النتائج الحاجة إلى تدريب المرشدين على إقامة علاقة إرشادية ومهارات أساليب دراسة المسترشد. (الشارف، 2011: 102)

وأخيرا دراسة "كونستنتين" "Counstantine" (2001) هدفت إلى التعرف على أثر التوجه النظري للمرشد (تكاملي، إنساني، سلوكي، سلوكي معرفي) والجنس والعرق في كفاءات المرشد في الإرشاد المتعدد الثقافات، كما يدركها المرشدون، حيث طبق الاستبيان على (105) طلاب ماجستير في قسم الإرشاد في منطقة الشمال الشرقي في الولايات المتحدة. أظهرت النتائج إن المرشدين ذوي التوجه التكاملي الانتقائي اظهروا مستويات أعلى في الكفاية الإرشادية متعددة الثقافات، وبينت النتائج أثرا لكل من متغير الجنس والعرق على كفاءات المرشدين. (الشارف، 2011: 99)

وعلى ضوء ما سبق ذكره يمكن طرح الإشكال الآتي:

* ما مستوى الكفاءة المهنية للمرشد التربوي، وهل هناك فروق دالة إحصائية ترجع إلى بعض المتغيرات؟

2. تساؤلات الدراسة:

استنادا على الإشكال الرئيس تطرح التساؤلات التالية:

1. ما مستوى الكفاءة المهنية للمرشد التربوي؟
2. هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) بين المرشدين في مستوى كفاءتهم المهنية تعزى لجنسهم؟
3. هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) بين المرشدين في مستوى كفاءتهم المهنية تعزى لتخصصهم؟
4. هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) بين المرشدين في مستوى كفاءتهم المهنية تعزى لأقدميتهم المهنية؟

5. هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) بين المرشدين في مستوى كفاءتهم المهنية تعزى لزمريتهم الدموية؟
6. هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) بين المرشدين في مستوى كفاءتهم المهنية تعزى لمؤهلهم العلمي؟
7. هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) بين المرشدين في مستوى كفاءتهم المهنية تعزى لولاية العمل؟
3. فرضيات الدراسة:

يعتمد عمل المرشد على مؤهلات تخوله لأداء وظيفته على المستوى المطلوب لكي يجسد تكوينه العلمي والعملية، وعليه يستوجب على المرشد التربوي أن يكون أهلاً للمسؤولية عن طريق إمامه بمستوى من الكفاءة المهنية والفعالية في الأداء اتجاه موقفه الإرشادي، وهذا ما أظهرته نتائج الدراسة "أبدر ومارتن" (1983): "أن المرشد الجيد يتصف بالخبرة والمهارة في عمله والإيجابية في علاقاته الاجتماعية مع الأطراف المشاركة في العملية الإرشادية ويتصف بالأمان والثقة بمن حوله، كما يتصف بتوفير المناخ الجيد والراحة للمسترشدين" (أبو يوسف، 2008: 134)، ولكن في واقع الأمر نجد الأمر مخالف لما سبق ذكره وهذا ما تجسد في نتائج الدراسة "جودنو، رشال وكرولين" (2001): "أن الجامعات بحاجة إلى تدريس مساقات متقدمة في البحث والقياس في الإرشاد، أما التدريب الميداني فبينت النتائج الحاجة إلى تدريب المرشدين على إقامة علاقة إرشادية ومهارات أساليب دراسة المسترشد" (الشارف، 2011: 102).

استناداً لما جاء في نتائج الدراسات السابقة بأنه:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في توافر الكفاءات الإرشادية والتدريبية لدى المرشدين ترجع لاختلاف الجنس أو التدريب. أما فيما يتعلق بمتغير الخبرة فقد وجد أن هناك فروقا ذات دلالة إحصائية في توافر الكفاءات لدى المرشدين، لصالح المرشدين من ذوي المستوى العالي في الخبرة الإرشادية (06 سنوات فأكثر)، وقد وجدت أيضا فروق ذات دلالة إحصائية في توفر الكفاءات لدى المرشدين ترجع إلى متغير التأهيل العلمي ومتغير التخصص وهذا ما أشارت إليه الدراسات

التالية: "عموش" (2002)، "زريقي" (2008)، "الشارفا" (2011). كما أشارت النتائج دراسات أخرى إلى أنه لا توجد فروق في امتلاك الكفاءات الإرشادية المدركة لدي المرشدين ترجع إلى درجة اختلاف التأهيل العلمي أو الجنس. وفيما يتعلق بمتغير التدريب لوحظ وجود فروقا ذات دلالة إحصائية في امتلاك الكفاءات الإرشادية لدى المرشدين ولصالح المرشدين الذين شاركوا في ثلاث دورات فأكثر ثم دورتين. وهذا ما دلت عليه دراسة " زريقي" (2008).

وعليه يمكن صياغة الفرضية العامة التالية:

* هناك مستوى مقبول للكفاءة المهنية للمرشد التربوي، وهناك فروقا دالة ترجع إلى أغلب المتغيرات عدا الجنس.

وعلى هذا العموم، تصاغ الفرضيات الجزئية على النحو التالي:

1. هناك مستوى مقبول للكفاءة المهنية للمرشد التربوي.
2. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) بين المرشدين في مستوى كفاءتهم المهنية تعزى للجنس.
3. توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) بين المرشدين في مستوى كفاءتهم المهنية تعزى لتخصصهم.
4. توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) بين المرشدين في مستوى كفاءتهم المهنية تعزى لأقدميتهم المهنية.
5. توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) بين المرشدين في مستوى كفاءتهم المهنية تعزى لمررتهم الدموية.
6. توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) بين المرشدين في مستوى كفاءتهم المهنية تعزى لمؤهلهم العلمي.
7. توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) بين المرشدين في مستوى كفاءتهم المهنية تعزى لولاية عملهم.

4. أهداف الدراسة:

ترمي هذه الدراسة سواء من الناحية العلمية أو العملية إلى هدف أسمى تسعى كل الدراسات إلى تحقيقه وهو إثراء المجال العلمي بدراسات

وبحوث تكون كمادة أولية للكشف عن بعض النقائص والثغرات التي يجب تداركها، للمساهمة في إنجاح العملية التربوية كمنطلق لدعم المنظومة التربوية ككل نحو الرقي والازدهار، أما الأهداف الفرعية فتطرح في النقاط التالية:

* التعرف على مستوى الكفاءة المهنية ومدى توافرها للمرشد التربوي من وجهة نظر المرشد نفسه.

* التعرف على الفروق في مستوى الكفاءة المهنية للمرشد تعزى لمجموعة من المتغيرات (الجنس، التخصص، الأقدمية المهنية، الزمرة الدمية، المؤهل العلمي، ولاية العمل).

5. أهمية الدراسة:

أ. الأهمية النظرية:

ترجع أهمية هذه الدراسة بالدرجة الأولى إلى أهمية الموضوع المتناول وهو مستوى الكفاءة المهنية للمرشد التربوي في ظل مجموعة من المتغيرات، بحيث تعتبر الكفاءة المهنية من الموضوعات الحديثة التي تحوي كل المفاهيم التي تدل على الأداء والمهارة والفعالية والكفاية في المجال المهني الإرشادي، ففي ضوء هذه الكفاءات ودرجة امتلاكها تتحدد مسؤوليات المرشد ودفاعيته اتجاه مهنته بحيث يجسد مقدار جهده وتفانيه اتجاه عمله.

كما يعتبر موضوع الكفاءة (في حدود علم الباحثين)- من الموضوعات الأكثر جدلاً خاصة في المجال المهني كونها تلم بدرجة تأهيل الفرد في محيط عمله، وهذا ما يزيد من أهمية هذه الدراسة في تناولها لموضوع الكفاءة لأهم عنصر في الوسط التربوي وهو المرشد الذي يعنى بسلوك الطالب المسترشد من الناحية النفسية والتربوية.

ب. الأهمية التطبيقية:

تعريف المرشد التربوي على أبعاد الكفاءة المهنية المتوفرة لديه للعمل على تطويرها، والأبعاد المتضائلة لديه والعمل على تنميتها بما يواكب مستجدات المهنة، وكل هذا من خلال إعطاء استجابات على فقرات الاستبيان كتجسيد لتقويم ذاتي للمرشد.

6. التحديد الإجرائي لمصطلحات الدراسة:

1. **مستوى الكفاءة المهنية:** هي درجة امتلاك المرشد القدرة على أداء العمل بطريقة صحيحة على الوجه المطلوب، وبشكل متقن، وتمثل أيضا الدرجة الكلية المحصلة من الأداة التي تقيس موضوع الدراسة والمحددة بالمجال [260، 52] وتنفرع إلى مايلي:

1.1 **الكفاءة الشخصية:** وهي مجموع السمات والخصائص التي تضم الجانب الأخلاقي الانفعالي، في شخصية المرشد، بحيث تمثل أيضا الدرجة الكلية للبعد الشخصي المحصلة من الأداة التي تقيس موضوع الدراسة والمحددة بالمجال [65، 13].

2.1 **الكفاءة الاجتماعية:** وهي الخصائص التي تحتوي على مجموعة من الجوانب منها جانب العلاقات الإنسانية، إضافة إلى الجانب التواصل الاجتماعي، والتي تمثل أيضا الدرجة الكلية للبعد الاجتماعي المحصلة من الأداة التي تقيس موضوع الدراسة والمحددة بالمجال [60، 12].

3.1 **الكفاءة التكوينية:** ويقصد بها الجوانب التي تمثل جانب التمكن العلمي والمهني، ودرجة التكوين المعرفي للمرشد التربوي، بحيث تمثل أيضا الدرجة الكلية للبعد التكويني المحصلة من الأداة التي تقيس موضوع الدراسة والمحددة بالمجال [70، 14].

4.1 **الكفاءة الإنتاجية:** وتشتمل هذه الكفاءة كل الجوانب الأدائية والمهارية والمعرفية التي ينتجها المرشد التربوي في المؤسسة على مستوى نواتج عمله الإرشادي، والتي تمثل أيضا الدرجة الكلية للبعد الإنتاجي المحصلة من الأداة التي تقيس موضوع الدراسة والمحددة بالمجال [65، 13].

2. **المرشد التربوي:** هو الشخص الذي يقوم بمساعدة المسترشدين في حل مشكلاتهم النفسية والتربوية داخل المؤسسة التربوية.

3. **المتغيرات:** ويقصد بها المتغيرات المستقلة للدراسة الحالية والتي تتمثل في متغير (الجنس، التخصص، الأقدمية المهنية، الزمرة الدموية، المؤهل العلمي، ولاية العمل).

7. **حدود الدراسة:**

1.7. **الحدود الزمانية:** تم التطرق لهذه الدراسة بداية من شهر جانفي 2016 إلى غاية شهر مارس 2016.

2.7. **الحدود المكانية:** شملت هذه الدراسة مراكز التوجيه المدرسي والمهني التابعين لكل من ولاية (سعيدة، معسكر، سيدي بلعباس، النعامة، والشلف) بالجزائر.

3.7. **الحدود البشرية:** اقتصرت الدراسة على عينة من المرشدين التربويين بلغت (78) مرشدا (ة) التابعين للمراكز السابقة الذكر.

8. **الخلفية النظرية:**

تعددت مفاهيم الكفاءة ويرجع ذلك إلى تعدد المجالات التي تستخدم فيها حيث تعرّف: "الكفاءة بأنها مجموعة المعارف، والمهارات التي تسمح بإنجاز بشكل منسجم، متوافق - مهمة- أو مجموعة من المهام" (اسماعيل، هاشمي، 2000: 02).

وتعرّف الكفاءة "امتلاك القدرات المعرفية، والمهارات، وبالتالي القدرة على إصدار القرارات". (le petit larouss، 1997 205).

أما الكفاءة المهنية فيعرفها "حمزاوي" (1989) بأنها "القدرة على ممارسة عمل أو مهنة أو مجموعة من الأعمال نتيجة بعض العناصر مثل: المؤهل، والخبرة العلمية الناتجة عن ممارسة فنية، وتطبيقية لمدة تكفي للحصول على هذه الخبرة، والقيام ببحوث علمية ونشر نتائجها".

- وكما يعرفها "الحكمي": أنها: "مجموعة القدرات، وما يسفر عنها من المعارف، والمهارات والاتجاهات". (الحكمي، 2004: 10).

- و"الكفاءة المهنية هي القدرة على أداء العمل بطريقة صحيحة على الوجه المطلوب، وبشكل متقن ويمكن قياس هذه الكفاءة من خلال الأداء المهني الذي يظهر في سلوك الفرد". (مغربي، 2008: 46).

***أبعاد الكفاءات في المجال الإرشادي:** نظرا لأهمية الكفاءات فقد تعددت أبعادها وأشكالها على حسب توجيهها وهي:

1. الكفاءة الشخصية: وتشمل الصفات الواجب توافرها في شخصية المرشد التربوي والتي تجعل منه شخصا مؤهلا لأداء هذه الوظيفة، وهذا يعد كفاءة في كيفية اكتساب هذه السمات ومدى قابلية ترسيخها وتطويرها نحو الأفضل بحيث تشمل ما يلي:(الوعي بالذات، الثقة بالنفس، التحكم الذاتي، النزاهة، الضمير، الدافعية الانفعالية، التكيف والمرونة، الالتزام، المبادرة، الابتكار)(الطراونة، 2009: 37)

2. الكفاءة الذاتية: وهي ثقة الفرد في قدراته خلال المواقف الجديدة أو مواقف ذات المطالب الكثيرة والغير مألوفة، أو هي اعتقادات الفرد في قوة الشخصية مع التركيز على الكفاءة في تفسير السلوك دون الحاجة إلى المصادر أو الأساليب الأخرى لتقاؤل والاعتماد. (الكليبية، 2013: 35)

3. الكفاءة المعرفية: لا تقتصر الكفاءات المعرفية على المعلومات والحقائق، بل تمتد إلى امتلاك كفاءات الإرشادية المستمرة بما يتعلق بالحقائق والعمليات والنظريات والفنيات، ومعرفة طرائق استخدام هذه المعرفة في الميادين العلمية مثلا معرفة كيفية استخدام الاختبارات والمقاييس، كيفية صياغة البرنامج الإرشادي بكل فعالية، إضافة إلى الإعداد العلمي عن طريق الحصول على الشهادة العلمية ومؤهلات عليا ما بعد الشهادة الجامعية، استنادا إلى التدريبات أثناء الخدمة من خلال حضور الدورات والمشغل التدريبي المتخصصة في مجال وظيفته لتنمية المهنية الذاتية من حيث الإعداد والتدريب في مجالات التوجيه والإرشاد، والاطلاع بشكل مستمر على المستجدات في مجال الدراسات والبحوث والتجارب العلمية في التوجيه والإرشاد.

4. الكفاءة الأدائية: وتشتمل على قدرة المرشد في إظهار سلوك لمواجهة وضعيات مشكلة، إن الكفاءات تتعلق بأداء الفرد لا بمعرفته، ومعيار تحقيق الكفاءة هنا هو القدرة على القيام بالسلوك المطلوب، في الوضعية التي تتطلب ذلك بحيث يعتمد في ذلك توظيف ما حصده الفرد من الكفاءات المعرفية لتأديتها في مجاله المهني مستفيدا من كل الوسائل والأساليب والفنيات.

5. **الكفاءة الوجدانية:** تشير إلى آراء المرشد واستعداداته وميوله واتجاهاته وقيمه ومعتقداته وسلوكه الاجتماعي اتجاه مهنته، والذي يؤثر على أداء عمله، فعلى هذا الأساس فإن هذه الكفاءة تغطي جوانب كثيرة وعوامل متعددة مثل الحساسية والثقة والتقبل.... (العجومي، 2011: 52)

6. **الكفاءة التواصلية:** وتشمل مهارة العلاقات الإنسانية بحيث تتمثل في قدرة المرشد على تكوين علاقة مهنية مناسبة مع المسترشد من ناحية ومع أعضاء فريق الإرشادي من ناحية أخرى، وتتأثر هذه الكفاءة بأسلوب المرشد في استقطاب الآخرين واكتشاف الحالات وإظهار مشاعر الرغبة في المساعدة وتكوين الثقة بينه وبين الآخرين من خلال التواصل بالأخذ والعطاء وهذا يعتبر من سمات النضج المهني. (العجلاني، 2005: 42)

7. **الكفاءة التكوينية:** وتشمل مهارة الإدراك أي قدرة المرشد على إدراك الموقف الحقيقي للمسترشد وطبيعة العوامل المؤثرة في مشكلته الظاهر منها وما بطن مستخدما في ذلك أساليب عدة من بينها الملاحظة لما هو ملموس أو غير ملموس، إضافة إلى مهارة التأثير والإقناع وهذا ما يرتبط بعملية التدخل قصد تعديل السلوك عن طريق تقديم اتجاهات تأثيرية على الموقف غير السوي وإقناعه بخطى أكثر إيجابية. (العجلاني، 2005: 42).

8. **الكفاءة الإرشادية المهنية:** إن العمل الإرشادي يحتاج إلى مجموعة من المهارات والكفاءات ينبغي أن تتوفر في المرشد التربوي ليقوم بعمله على أكمل وجه، ومنها العلاقات الإرشادية، تحديد المشكلة وتحديد الأهداف الإرشادية واختيار إحدى طرق الإرشاد واستخدامها وتقويم النتائج وإفقال الحالة.

9. **الكفاءة الاجتماعية:** وتبنى من خلال الاحتكاك بالأطراف الأخرى سواء كانت أطراف مساعدة أو مسئولة بحيث تشمل هذه الكفاءة على المهارات الاجتماعية كالتأثير، التواصل، إدارة النزاعات، القيادة واستقطاب الآخر. (الطراونة، 2009: 37)

10. **كفاءة الانجاز أو الكفاءة الإنتاجية:** امتلاك الكفاءات المعرفية يعني امتلاك المعرفة اللازمة لممارسة العمل دون أن يكون هناك مؤشر على

انه امتلاك القدرة على الأداء، أما امتلاك الكفاءات الأدائية فيعني القدرة على إظهار قدراته في الممارسة دون وجود مؤشر يدل على القدرة على إحداث نتيجة مرغوبة في أداء الطلاب، وذلك يفترض مثلا أن المرشد صاحب كفاءة إذا امتلك القدرة على إحداث تغيرات في سلوك المسترشد، فهذا يسمى ناتج العملي أو الكفاءة الإنتاجية في تحقيق الهدف أو إحداث التغيير المطلوب.

- ويعرف المرشد التربوي حسب الدايري: "المرشد هو الشخص الذي امتهن الإرشاد التربوي وتخصص فيه وأعد له وتدريب عليه." (الدايري، 2005: 11).

- تعرف الرابطة الأمريكية للمرشدين: " المرشد في المؤسسة التعليمية على انه المهني الذي يقع عليه عبء مساعدة كل الطلبة ومقابلة احتياجات نموهم وما يصادفونه من مشاكل."، بحيث تتجلى مهارات وكفاءات المرشد التربوي على النحو التالي:

الكفاءة تعني امتلاك المرشد لمجموعة من المواصفات التي تجعله شخصا مفيدا في مساعدة الآخرين، ويمتلك مواصفات عقلية واجتماعية وانفعالية وخلقية وبدنية. والمرشد الفعال هو الذي يتمكن من المزاجية بين معارفه الأكاديمية وسماته الشخصية، ومهاراته المساعدة في عملية الإرشاد وهو الذي يسعى لكي يصبح أكثر كفاءة ويعمل على:

- زيادة معرفته بالسلوك الإنساني وبمشكلاته.
 - تعريض نفسه لخبرات حياتيه جديدة.
 - تجريب أفكار وطرائق إرشادية جديدة.
 - تقييم أدائه الإرشادي بصورة مستمرة.
- وقد قام كل من "شرترز وستون" بوضع مجموعة من المهارات والكفاءات التي يتمتع بها المرشد لتكون عملية الإرشاد ناجحة وتقع هذه المهارات في مجموعات هي:

1. الاتجاهات والمعتقدات.

2. الخبرة الجاذبية والقدرة على الإقناع.

3. القدرة على تحمل الغموض.

4. الغطرسة والتكبر والتشيب بالرأي. (نبراس، 2015: 07)

9. منهجية الدراسة:

المنهج المعتمد: المنهج الوصفي.

عينة الدراسة ومواصفاتها: اعتمدت على العينة العشوائية البسيطة، بحيث شملت (78) مرشدا تابعين لمراكز التوجيه المدرسي والمهني للولايات التالية (سعيدة، معسكر، سيدي بلعباس، النعامة، الشلف).

أداة الدراسة: استبيان لقائمة الكفاءة المهنية للمرشد التربوي وفق أربعة (04) أبعاد: (الشخصي، والاجتماعي، والتكويني، والإنتاجي)

المعالجة الإحصائية: تم الاعتماد على: (المتوسطات الحسابية، الانحراف المعياري، اختبار "ت" لعينتين منفصلتين، اختبار "تحليل التباين الأحادي اتجاه واحد").

10. نتائج الدراسة:

أولا: عرض نتائج الدراسة.

تضمن هذا العنصر الإشكال التالي: "ما مستوى الكفاءة المهنية للمرشد التربوي، وهل هناك فروقا دالة إحصائية ترجع إلى بعض المتغيرات مثل: (الجنس، والتخصص، والاقدمية المهنية، والزمرة الدموية، والمؤهل العلمي، وولاية العمل)؟"

وللإجابة عن هذا الإشكال وجب التطرق إلى عرض النتائج المتعلقة بالأسئلة المتفرعة عنه مع الأخذ بعين الاعتبار عرض ومناقشة فرضيات الدراسة على النحو التالي:

1. عرض نتيجة التساؤل الأول:

ينص التساؤل الأول على: "ما مستوى الكفاءة المهنية للمرشد التربوي؟". ولإجابة على هذا التساؤل تم الاعتماد على المتوسط المرجح لاستخراج مستوى الكفاءة المهنية للمرشد التربوي، ما دام الأداة تم بناءها وفق سلم "ليكارت" الخماسي فإن مسافة الثقة تساوي $0.80 = 4/5$ ، بحيث تمثل (4) عدد المسافات بين البدائل، و(5) تعبر عن عدد البدائل وعلى هذا الأساس يصبح:

مستوى كفاءة مهنية منخفضة.	}	غير موافق بشدة [1، 1.79]
		غير موافق [1.80، 2.59]
مستوى كفاءة مهنية متوسطة.	}	محايد [2.60، 3.39]
		موافق [3.40، 4.19]
مستوى كفاءة مهنية مرتفعة.	}	موافق جدا [4.20، 5]

الجدول رقم (01): يبين مستوى الكفاءة المهنية للمرشد التربوي

الحكم	المتوسط الحسابي	الأبعاد	الرقم	عينة الدراسة
مرتفعة	4.191	الكفاءة الشخصية	01	ن = 78
مرتفعة	4.316	الكفاءة الاجتماعية	02	
مرتفعة	3.913	الكفاءة التكوينية	03	
مرتفعة	3.707	الكفاءة الإنتاجية	04	
مرتفعة	3.998	الدرجة الكلية	05	

يتضح من الجدول أعلاه أن قيمة المتوسطات الحسابية تتراوح ما بين (3.707، 4.316)، بحيث تدرج تحت قيم البديل "موافق" و"موافق جدا"، بين مسافة [3.40، 4.19]، و [4.20، 5]، وهذا ما يمثل مستوى مرتفع في جميع أبعاد الاستبيان والاستبيان ككل للكفاءة المهنية.

2. عرض نتيجة الفرضية الأولى:

تنص الفرضية الأولى من فرضيات الدراسة على أنه: "لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0.05) بين المرشدين في مستوى كفاءتهم المهنية تعزى للجنس."

ولإثبات أو نفي هذه الفرضية تم استخدام الأسلوب الإحصائي اختبار " T test" لعينتين مستقلتين، نظرا لتوفر الشروط التالية:

- البيانات تخضع لتوزيع طبيعي (التوزيع الاعتدالي).
- حجم العينة كبير يساوي أو يفوق (30 ≥ n).
- يمثل حجم العينة مجتمع الدراسة.
- البيانات كمية ودقيقة وسليمة. (غنيم، صبري، 2000: 17)

وعلى هذا الأساس تدون الطالبة النتائج التالية وفق الجدول الآتي:

الجزء الأول من الجدول:

الجدول رقم (02): يبين دلالة تجانس التباين بين المجموعات وفق " اختبار ليفين" يعزى لمتغير الجنس.

المجموع		الكفاءة الإنتاجية		الكفاءة التكوينية		الكفاءة الاجتماعية		الكفاءة الشخصية		الأبعاد
قيمة المعنوية	ف	قيمة المعنوية	ف	قيمة المعنوية	ف	قيمة المعنوية	ف	قيمة المعنوية	ف	قيمة الاختبار
0.266	1.253	0.129	2.356	0.171	1.911	0.989	0.000	0.374	0.800	قيمة الاختبار
متجانس		متجانس		متجانس		متجانس		متجانس		نوع التباين

يتضح من الجدول (02) "اختبار ليفين" لتجانس التباين بين المجموعات، بحيث يبين هذا العرض أن القيمة المعنوية المتمثلة فيما بين (0.129، 0.989) وهي أكبر من مستوى الدلالة (0.05)، مما يعطي قرار تجانس المجموعات في جميع أبعاد الاستبيان والاستبيان ككل، وذلك تبعا لمتغير الجنس (ذكر، أنثى)، وعلى هذا الأساس يمكن التطرق إلى قيمة الاختبار "ت".

الجزء الثاني من الجدول:

الجدول رقم (03): يبين دلالة الفروق بين المرشدين باستخدام "ت" لعينتين مستقلتين تعزى لمتغير الجنس (ذكر، أنثى).

الأبعاد	الجنس	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة "ت"	قيمة معنوية
الكفاءة الشخصية	ذكر	32	54.000	5.730	-0.525	0.601
	أنثى	46	54.608	4.499		
الكفاءة الاجتماعية	ذكر	32	51.406	4.737	-0.707	0.482
	أنثى	46	52.173	4.706		
الكفاءة التكوينية	ذكر	32	54.906	7.497	0.211	0.833
	أنثى	46	54.587	5.844		
الكفاءة الإنتاجية	ذكر	32	47.437	7.573	0.373	0.711
	أنثى	46	46.847	6.352		
الدرجة الكلية	ذكر	32	207.718	22.394	-0.100	0.920
	أنثى	46	208.173	17.612		

نلاحظ من الجدول السابق أن القيمة المعنوية التي تتراوح ما بين (0.482، 0.920) وهي أكبر من مستوى الدلالة (0.05) في جميع أبعاد الاستبيان والاستبيان ككل وفق اختبار "ت" وفق قيم متراوحة ما بين (0.707، -0.373)، مما يعطي صورة واضحة على عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الكفاءة المهنية للمرشد التربوي تعزى لمتغير الجنس، وهذا ما دلت عليه فرضية الدراسة.

3. عرض نتيجة الفرضية الثانية:

تنص الفرضية الثانية على أنه: "توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى (0.05) بين المرشدين في مستوى كفاءتهم المهنية تعزى للتخصص."

لإثبات أو نفي هذه الفرضية تم استخدام الأسلوب الإحصائي "تحليل التباين الأحادي" ANOVA one way، لتوفر الشروط التالية:

- المجتمعات مستقلة عن بعضها البعض.
- عدد المجتمعات يفوق مجتمعين فأكثر.
- بيانات تتوزع توزيعاً طبيعياً.
- المجتمعات المحسوبة منها عينات متجانسة. (مصطفى: 04)

وعلى هذا الأساس تدون الطالبة النتائج التالية وفق الجدول الآتي:

الجزء الأول: الجدول رقم (04): يبين دلالة تجانس التباين بين المجموعات "اختبار ليفين" يعزى لمتغير التخصص.

الأبعاد	الكفاءة الشخصية		الكفاءة الاجتماعية		الكفاءة التكوينية		الكفاءة الإنتاجية		المجموع	
	قيمة المعنوية	ف	قيمة المعنوية	ف	قيمة المعنوية	ف	قيمة المعنوية	ف	قيمة المعنوية	ف
قيمة الاختبار	0.756	0.281	0.056	2.999	0.870	0.140	0.119	2.192	0.503	0.694
نوع التباين	متجانس		متجانس		متجانس		متجانس		متجانس	

يتبين من الجدول أعلاه قيمة "اختبار ليفين" لتجانس التباين بين المجموعات، بحيث يبين هذا العرض أن القيمة المعنوية التي تتراوح ما

بين (0.056، 0.870) وهي أكبر من مستوى الدلالة (0.05) في جميع أبعاد الاستبيان والاستبيان ككل، مما يعطي قرار تجانس المجموعات في جميع أبعاد الاستبيان وذلك تبعا لمتغير التخصص، وعلى هذا الأساس يمكن التطرق لقيم الأسلوب الإحصائي "تحليل التباين الأحادي اتجاه واحد".

الجزء الثاني من الجدول:

الجدول رقم (05): يبين تحليل التباين الأحادي اتجاه واحد يعزى لمتغير التخصص (علوم التربية، علم النفس، علم الاجتماع)

الأبعاد	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة "ف"	القيمة المعنوية
الكفاءة الشخصية	بين المجموعات	352,6	2	176,3	0.123	0.884
	داخل المجموعات	597,1929	75	728,25		
	المجموع	949,1935	77	-		
الكفاءة الاجتماعية	بين المجموعات	670,15	2	835,7	0.348	0.707
	داخل المجموعات	779,1687	75	504,22		
	المجموع	449,1703	77	-		
الكفاءة التكوينية	بين المجموعات	000,73	2	500,36	0.853	0.430
	داخل المجموعات	794,3208	75	784,42		
	المجموع	795,3281	77	-		
الكفاءة الإنتاجية	بين المجموعات	640,57	2	820,28	0.610	0.546
	داخل المجموعات	731,3542	75	236,47		
	المجموع	372,3600	77	-		
الدرجة الكلية	بين المجموعات	474,296	2	237,148	0.381	0.685
	داخل المجموعات	513,29212	75	500,389		
	المجموع	987,29508	77	-		

نلاحظ من الجدول السابق أن القيمة المعنوية تتراوح ما بين (0.430، 0.685)، وهي أكبر من مستوى الدلالة (0.05) في جميع أبعاد الاستبيان والاستبيان

ككل وفق اختبار "تحليل التباين الأحادي" والذي قيمه ما بين (0.123)،
 (0.853)، مما يعطي صورة واضحة على عدم وجود فروق ذات دلالة
 إحصائية في مستوى الكفاءة المهنية للمرشد التربوي تعزى لمتغير
 التخصص، وهذا ما يدل على رفض الفرض البديل الذي ينص على وجود
 الفرق.

4. عرض نتيجة الفرضية الثالثة:

تنص الفرضية الثالثة على أنه: "توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى
 (0.05) بين المرشدين في مستوى كفاءتهم المهنية تعزى لأقدميتهم المهنية."

ولإثبات أو نفي الفرضية تم استخدام الأسلوب الإحصائي اختبار "T test"
 لعينتين مستقلتين، والجدول التالي يبين ذلك:

الجزء الأول من الجدول:

الجدول رقم (06): يبين دلالة تجانس التباين بين المجموعات "اختبار ليفين" يعزى
 لمتغير الأقدمية المهنية.

الأبعاد	الكفاءة الشخصية		الكفاءة الاجتماعية		الكفاءة التكوينية		الكفاءة الإنتاجية		المجموع
	قيمة المعنوية	ف	قيمة المعنوية	ف	قيمة المعنوية	ف	قيمة المعنوية	ف	
قيمة الاختبار	0.004	8.802	0.062	3.582	0.244	1.378	0.004	8.905	0.005
نوع التباين	غير متجانس	متجانس	متجانس	متجانس	متجانس	متجانس	غير متجانس	غير متجانس	غير متجانس

يتبين من الجدول السابق قيمة "اختبار ليفين" لتجانس التباين بين
 المجموعات، بحيث يوضح أن القيمة المعنوية التي تتراوح ما بين (0.062)،
 (0.244) وهي أكبر من مستوى الدلالة (0.05) في البعدين (الاجتماعي،
 والتكويني)، مما يعطي قرار تجانس المجموعات في كلا البعدين السابقين،
 باستثناء البعدين (الشخصي والإنتاجي) نوعية التباين في كلا البعدين غير
 متجانس، وهذا ما ينطبق على الاستبيان ككل، وهذا راجع إلى أن القيمة
 المعنوية التي تتراوح ما بين (0.004، 0.005) وهي أصغر من مستوى
 الدلالة (0.05)، وعلى هذا الأساس يمكن التطرق للاختبار الإحصائي "ت"
 ضمن متغير الأقدمية المهنية.

الجزء الثاني من الجدول:

الجدول رقم (07): يبين دلالة الفروق بين المرشدين وفق اختبار "ت" لعينتين مستقلتين تعزى لمتغير الأقدمية المهنية.

الأيعاد	الجنس	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة "ت"	قيمة معنوية
الكفاءة الشخصية	أقل من 10 سنوات	49	285,54	082,4	-0.14	0.882
	أكثر من 10 سنوات	29	482,54	367,6		
الكفاءة الاجتماعية	أقل من 10 سنوات	49	898,51	336,4	0.095	0.925
	أكثر من 10 سنوات	29	793,51	347,5		
الكفاءة التكوينية	أقل من 10 سنوات	49	530,54	000,6	-0.328	0.744
	أكثر من 10 سنوات	29	034,55	437,7		
الكفاءة الإنتاجية	أقل من 10 سنوات	49	204,46	496,5	-1.345	0.186
	أكثر من 10 سنوات	29	586,48	550,8		
الدرجة الكلية	أقل من 10 سنوات	49	877,206	814,15	-0.580	0.565
	أكثر من 10 سنوات	29	862,209	886,24		

نلاحظ من الجدول السابق أن القيمة المعنوية المترابحة ما بين (0.186، 0.925) وهي أكبر من مستوى الدلالة (0.05) في جميع أبعاد الاستبيان والاستبيان ككل وفق اختبار "ت" الذي يتراوح ما بين (-1.345، 0.095)، مما يعطي صورة واضحة على عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الكفاءة المهنية للمرشد التربوي تعزى لمتغير الأقدمية المهنية، ونرفض بذلك الفرض البديل.

5. عرض نتيجة الفرضية الرابعة:

تنص الفرضية الرابعة على أنه: "توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى (0.05) بين المرشدين في مستوى كفاءتهم المهنية تعزى لزميرتهم الدموية"

وللإجابة على هذا السؤال تم استخدام "تحليل التباين الأحادي" ANOVA one way، والجدول التالي يبين ذلك:

الجزء الأول: الجدول رقم (08): يبين دلالة تجانس التباين بين المجموعات "اختبار ليفين" يعزى لمتغير الزمرة الدموية.

الابعاد	الكفاءة الشخصية		الكفاءة الاجتماعية		الكفاءة التكوينية		الكفاءة الإنتاجية		المجموع	
	قيمة المعنوية	ف	قيمة المعنوية	ف	قيمة المعنوية	ف	قيمة المعنوية	ف	قيمة المعنوية	ف
قيمة الاختبار	0.922	0.324	0.859	0.529	0.302	1.23	0.280	1.276	1.260	0.287
نوع التباين	متجانس	متجانس	متجانس	متجانس	متجانس	متجانس	متجانس	متجانس	متجانس	متجانس

يتبين من الجدول أعلاه قيمة "اختبار ليفين" لتجانس التباين بين المجموعات، بحيث يبين هذا العرض أن القيمة المعنوية التي تمثل القيم ما بين (0.280، 0.922) وهي أكبر من مستوى الدلالة (0.05) في جميع أبعاد الاستبيان والاستبيان ككل، مما يعطي قرار تجانس المجموعات في جميع أبعاد الاستبيان وذلك تبعا لمتغير الزمرة الدموية، وعلى هذا الأساس يمكن التطرق إلى قيم الأسلوب الإحصائي "تحليل التباين الأحادي اتجاه واحد".

الجزء الثاني: الجدول رقم (09): يبين تحليل التباين الأحادي يعزى لمتغير
الزمرة الدموية (AB-/ AB+/ B-/B+/A-/A+/O-/O+)

القيمة المعنوية	قيمة "ف"	متوسط المربعات	درجات الحرية	مجموع المربعات	مصدر التباين	الأبعاد
0088،	929،1	221،45	6	323،271	بين المجموعات	الكفاءة الشخصية
		445،23	71	626،1664	داخل المجموعات	
		-	77	949،1935	المجموع	
0295،	242،1	975،26	6	851،161	بين المجموعات	الكفاءة الاجتماعية
		713،21	71	598،1541	داخل المجموعات	
		-	77	449،1703	المجموع	
0062،	116،2	984،82	6	905،497	بين المجموعات	الكفاءة التكوينية
		210،39	71	890،2783	داخل المجموعات	
		-	77	795،3281	المجموع	
0669،	067،0	471،32	6	825،194	بين المجموعات	الكفاءة الإنتاجية
		965،47	71	546،3405	داخل المجموعات	
		-	77	372،3600	المجموع	
0115،	782،1	644،643	6	866،3861	بين المجموعات	الدرجة الكلية
		227،361	71	121،25647	داخل المجموعات	
		-	77	987،29508	المجموع	

نلاحظ من الجدول السابق أن القيمة المعنوية المتراوحة ما بين (0062،،0669) وهي أكبر من مستوى الدلالة (0.05) في جميع أبعاد الاستبيان والاستبيان ككل وفق اختبار "تحليل التباين الأحادي" الذي تتراوح قيمه ما بين (067،0، 116،2)، مما يعطي صورة واضحة على عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الكفاءة المهنية للمرشد التربوي تعزى لمتغير الزمرة الدموية، وبذلك نقبل الفرض الصفري ونرفض الفرض البديل.

6. عرض نتيجة الفرضية الخامسة:

تنص الفرضية الخامسة على أنه: "توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى (0.05) بين المرشدين في مستوى كفاءتهم المهنية تعزى لمؤهلهم العلمي"

ولإثبات أو نفي هذه الفرضية تم استخدام الأسلوب الإحصائي اختبار " T test " لعينتين مستقلتين، والجدول التالي يبين ذلك:

الجزء الأول: الجدول رقم (10): يبين تجانس التباين بين المجموعات "اختبار ليفين" يعزى لمتغير المؤهل العلمي.

الابعاد	الكفاءة الشخصية		الكفاءة الاجتماعية		الكفاءة التكوينية		الكفاءة الإنتاجية		المجموع
	قيمة	ف	قيمة	ف	قيمة	ف	قيمة	ف	
قيمة الاختبار	0.611	0.123	0.726	0.102	0.750	0.344	0.559	0.314	0.577
نوع التباين	متجانس		متجانس		متجانس		متجانس		متجانس

يتبين من الجدول أعلاه قيمة "اختبار ليفين" لتجانس التباين بين المجموعات، بحيث يبين هذا العرض أن القيمة المعنوية التي تمثل القيم ما بين (0.559، 0.750) وهي أكبر من مستوى الدلالة (0.05) في جميع أبعاد الاستبيان والاستبيان ككل، مما يعطي قرار تجانس المجموعات في جميع أبعاد الاستبيان وذلك تبعاً لمتغير المؤهل العلمي، وعلى هذا الأساس يمكن التطرق إلى قيم الاختبار الإحصائي "ت" لعينتين مستقلتين.

الجزء الثاني: الجدول رقم (11): يبين دلالة الفروق بين المرشدين باستخدام اختبار "ت" تعزى لمتغير المؤهل العلمي.

الابعاد	الجنس	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة "ت"	قيمة معنوية
الكفاءة الشخصية	ليسانس	62	54.590	4.817	0.723	0.472
	ماستر	16	53.562	5.932		
الكفاءة الاجتماعية	ليسانس	62	52.180	4.642	0.986	0.327
	ماستر	16	50.875	4.991		
الكفاءة التكوينية	ليسانس	62	54.770	6.758	0.011	0.991
	ماستر	16	54.750	5.927		
الكفاءة الإنتاجية	ليسانس	62	47.049	6.686	-0.331	0.742
	ماستر	16	47.687	7.578		
الدرجة الكلية	ليسانس	62	208.557	19.218	0.315	0.754
	ماستر	16	206.812	21.680		

نلاحظ من الجدول السابق أن القيمة المعنوية والتي تتراوح ما بين (0.327)، (0.991) وهي أكبر من مستوى الدلالة (0.05) في جميع أبعاد الاستبيان والاستبيان ككل وفق اختبار "ت" والذي تتراوح قيمه ما بين (0.331)، (0.986)، مما يعطي صورة واضحة على عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الكفاءة المهنية للمرشد التربوي تعزى لمتغير المؤهل العلمي.

7. عرض نتيجة الفرضية السادسة:

تنص الفرضية السادسة على أنه: "توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى (0.05) بين المرشدين في مستوى كفاءتهم المهنية تعزى لولاية عملهم."

لإثبات أو نفي هذه الفرضية تم استخدام "تحليل التباين الأحادي" ANOVA one way، والجدول التالي يبين ذلك:

الجزء الأول من الجدول:

الجدول رقم (12): يبين دلالة تجانس التباين بين المجموعات "اختبار ليفين" يعزى لولاية العمل.

الأبعاد	الكفاءة الشخصية		الكفاءة الاجتماعية		الكفاءة التكوينية		الكفاءة الإنتاجية		المجموع
	قيمة المعنوية	ف	قيمة المعنوية	ف	قيمة المعنوية	ف	قيمة المعنوية	ف	
قيمة الاختبار	0.231	1.465	0.957	0.104	0.024	3.342	0.307	1.225	0.196
نوع التباين	متجانس	متجانس	متجانس	غير متجانس	متجانس	متجانس	متجانس	متجانس	متجانس

يبين الجدول قيمة "اختبار ليفين" لتجانس التباين بين المجموعات، بحيث يبين هذا العرض أن القيمة المعنوية المترابحة ما بين (0.196، 0.957) وهي أكبر من مستوى الدلالة (0.05) في جميع أبعاد الاستبيان والاستبيان ككل، مما يعطي قرار تجانس المجموعات في جميع أبعاد الاستبيان، وذلك تبعا لمتغير الولاية العمل، باستثناء بعد الكفاءة التكوينية نظرا لعدم تجانس التباين وهو أن القيمة المعنوية (0.024) أصغر

من مستوى الدلالة (0.05)، وعلى هذا الأساس يمكن التطرق إلى قيم الأسلوب الإحصائي "تحليل التباين الأحادي اتجاه واحد".

الجزء الثاني من الجدول:

الجدول رقم (13): يبين دلالة الفروق بين المرشدين وفق تحليل التباين يعزى لولاية العمل (معسكر، بلعباس، النعامة، الشلف)

الأبعاد	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة "ف"	القيمة المعنوية
الكفاءة الشخصية	بين المجموعات	099,98	3	700,32	317,1	0275,0
	داخل المجموعات	850,1837	74	836,24		
	المجموع	949,1935	77	-		
الكفاءة الاجتماعية	بين المجموعات	621,133	3	540,44	100,2	0108,0
	داخل المجموعات	828,1569	74	214,21		
	المجموع	449,1703	77	-		
الكفاءة التكوينية	بين المجموعات	817,59	3	939,19	0458,0	0712,0
	داخل المجموعات	978,3221	74	540,43		
	المجموع	795,3281	77	-		
الكفاءة الإنتاجية	بين المجموعات	422,267	3	141,89	979,1	0124,0
	داخل المجموعات	950,3332	74	040,45		
	المجموع	372,3600	77	-		
الدرجة الكلية	بين المجموعات	076,1551	3	025,517	368,1	0259,0
	داخل المجموعات	911,27957	74	810,377		
	المجموع	987,29508	77	-		

نلاحظ من الجدول السابق أن القيمة المعنوية التي تتراوح ما بين (0.108)،

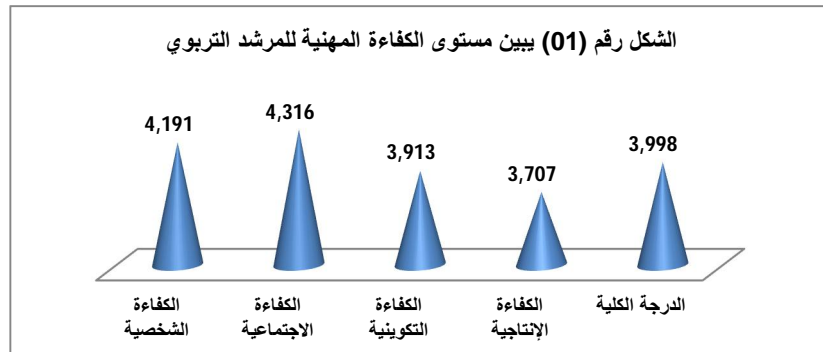
(0712) وهي أكبر من مستوى الدلالة (0.05) في جميع أبعاد الاستبيان والاستبيان ككل وفق اختبار "تحليل التباين الأحادي" المتمثل في قيم ما بين (0.458، 2.100)، مما يعطي صورة واضحة على عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الكفاءة المهنية للمرشد التربوي تعزى لمتغير ولاية العمل.

ثانياً: مناقشة النتائج:

*مناقشة النتائج المتعلقة بفرضيات الإشكالية العامة:
والتي تنص فرضيتها على أن " هناك مستوى مقبول للكفاءات المهنية للمرشد التربوي، وهناك فروقا دالة ترجع إلى اختلاف بعض المتغيرات."

1. مناقشة نتيجة التساؤل الأول:

جاءت نتيجته أن "هناك مستوى مرتفع للكفاءة المهنية للمرشد التربوي".
فمن خلال هذا الطرح الذي يمثل فرضية تساؤل الدراسة، يتضح من الجدول رقم (01) أن معظم الأبعاد اندرج متوسطها الحسابي وفق البديل "موافق" والبديل "موافق بشدة"، بالاعتماد على المتوسطات الحسابية التي تم مقارنتها بالنسبة لقيم المتوسط المرجح التي تتراوح ما بين [3,40، 4,19]، و[4,20، 5]، الأمر الذي يعطي قرار مستوى مرتفع لجميع أبعاد الاستبيان والدرجة الكلية، مع الأخذ بعين الاعتبار أن معظم القيم اندرجت تحت بديل "موافق"، ثم بديل "موافق بشدة"، مما جعل كل الأبعاد ذات مستوى مرتفع إلا أنها تتفاوت درجة مستوياتها من أعلى قيمة إلى أدناها ضمن هذا المستوى، وهذا ما يوضحه الشكل التالي:



ترجع هذه النسب إلى أن المرشدين التربويين منتمين إلى هذه المهنة وفق مؤهلات جامعية ضمن تخصصات (تربوية، نفسية، اجتماعية)، فهم على دراية كافية بطبيعة العمل داخل المؤسسات التربوية، فهم ملمون ببعض الأبعاد التي تندرج تحت الكفاءة المهنية، وهذا ما لا يتفق مع دراسة "طشطوش، مزاهرة" (2012) "في أن درجة ممارسة المرشدين التربويين مهنة الإرشاد جاءت بدرجة متوسطة في ظل كفاءات المصاغة في أبعاد

المقياس"، كما أن هناك دراسات أخرى تناقض الدراسة الحالية في هذه النتيجة منها دراسة "أبو الهيجاء" (1988) في أن المرشد التربوي لم يصل إلى المستوى المطلوب تربوياً في المدرسة الأردنية، إضافة إلى أنها تتفق مع كل من دراسة "عموش" (2002)، دراسة زريقي (2008)، ودراسة "كونستنتين" "Counstantine" (2001) "بنتيجة أن الكفاءات الإرشادية متوافرة لدى المرشدين وتتمتع بدرجة عالية".

إذا سلطنا الضوء على البديل "موافق بشدة"، فإننا نلاحظ أن من بين الأبعاد الأكثر إلماً من طرف المرشد، الخصائص الاجتماعية (كالتواصل، العمل الجماعي)، إضافة إلى السمات الشخصية مثل (الحيوية، البشاشة، المسؤولية، الصبر، السرية)، ولكن يقل إلمامهم في الجوانب التكوينية والإنتاجية بنسب، وهذا ما أظهرته استجابات المرشدين على أداة الدراسة، وقد يرجع الأمر إلى عدم التخصص في المؤهلات العلمية أو في المقاييس الإرشادية، إضافة إلى قلة الدورات التكوينية التي تسهم في زيادة المردود المعرفي، وبالتالي يؤدي إلى انخفاض في إلمانيات وكفاءة المرشد التي تؤهله في سيرورة أدائه المهني، زيادة على ذلك صعوبة ربط ما هو نظري ضمن الواقع العمل الإرشادي، وهذا ما أدلى به بعض المرشدين في جمع ملاحظاتهم، كون أن الواقع داخل المؤسسات التربوية لا يوفر كل المطالب والتجهيزات الإرشادية، بحيث نلمس الأمر في دراسة "الزهراني" (1989) "التي تهدف إلى معرفة الواقع الفعلي لبرنامج الإرشاد والتوجيه التربوي كشفت الدراسة عن انخفاض مستوى إدراك مهام المرشد الطلابي في المدرسة وانخفاض مستوى مشاركة المرشد في الخدمات وبرامج النشاط المدرسي، كما بينت دراسة عدم توفر الإلمانيات اللازمة لأداء توجيه الطلاب وإرشادهم"، وهذا ما يضعف الجانب الإنتاجي لدى المرشد، كون كفاءة المرشد ترتبط بطبيعة إنجازاته التي تعكس صورة أداءه المهني، بحيث ينعكس ذلك في مرتبة هذا البعد، وهذا ما نلمس أثره في نتائج دراسة "الشناوي" (1990) "التي هدفت إلى التحليل المهني لعمل المرشد التربوي، دراسة ميدانية في مدارس الرياض، حيث أسفرت نتائجها إلى أن هناك بعض النقص في المهارة استخدام الاختبارات النفسية في العمل الإرشادي، برغم من

مستوى الرضا لدى المرشدين في عملهم الإرشادي كان مرتفعا، كما أظهر المرشدون أنهم بحاجة إلى المزيد من المهارات والمعلومات، كما أجمع المرشدون على أهمية الصفات والخصائص الإرشادية للمرشد كوجوب التحلي بالثقة بالنفس، القدرة على التأثير والإقناع، الخلو من الاضطرابات، عدم التحيز، السلوك التوكيدي، القوة الشخصية، المشاركة الوجدانية".، ودراسة "هوفمان" (huffman) (1993) بعنوان "إدراك المديرين والمعلمين والآباء والطلبة لدور مرشدي المدارس الأساسية، بحيث تبين من هذه الدراسة ناتج أن المعلمين والمديرين قد فهموا دور المرشد كبداية للمديرين بسبب قيامهم بالوظائف الإدارية، وبينت النتائج أن فئة فهم الطلاب والآباء لدور المرشد ترجع إلى أنهم فهموا دور المرشدين على أنه دور إداري".، مما يضعف عملية التجاوب الإرشادي نظرا لغموض الدور وعدم وضوحه لدى الفئات المستهدفة (المسترشدين، أولياء الأمور).

استنادا إلى المتوسطات المذكورة في عرض الجدول السابق يمكن ترتيب الأبعاد حسب ما جاء من استجابات المرشدين، بحيث يمثل البعد الاجتماعي مقدمة الأبعاد بمتوسط (4.316)، وهذا راجع إلى أن المرشد ملزم ببناء علاقات اجتماعية وإنسانية مع أطراف العملية الإرشادية بما فيها المسترشد عن طريق مهارات الاتصال والتواصل لكسب الثقة وود لإتمام دوره على أكمل وجه، ثم يليه البعد الشخصي بمتوسط (4.191)، وهذا ما يميز المرشد في مهنته غرار المهن الأخرى في كونه يجب أن يتمتع بالحيوية واللباقة والبشاشة والصبر والسرية وأن يكون قدوة لمسترشديه، وبعده البعد التكويني بمتوسط (3.913)، كونه في هذه المرتبة فإنه يعكس اكتفاء المرشد بمردود الأكاديمي المتحصل عليه أثناء مساره الدراسي، بغض النظر عن الضغوطات اليومية والأعمال الإدارية والإرشادية الملقاة على كاهله فإنها تفقده الوقت الجوهري للإطلاع والارتقاء المعرفي، ختاماً يلي البعد الإنتاجي بمتوسط (3.707)، وهذا يتجلى في طبيعة الإنجازات المحدودة لدى المرشد نظرا لتعدد الخدمات الإرشادية ومحدودية العمل عليها داخل المؤسسات التربوية، وافتقار المقاييس النفسية والتجهيزات الضرورية للعمل الإرشادي، وهذا ما

يناقض دراسة "السلامه" (2003) من حيث ترتيب الأبعاد، كونها دراسة "هدفت إلى كشف عن مستوى أداء المرشد التربوي في المدارس الحكومية بمديرتي جنين وقباطية، بحيث توصلت الدراسة إلى أن مستوى أداء المرشد كان عالياً، وحصل مجال الكفاءة الشخصية على أعلى مرتبة، يليه مجال العلمي والمهني (التكويني)، ثم مجال العلاقات الاجتماعية، وأخيراً مجال الفني التطبيقي (الإنتاجي)."

2. مناقشة نتيجة الفرضية الأولى:

والتي مفادها أنه "لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى (0.05) بين المرشدين في مستوى كفاءتهم المهنية تعزى لجنسهم".

مما سبق ذكره من الجدول رقم (03) نستنتج أن القيمة المعنوية للاستبيان ككل عند (0.920) وهي قيمة أكبر من مستوى الدلالة (0.05)، عند قيمة "ت" (0.100)، ومنه نقبل الفرضية الصفرية القائلة "أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى (0.05) في مستوى الكفاءة المهنية للمرشد التربوي تعزى لمتغير الجنس".

وهذا ما تحقق في جميع أبعاد الاستبيان، والاستبيان ككل، دون مراعاة عامل جنس، المرشد يبقى مرشداً في طبيعة أدائه وحضوره وهيمنته على العمل الإرشادي، فسواء كان مرشداً أو مرشدة فالغاية من كليهما مدى تحقيق أهداف الإرشاد لما وجد لأجله، بحيث نلمس هذا الاتفاق في كل من دراسة "شومان" (2008) "في دراسة تقييمية لأداء المهني للمرشد في ضوء مجموعة من المتغيرات والتي كان نتائجها عدم وجود فروق في مستوى الأداء تعزى لمتغير الجنس"، و"الريحاني" (1985)، "داود، فريحات" (1995)، "فريحات" (1995)، "عموش" (2002)، "زريقي" (2008)، "الشارفا" (2011)، ولا يتفق مع كل من دراسة "القيسي" (1983)، "الأقرع" (1992) والتي هدفت إلى معرفة توقعات كل من المرشدين والمديرين والمعلمين لدور وأداء المرشد التربوي العائد لمجموعة من المتغيرات من بينها متغير الجنس التي

أظهرت فيه وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى للجنس."،
"كونستنتين" (2001).

3. مناقشة نتيجة الفرضية الثانية:

والتي جاء نتائجها أنه "لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى (0.05) بين المرشدين في مستوى كفاءتهم المهنية تعزى لتخصصهم الدراسي".

وعليه نستنتج من الجدول السابق رقم (05) أن القيمة المعنوية عند مستوى (0.685) وهي أكبر من مستوى الدلالة (0.05)، عند قيمة "ف" (0.381)، فإننا نرفض الفرض البديل ونقبل الفرض الصفري القائل بأنه: "لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى (0.05) في مستوى الكفاءة المهنية للمرشد التربوي تعزى لمتغير التخصص".

ومما هو جلي أن كل الأبعاد أشارت إلى انعدام هذا الفرق، كون كفاءة المرشد تعتمد على ما حصده من خلال مساره الأكاديمي في أي تخصص من التخصصات المذكورة وسياسة أساليبه في كيفية التحكم والإدارة والتوظيف الجيد للعملية الإرشادية، وهذا ما دلت عليه كل من دراسة "الأقرع" (1992)، و"القتامي" (2012) في دراسة حول "تقييم درجة وعي المرشد التربوي بواجباته المهنية في ضوء مجموعة من المتغيرات"، ومن الدراسات التي لا تتفق مع هذه النتيجة دراسة كل من: "العلمي" (1988)، "الطويل وملحم" (1989)، "طالب" (1994) والتي هدفت إلى تقدير أداء الإرشادي للمرشد التربوي حسب متغير التخصص. ودراسة "الشارفا" (2011).

4. مناقشة نتيجة الفرضية الثالثة:

والتي جاء نتائجها أنه "لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى (0.05) بين المرشدين في مستوى كفاءتهم المهنية تعزى لأقدميتهم المهنية".

بناء على ما سبق ذكره من الجدول السابق رقم (07) نستنتج أن القيمة المعنوية عند مستوى (0.565) وهي أكبر من مستوى الدلالة (0.05)، عند قيمة "ت" (0.580)، فإننا نرفض الفرض البديل ونقبل الفرض الصفري

القائل بأنه "لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى (0.05) في مستوى الكفاءة المهنية للمرشد التربوي تعزى لمتغير الأقدمية المهنية".

يمكن القول أن كفاءة المرشد التربوي لا تتحد وفق عامل الأقدمية المهنية، وإنما وفق عامل الأداء والأهلية في تسيير المنصب المتواجد فيه، بحيث يأتي ذلك توافقاً من دراسة كل من "وتمر وليستر" (1971)، "الطويرقي" (1990)، "الأقرع" (1992)، ونلمس عدم التوافق في كل من دراسة "شميدت وستونج" (1970)، "عموش" (2002)، "زريقي" (2008).

5. مناقشة نتيجة الفرضية الرابعة:

والتي جاء نتائجها أنه "لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى (0.05) بين المرشدين في مستوى كفاءتهم المهنية تعزى لمتغير الزمرة الدموية".

مما سبق ذكره نلاحظ من الجدول السابق رقم (09) أن القيمة المعنوية عند مستوى (0.088) وهي أكبر من مستوى الدلالة (0.05)، عند قيمة "ف" (1.929)، فإننا نرفض الفرض البديل ونقبل الفرض الصفري القائل بأنه "لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى (0.05) في مستوى الكفاءة المهنية للمرشد التربوي تعزى لمتغير الزمرة الدموية".

بالرغم من النتيجة خلصت إلى انعدام الفرق أي لا يوجد علاقة بين العامل البيولوجي والمجال البيداغوجي للكفاءة، إلا أننا لا نستثني حقيقة دور العامل البيولوجي بما فيه (الزمرة الدموية والوراثة وغيرها..) في تكوين وبناء الفرد من كل النواحي، ويؤيد ذلك الافتراض المنطقي وراء هذه العلاقة كما يذكر جيلفورد (Guilford) عندما يؤكد على أنه لا يمكن أن نبتعد كثيراً عن الحقيقة الواضحة والعامّة وهي أن الوظائف السيكلولوجية معتمدة على ميكانيزمات بدنية، كما أن للسمات الجسمية والسيكلولوجية مسببات وراثية من ناحية جزئية على الأقل ومن ثم فإن الظروف التي تؤثر في أحدهما يمكن أيضاً أن تؤثر في الأخرى، فإن الدم نفسه الذي يغذي أنسجة الأحشاء والعضلات والعظام في نموها هو أيضاً الذي يغذي الجهاز العصبي، والهormونات التي تفرز في مجرى الدم يمكن

أن يكون لها دور كبير في كلا النوعين من السمات الجسمية والنفسية. (بركات، 2007: 24)، إضافة إلى ذلك فلقد أوجد العلماء أن هناك تأثيرا واضحا على كل عنصر من عناصر الشخصية حتى في مجال الانطوائية والانبساطية، التي كانوا يعتقدون أنها الصفات الأقل عرضة للتأثر بالوراثة وأنها صفات موجهة بالتربية والتنشئة أكثر من أي شيء آخر، إلا أن الدراسات قد أظهرت من خلال الاختبارات النفسية ودراسة التوائم والتبني، أنها كلها تؤيد أن قدرة الإنسان على الانسجام مع الآخرين فيها عنصر وراثي أي أن لها أصلا بالجينات الإنسانية. (المرجع نفسه: 04)، ولكن عموما نتيجة هذه الدراسة تتفق مع دراسة "كاتس" (Katz) (2005)، دراسة "كلابير" (Klaper) (2005)، ولا تتفق مع كل من دراسة "أندو" (1995)، "كرامروامايك" (2002)، "موسى" (2003)، بنتيجة وجود علاقة بين فصائل الدم وشخصية الفرد.

6. مناقشة نتيجة الفرضية الخامسة:

والتي جاء نتائجها أنه "لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى (0.05) بين المرشدين في مستوى كفاءتهم المهنية تعزى لمؤهلهم العلمي".

مما سبق ذكره نلاحظ من الجدول السابق رقم (11) أن القيمة المعنوية عند مستوى (0.088) وهي أكبر من مستوى الدلالة (0.05)، عند قيمة "ف" (1.929)، فإننا نرفض الفرض البديل ونقبل الفرض الصفري القائل بأنه "لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى (0.05) في مستوى الكفاءة المهنية للمرشد التربوي تعزى لمتغير المؤهل العلمي"، ويرجع الأمر إلى ما أوضحته النتائج المتعلقة بأبعاد الاستبيان والاستبيان ككل، وهذا أن جميع المرشدين مؤهلين تأهيلا أكاديميا جامعا وفق تخصصات مبرمجة للعمل الإرشادي، وزيادة التأهيل أو الاطلاع العلمي التخصصي يبقى وفق مرجعية المرشد في تضمين ممارساته الإرشادية لمؤهلات أخرى، ولكن مع هذا بقي الفرق غير واضحا استنادا لما أظهرته نتائج الدراسة، وهذا ما يتفق مع دراسة "الزبون" (1987) حيث أظهرت عدم وجود فروق دالة بين ارتفاع المؤهل العلمي للمرشد وتقبل الآخرين للعملية الإرشادية"، "الأقرع" (1992)، "زريقي" (2008)، "رسمية" (2008)،

"القتامي" (2012)، "ثائرة" (2012)، ولا تتفق مع كل من دراسة "عموش" (2002)، "الشارفا" (2011)، "طشطوش، مزاهرة" (2012).

7. مناقشة نتيجة الفرضية السادسة:

والتي جاء نتائجها أنه "لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى (0.05) بين المرشدين في مستوى كفاءتهم المهنية تعزى لولاية العمل".

مما سبق ذكره نلاحظ من الجدول السابق رقم (13) أن القيمة المعنوية عند مستوى (0.259) وهي أكبر من مستوى الدلالة (0.05)، عند قيمة "ف" (1.368)، فإننا نرفض الفرض البديل ونقبل الفرض الصفري القائل بأنه "لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى (0.05) بين المرشدين في مستوى كفاءتهم المهنية تعزى لولاية العمل".

تتفق مستويات أبعاد الكفاءة والكفاءة المهنية ككل من حيث انعدام الفرق تبعا لمتغير ولاية العمل، وهذا يرجع أن جميع الولايات تخضع لنظام واحد تسييره مقررات وزارية فبذلك كل مركز يسير وفق برامج إرشادية ممنهجة في نشرات رسمية يعنى بها كل مرشد في أدائه المهني ضمن المؤسسات التربوية، وهذا ما يتفق مع كل من دراسة "الشارفا" (2011)، "طشطوش، ومزاهرة" (2012)، "ثائرة" (2012)، ولا يتفق مع كل من دراسة "أبو فرحة" (1999) بعنوان "العوامل المشجعة وغير مشجعة لاتخاذ الإرشاد مهنة في المدارس"، حيث أثبتت أن هناك فروق دالة إحصائية تعزى لمكان العمل"، ودراسة "وليام وليبرمان" (2001) بعنوان "فعالية المرشدين حسب مجموعة من المتغيرات بما فيها المنطقة الجغرافية، بحيث أسفرت نتائجها بوجود فروق بين المرشدين تبعا للمناطق الجغرافية"، ودراسة "رسمية" (2008).

استنتاج عام:

استنادا على ما تم عرضه ومناقشته من نتائج، يمكن الخروج باستنتاج مؤداه أن هناك كفاءة مهنية بمستوى مرتفع تؤهل المرشد التربوي لعمله الإرشادي، وهذا ما تجلى في وضع القيم وفق البديل "موافق" و" موافق بشدة" في كل أبعاد الاستبيان والاستبيان ككل، وهذا

ما اتفق مع دراسة "عموش" (2002)، دراسة زريقي (2008)، ودراسة "كونستنتين" "Counstantine" (2001)، ما لا يتفق مع دراسة "طشطوش"، مزاهرة" (2012)، ومع كل من دراسة "أبو الهيجاء" (1988)، ودراسة "القاضي" (1980) التي هدفت إلى معرفة الخدمات التوجيهية والإرشادية الموجودة في المدارس الرياض، بحيث أظهرت النتائج أن الخدمات التوجيهية والإرشادية غير مطبقة وغير متوفرة في المدارس التعليمية"، إضافة إلى ذلك فإنه يستثنى بأن "هناك فروق ترجع إلى اختلاف المتغيرات"، فنتائج هذه أثبتت العكس مما أدى إلى قبول الفرض الصفري في جميع الفرضيات المتعلقة بمتغيرات الدراسة التي شملت متغير (الجنس، التخصص، الأقدمية المهنية، الزمرة الدموية، المؤهل العلمي، ولاية العمل). فهذا دليل على أن جميع المرشدين متوافقين في مستوى كفاءتهم بغض النظر عن جميع المتغيرات التي جاءت بها هذه الدراسة، وهذا ما تجلى في معظم فقرات أبعاد الاستبيان والاستبيان ككل، وهذا ما يجسد الطبيعة الشخصية والاجتماعية والتكوينية والإنتاجية، فبالرغم من ذلك إلا أن نتائج هذه الدراسة أثبتت بعض النقائص في الجانب التكويني وأكثرها الجانب الإنتاجي، وهذا قد يرجع إلى مجموعة من الظروف التي قد تعيق مسار عمله الإرشادي.

وفي ضوء ما توصلت إليه الدراسة تتقدم بالتوصيات التالية:

1. العمل على تطوير كفاءة المرشد التربوي من خلال توفير برامج لتدريب وتكوين المرشدين وإعدادهم للبيئة المهنية.
2. تزويد المكتبات بالكتب والمراجع الإرشادية بكل مستجداتها لتنمية الجانب المعرفي حول دور وأهمية الإرشاد في مؤسساتنا التربوية.
3. العمل على نشر وتوسيع ثقافة الإرشاد والتوجيه داخل المؤسسات التربوية وخارجها، والمساهمة في التوعية المجتمعية عن طريق الإعلام، وترسيخ هذا المفهوم عند الأطراف المعنية، والرأي العام.
4. توفير حصص تكوينية تخصصية لتجديد المعارف مواكبة مع تطورات العولمة كمنطلق أولي لتنمية الجانب الأدائي والإبداعي والإنتاجي لدى المرشدين.

5. الاستفادة من نتائج البحوث والدراسات السابقة، بما فيها تطور المقاييس والاختبارات، والعمل على توظيفها.
6. العمل على تحسين الواقع العمل الإرشادي بما فيه التجهيزات المادية، والرؤى السلبية.
7. العمل على تقويم أداء المرشد التربوي، لتدارك النقائص، وتطوير ملكاته ومهاراته وقدراته لبلوغ المستوى الكافي من الكفاءة لتكون مصدر شافي لكل المشكلات والعوائق التي تعيق عمله.
8. تفعيل دور الجهات الأكاديمية البيداغوجية في تقديم برامج عملية ذات البعد التكويني والتأهيلي لرفع من مستوى الكفاءة لدى الأخصائيين في المجال الإرشادي.
9. الاستعانة بنتائج هذه الدراسة ميلادا لدراسات جديدة تناقش فيها متغيرات وأبعاد أخرى.
10. توسيع مجال الدراسات التي تثري البحث النفسي التربوي في المجال البيولوجي والوراثي.

قائمة المراجع:

1. إبراهيم حسن الحكمي (2004): الكفاءات المهنية المتطلبة للأستاذ الجامعي من وجهة نظر طلابه وعلاقتها ببعض المتغيرات، كلية التربية جامعة أم القرى فرع الطائف.
2. إيمان إسماعيل، عمر هاشمي (2000): موعدك التربوي سلسلة من الملفات التربوية، العدد الخامس، المركز الوطني للوثائق، الجزائر.
3. باسم صالح مصطفى العجرمي (2011): فعالية برنامج تدريبي مقترح لتطوير الكفاءات المهنية لطلبة معلمي التعليم الأساسي بجامعة الأزهر - غزة - في ضوء استراتيجية إعداد المعلمين 2008، رسالة ماجستير، كلية التربية، غزة.
4. زياد بركات (2007): فصائل الدم وعلاقتها ببعض السمات الشخصية الانفعالية لدى عينة من الطلاب الجامعيين، جامعة القدس المفتوحة، منطقة طولكرم التعليمية.
5. سميرة العموش (2002): الكفاءات الإرشادية لدى مرشدي المدارس الرسمية وعلاقتها ببعض المتغيرات، رسالة ماجستير في التربية، تخصص إرشاد وتوجيه، جامعة يرموك.
6. صالح حسن أحمد الدايري (2005): علم النفس الإرشادي نظرياته وأساليبه الحديثة، دار وائل للنشر والتوزيع، ط1، عمان.

7. صونية براهيمية (2006): تأثير الوضعية المهنية على أداء المرشد التربوي والمهني ولاتي قالمة وسطيف، شهادة ماجستير كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الأخوة منتوري، قسنطينة (الجزائر)
8. عبد الله الطراونة (2009): مبادئ التوجيه والإرشاد التربوي، دار يافا العلمية، عمان، ط1.
9. عمر بن علي بن عبد الله العجلاني (2005): تقييم المهارات المهنية عند الأخصائيين الاجتماعيين، رسالة ماجستير في العلوم الاجتماعية، جامعة نايف العربية، الرياض.
10. عبير فتحي الشارفا (2011): الذات المهنية للمرشدين النفسيين في العمل الإرشادي، رسالة ماجستير في علم النفس، الجامعة الإسلامية، غزة.
11. عمير بن عبد الله مصطفى مغربي (2008): الذكاء الانفعالي وعلاقته بالكفاءات المهنية لدى عينة من معلمي المرحلة الثانوية في مدينة مكة المكرمة، لنيل شهادة الماجستير في علم النفس (توجيه تربوي ومهني)، جامعة أم القرى.
12. محمد جدوع أبو يوسف (2008): فعالية البرنامج تدريبي لتنمية المهارات الإرشادية لدى المرشدين النفسيين في المدارس، وكالة الغوث بقطاع غزة، رسالة ماجستير.
13. منى بنت درويش الكليبية (2013): فعالية برنامج إرشاد الجمعي في تنمية المسؤولية الاجتماعية والكفاءة الذاتية المدركة لدى نزيلات السجن المركزي بسمائل، رسالة ماجستير في الإرشاد النفسي، جامعة نزوى.
14. ناصر رفیق توفيق السلامة (2003): أداء المرشد التربوي في المدارس الحكومية الثانوية في مدارس محافظة جنين من وجهة نظر كل من الإداريين والمعلمين، أطروحة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية.
15. نبراس علي لطيف (2014-2015): دليل عمل المرشد التربوي، جامعة ديالي، كلية التربية، وحدة الإرشاد والإشراف التربوي.

16. Le petit Larousse (1997): Edition Entièrement Nouvelle 21 Rue Montparnasse 75283 Paris Cedex 06 Bordas.

الخطاب الصوفي والأطر الاجتماعية للمعرفة بالزاوية الزاوية البوعبدلية ببطيوة نموذجاً

محمد الكمال لرجم
طالب دكتوراه في علم الاجتماع الثقافي
جامعة وهران 2

تعتبر الزاوية واحدة من تلك الأُسُس التي بُدِيت عليها مرجعية الثقافة الجزائرية، حيث كانت تحظى بالإجماع والتوافق بين معظم الطبقات والفئات الاجتماعية، حيث قمنا بالاعتماد على المنهج الكيفي الذّوعي، الذي يناسب هذا النوع من المواضيع التي تعتمد على الفهم والتفسير لمختلف النّصّورات والتّمثّلات الفردية والجماعية لمجتمع الزاوية.

كما قمنا بالاستعانة بالمنهج التاريخي في إطار دراستنا التعاقيبية التي تعطي معنى وأهمية للسياق التاريخي سواء للمجتمع ككل أو للزاوية المدروسة.

وفقد محور المضمون العام لهذه الدراسة حول تحليل وتأويل مختلف التعبيرات الشفهية والتصورات الثقافية لفئة صغيرة من المجتمع عبر ملاحظة وتفسير ما ينجم عن تمثّلات هذه الفئة داخل الزاوية.

فقد رأينا من خلال هذا البحث، أن أساس كينونة الزاوية البوعبدلية هو الدّراكم والرّصيد المعرفي المدوّن الذي تزخر به مكتبتها الصغيرة، والسيرة الحسنة لمؤسّسها وشيوخها في إطار الذاكرة الجماعية لزائريها، فالزاوية كموطن لمنظومات معرفية، هي بالضرورة إطار اجتماعي لذلك، إذ تتوقف أساساً حول طبيعة المعتقدات والطقوس المؤمن والمعمول بها، حيث لمسنا تناقلية للمعرفة من الجيل الأول إلى الثاني الذي على رأسه الشيخ الحالي، بالرّغم من انحصار هذه التناقلية الفريدة في عدد محدود من الأشخاص.

إن هذا البحث جاء كمحاولة منا لإبراز قدرة الأنثروبولوجيا كعلم ومنهج على فهم وإدراك الدلالات والمعاني الرّمزية في حياة المجتمعات، كما

جاء ليبرز ولو بدرجة متواضعة ذلك القرب الشديد للأنثروبولوجيا من مجتمع وموضوع بحثها.

المصطلحات الرئيسية:

أنثروبولوجية المعرفة - الأطر الاجتماعية- الزاوية - الخطاب الصوفي -
تناقل المعارف- التمثلات المجتمعية.

Résumé:

Cette étude constitue l'interprétation d'un ensemble de matériaux recueillis au cours des différentes séances de travail au sein de la zaouia Al Bououaabdalia et avec ses adeptes. Ces matériaux constitue une véritable base de recherche en anthropologie culturelle et linguistique et qui nous ont permis de procéder à un questionnement sur l'impact de la mystique soufie qui traverse les pratiques et les représentations sociales et culturelles de la société au prisme zaouia.

ABSTRACT

Through this study, the expressions and denunciations of the zaouia leaders and their visitors gave us a real research material in cultural and linguistic anthropology, in which we discovered the good mastery and the heavy presence of Sufi mystical symbolism.

And according to our interrogation, we have come to see the impact of the Sufi aspect, which was considered the only pure and original mentality in the midst of this material world, and which is embodied in a special linguistic register through practices. And the social and cultural representations of the zaouia society.

تميزت البحوث المجتمعية والأنثروبولوجية ببلادنا عامةً ببعدها عن واقع المجتمعات البسيطة، حيث تفادت الولوج إلى طبقاتها وفئاتها الاجتماعية العميقة ومعرفة طرق حياتها وتفكيرها ومعتقداتها، وهذا نظراً للموجة التحديثية التي عرفتها الجزائر بعد الاستقلال، والتي مست قطاعات مهمة ومن بينها الجامعة وصولاً إلى مواضيع البحث في حد ذاتها.

وبذلك توجهت البحوث العلمية في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، إلى جهة أخرى غير تلك الجهة الموجودة بقوة والأكثر حضوراً وتأثيراً على المشهد الثقافي في المجتمع بل والصناعة له في كثير من الأحيان، فموجة التحديث هذه، وضعت تاريخ فئة معينة ومرحلة تاريخية مقصودة من

تاريخ الجزائر، حيث ارتكزت عليها وأظهرتها للعيان على أنها النموذج الذي يجب أن تكون الجزائر عليه والذي روجت له من خلال مختلف الأجهزة الإيديولوجية، الإعلامية والبيداغوجية منها، ولسوء الحظ قامت العلوم الاجتماعية بتجاهل فترات مهمة من تاريخ هذا المجتمع التي أسست لأصوله العقائدية والفكرية حيث غضت الطرف عنها وعن تفاصيلها وواقعها.

لكن مع مرور الوقت، يقوم هذا المجتمع الذي نجهله بالظهور وفرض نفسه كفاعل أساسي، بل وصانعاً للرّموز والمعاني واللغات في كثير من الأحيان وبذلك يجبر البنيات الهيكلية الفوقية للمجتمع نفسه والدولة على حد سواء، إلى الرجوع إليه والوقوف عنده في مختلف أشكاله.

هذه النزعة جعلت من علم الاجتماع علماً أجوفاً يفتقر إلى مجتمعه، بحيث يقوم بتفسير ودراسة ظواهره وفق آليات نظرية قادمة من الجانب الآخر للبحر الأبيض المتوسط.

والآن مع بزوغ علم إجماع وأنتروبولوجيا جديدة، يحاولان العودة للواجهة بالرجوع لخطوة للوراء لتحقيق الوثبة النوعية في العلوم الاجتماعية، عبر طرح تساؤل مهم ومغاير عن التوجهات القائمة، والذي قد يبدو للبعض بأنه تجاهل وحرق لما أنجز، ولكن لا بأس بالتذكير فقط أين هو المجتمع الجزائري، ذو القيم المحلية البعيدة عن الثورية المسيّسة والاشتراكية والعولمة المؤدلجة؟

ما هي ثقافته، من أين أنت وكيف تشكلت واستمرت في وجودها؟

هكذا تساؤل يقودنا للتوجه مباشرة إلى المجتمع دون وسيط أو طرف ثالث، وذلك بالاحتكاك مع أفرادهم إذ نقوم بالعيش معهم لفترة لفهمهم ووصف طرق تفكيرهم وتصرفاتهم وتمثّلاتهم ولغة تعبيرهم.

إن عصرنا هذا يبعدنا عن مصدرنا وتاريخنا الثقافي، ويوجهنا بشراسة نحو عالم طغت عليه أنماط قيمية جديدة ونحن نرى وفق قناعاتنا وأخلاقياتنا أنه لا بد من الفهم الدقيق لجذور الثقافة المحلية لفهم ما يجري اليوم، وفق أي خلفية ومرجعية ثقافية يتحرك مجتمعنا.

إن الأنثروبولوجيا نشأت لخدمة هذا الغرض، فالهدف من دراساتها ليس التاريخ لأصل الإنسان بل لفهم ثقافته، وهذا ما سنحاول الحذو نحوه بتوجهنا الصريح إلى وجه من ثقافتنا المحلية المتمثل في فضاء الزوايا خطابها الصوفي وكذا زيارتها ودورها المعرفي في مجتمعنا، لأنها كانت ولا زالت تشكل جزئاً كبيراً من هويتنا الحضارية وذاكرتنا الجماعية، نظراً لعمق وجودها في تاريخ المنطقة ودورها المهم في كثير من الأحداث والقضايا التي عرفها المجتمع الجزائري.

1- الطرح الإشكالي

إنّ اهتمامنا بالثقافة المحليّة الجزائرية، قادنا إلى الانتباه بوجود مؤسسة دينية فريدة من نوعها تميزت بها الجزائر، ألا وهي "الزاوية"، فهي التي توصف من قبل المؤرخين بأنها الصّانعة والمؤطرة لمقاومة الاستعمار حيث كان رجالها الصّوفيين أبطالاً ورموزاً للمقاومة الفكرية والعسكريّة على حد سواء.

و تشير بعض البحوث التاريخية وخاصة تلك التي قام بها الضباط الفرنسيون الذين عملوا بالجزائر في إطار ما يسمى بالمكاتب العربية، إلى التنويه بالدور الديني، الاجتماعي، السياسي والعسكري الذي قامت به، ناهيك عن الدور الرئيسي والمتمثل في التعليم والتربية وضبط المجتمع على أسسه الدينية الإسلامية، ومن بين هؤلاء المؤرخين نذكر: الضابط (لويس رين - Louis RINN) الذي يصفها بالهيكل الديني المتمتع بالقوة كأداة للفعل الاجتماعي « moyen d'action »، التي تمارس تأثيرها على الجماعات الحاضرة لها، فهي فضاء للقادة الدينيين للإسلام في الجزائر، كما تتميز باستقلالية عن مراكز السلّطة حتى قبل قدوم الاحتلال الفرنسي كما تحظى بالمرجعية الاجتماعية في مختلف القضايا باعتبارها النواة أو البنية التي ترتبط بها الحياة القبلية والريفية⁽¹⁾.

فمن خلال كتابه المعنون بـ « marabouts et khouanes » الذي يرتبط أساساً بالزوايا، أين بين خضوعها لسلطة "المرابط" الذي يرث الأفضلية

(¹) -RINN L.، 1884، (marabouts et khouanes)، Alger، Adolphe Jourdan، (libraire-éditeur)، p: 04.

والمكانة الدينية المعتبرة، التي أشار إليها بعبارة: « le prestige religieux من شيخ أو ولي مؤثر في المنطقة. (1) »

وكتب الجنرال (Melchior Joseph-Eugène) المعروف باسم (DAUMAS)، بعد قدومه للجزائر عام 1835م، أين عمل هو الآخر في المكاتب العربية، بنواحي معسكر وتلمسان، حيث يصف الزوايا بأنها خاصة بثقافة الأهالي « les indigènes » والتي تملك رصيد معرفي متميز، كما تعد مواطن للمقاومة ومصدرها (2).

هذا وتضيف المؤرخة (إيفون تورين - Yvonne TURIN) بخصوص الزوايا أنها منبع لمعارف المجتمع الجزائري المختلفة وأن " المرابط" الذي يتمتع بالموقع الريادي في الزاوية، يلعب دور المرجع الديني والقائد العسكري، المدرس والطبيب، في إشارة منها حول وظائف الزاوية المتعددة، ونفس الرجل هو من يقود الناس في الصلاة باعتباره صاحب الثقافة والروح القتالية التي تدافع عن المجتمع بمختلف الوسائل (3).

و يصفها (Émile DERMENGHEM) في كتابه حول الإسلام المغربي، أين يفرق بين نوعين من شيوخ الزوايا بحيث يصنف بين شيوخ عامة الناس الفلكلوريين، وشيوخ الخطابة أو المثقفين الجديين، ويرى في الزوايا أنها الممثلة للفضاء الروحي والصوفي « mystique » في منطقة المغرب العربي عامة، وفي الجزائر قامت بسد الفراغ الناجم عن غياب المدارس الكبرى كالزيتونة، القرويين والأزهر من خلال انتشارها الواسع (4).

كما يصفها كل من (Jacques BERQUE) و (Ernest GELLNER) على أنها صورة للإسلام الشعبي المستوحى من الإسلام الأصلي، باعتبارها

(1) -Idem، p15.

(2) -FAUCON N.، 1889، (le livre d'or de l'Algérie)، tome 1، Paris، CHALLAMEL، p: 197.

(3) - TURIN Y.، 1971، (affrontements culturels dans l'Algérie coloniale 1830-1880)، Paris، MASPERO، p:11.

(4) - DERMENGHEM E.، 1954، (le culte des saints dans l'islam maghrébin)، Paris، GALLIMARD، p: 11.

محصلة لتفاعل المجتمع بكافة أعماقه الأنثروبولوجية مع الرسالة السماوية⁽¹⁾.

ومن خلال دراستنا الاستطلاعية بزاوية الشيخ أبو عبد الله البوعبدلي ببطيو، لمسنا جواً من التقدير والتقدير من طرف زوار الزاوية تجاه شيخها والقائمين على سيرها.

وما لفت انتباهنا هو قدوم عائلات بعيدة عن المنطقة، قاصدة الزاوية للاستفادة من "بركة" الشيخ المؤسس، التي لها شهرة واسعة في نواحي الغرب الجزائري حسب ما أكده لنا أحد مقدمين الزاوية، كما تختلف حاجاتهم بين الزيارة، والرقية وفض الخصومات من خلال الاحتكام إلى حكمة الشيخ، بحيث تشهد الزاوية إقبالاً من مختلف الشرائح الاجتماعية من الجنسين، مع أفضلية عددية واضحة للنساء.

وهنا نتساءل حول طبيعة الأنواع المعرفية بهذه الزاوية، وما هي مظاهرها وغايات توظيفها، وهل الزاوية فضاء لتطور وإنتاج المعرفة أم أداة لتدويل ما سبق التفكير فيه من قبل؟

وبما أن الزاوية مؤسسة تنشئة اجتماعية دينية، سنحاول أن نبين إن كانت توظف معارف معينة مستعملة في ذلك لغة خطاب خاصة في إطار التنظيم الاجتماعي مستقطبة بذلك فئات اجتماعية معينة، بحكم ارتباط المجتمع الجزائري بالزوايا كما أشارت إليه مجمل البحوث والدراسات التاريخية والأنثروبولوجية لمجتمعنا، والتي قمنا بذكر البعض منها.

2- الأنثروبولوجية اللغوية والمعرفية

بعد التحولات والتطورات التي عرفت الأنثروبولوجيا من خلال قفزات نوعية من حيث المناهج والمواضيع، قد تجاوزت كما رأينا دراسة تلك المجتمعات الموصوفة بالتقليدية والبدائية، وصلت علماً يراهن عليه في استيعاب وفهم تلك التحولات التي يعرفها العالم المعاصر وما تبعها من ثورات حقيقية في العلوم والتقدم التكنولوجي، ناهيك عن التطور الحضري وما صاحبه من ممارسات اجتماعية جديدة.

(¹) - GELLNER E.، (the popular and the purified)، Muslim society ،Times literary supplement ،11/12/1981.

in: BERQUE J. 2001 ، (histoire et Anthropologie du Maghreb) ، Opéra Minora II، Paris، Edi: BOUCHENEN ،p: 421.

هذه الممارسات بالتحديد، أجبرت الأنثروبولوجيين على ضرورة الاهتمام بها، ومن بين التحولات التي طرأت على ميادين ومواضيع البحوث الأنثروبولوجية "مسألة اللغة والمعرفة" التي كان لها رواج كبير باعتبارها امتداد لظهور الانثروبولوجيا اللسانية مع **فرديناند دوسوسير**، حيث ارتكزت على الربط بين الواقع المعاش وبين الخطاب المتداول ضمن ما يعرف بالسجلات اللغوية الخاصة بكل فئة اجتماعية معينة.

فمنذ القديم اعتبرت المعرفة سلعة كباقي السلع، لكنها منتوج يختلف عن كل السلع الأخرى حيث أن المعرفة هي ظاهرة لا تقنى « inépuisable » عند الاستهلاك، كما أنها تتجدد وهي تراكمية « accumulative » إذ تتخذ شكل النمو والتطور، كما تقبل القسمة إلا مالا نهائية، فهي متعددة وواسعة ولا بد من التمييز بينها وبين العلم، فهي قد تصل عن طريق: الحس، التلقين، التعليم، الشعور والإلهام أو العقل، فليست اللغة المستعملة والعلوم إلا باباً من المعرفة « connaissance » لكل منها مزاياه واختصاصه، فالمعرفة سلم متدرج والعلم درجة منها، فالمعرفة تمكن الإنسان من السيطرة على الواقع ومن غزو الطبيعة وكذا من إقرار حقائق يصدقها ويعمل بها ⁽¹⁾.

وكما يقول (**ميشيل فوكو**-Michel Foucault): المعرفة هي تجريد، لكنها جزئ هام وصلب من حياتنا، وهي تقف فوق عمليات السلطة وفوق الانفعالات والسياسة والمؤسسات وطالما هي توفر منطلقاً حيادياً، نستطيع من خلالها إقامة عمليات سلطة، فهي بذلك حصيلة ونتاج متعالي، وحتى إن كان هذا النتاج شفهي يمكن حفظه بمجرد السماع عنه أو الحصول عليه ⁽²⁾.

إن اهتمام الأنثروبولوجيا بالمعرفة جاء كرد فعل لما أسماه (**ليفي برول** - Lévy-BRUHL) **بنائية الفكر المنطقي والفكر ما قبل منطقي** « prélogique »، أين حصر الأخير في المجال الديني للمجتمع وهو تحليل

(1)- بوحدية عبد الوهاب، 1992، (لأفهم فصول عن المجتمع والدين)، الدار التونسية للنشر والتوزيع، ص: 198

(2) - طوني بينيت ولورانس غروسبيرغ وميغان موريس، 2010، (مفاتيح اصطلاحية جديدة: معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع)، ترجمة: سعيد الغانمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ص: 636.

يظهر مدى التعلق بالتطورية ونزعة البثية الإثنية في الأنثروبولوجيا، لأنه يظهر لنا وجه آخر لتصنيف معروف في صورة مجتمعات حديثة وأخرى تقليدية⁽¹⁾.

من خلال هذا التفريق في العقلانيات عرفت أنثروبولوجيا المعرفة تفريقاً بين لونين للمعارف الاجتماعية:

أ- المعارف المتبادلة اجتماعياً: وهي التي يعتبرها (Clifford GEERTZ) عبارة عن رموز عمومية ومعرفة روحية خاصة لظواهر معينة، وهو لون معرفي يتوافق فيه النفسانيون والأنثروبولوجيون (بصفة الفرد والجماعة).

ب - الانفعالات وردود الأفعال الرمزية: مع ليفي ستروس بصفة انعكاس « réflexion » حيث يرتكز هذا اللون على معاني الرموز الثقافية ودلالاتها⁽²⁾.

إن الأنثروبولوجيين بحكم طبيعة وميدان بحثهم، لا يمكنهم تجاهل عدم طرح أسئلة معرفية لكن بمجرد طرحهم لها يستفيدون الكثير عن طريق النوعية والدقة في التأويل.

فالدراسة الأنثروبولوجية للمعرفية هي إبعاد للجانب الفلسفي والتاريخي للمعرفة، فهي تتوقف عند المبادئ والأنظمة والآداب الاجتماعية « les disciplines »⁽³⁾.

وعادةً ما يتمحور هذا النوع من الدراسات (المعرفية) لدى الأنثروبولوجيين حول المسائل الأكثر أهمية في حياة الإنسان، والتي يقوم من خلالها بتوظيف معارف متعددة، وتتمظهر في الكثير من الأحيان في سلوكيات واعية وغير واعية، تتجلى في تصورات ورموز في سجل لغوي خاص في ما بين الأفراد وهو المعبر عنه بعبارة: « registre linguistique interpersonnel »⁽⁴⁾.

(1) - GUERID D.، 2012، op.cit.، p: 09.

(2) - BLOCH M.، 2013، (L'Anthropologie et le défi cognitif) Paris، Odile Jacob، p: 12.

(3) - Idem، p: 09.

(4) - BLOCH M.، 2013، op.cit. p: 10.

إن مواضيع كل من علم إجتماع وأنثروبولوجية المعرفة هي "المحددات الاجتماعية والثقافية لها" بما فيها المعتقدات والإيديولوجيات المتبناة، وقد تأسس هذا الفرع من العلوم الاجتماعية على يد دوركايم من خلال تركيزه على العامل المعرفي في كتابه الصادر عام 1912 م، بعنوان « les Formes élémentaires de la vie religieuse (الأشكال الأولية للحياة الدينية)، بحيث يطرح فيه صفة العلمنة الاجتماعية «le scientisme social» للأشكال القبلية، وحتى إيمانويل كانط رأى في هذه الأشكال توفر الإحساس ومظاهر الإدراك لما هو معرفي⁽¹⁾.

وعليه، يرى (كارل بوبر- Karl POPPER) أن المعرفة العلمية تتقدم بواسطة تقدم "جوهري" وبواسطة منطق "داخلي"، إذ يعطي انطباع بانه يتحدث عن الاكتشاف والاختراع، في حين وضع الماركسيون الجدد مثل (يورغن هابرماس- Jürgen HABERMAS) علاقة جدلية بين السبب والمسبب "أي العلّة والمعلول" في ضوء اهتمامه بالمعرفة في إطار المصلحة وهو ما تجلّى في كتاب: «connaissance et intérêt» عام 1968م⁽²⁾.

3- الزوايا وظروف نشأتها بالجزائر

ظهرت الزوايا بأنظمتها وطقوسها في القرن الثالث هجري، وكان يطلق على مشرفها لقب "شيخ الشيوخ" وأطلق هذا اللقب لأول مرة على "إسماعيل بن أبي سعد" (541 هـ) ثم أطلق على القائمين عليها اسم شيخ الخانقة سنة (659 هـ) وانتشرت بكثرة في عهد الأيوبيين والمماليك في الشام، بحسب ما جاء به المؤرخ (عبد الرحمن الجليلي) في تاريخ الجزائر العام.

أمّا تفرّع الطرق الصوفية يعود للقرن الثامن هجري، إذ فاق عددها 80 طريقة، وفي الجزائر تفرّعت من أربعة طرق إلى 23 طريقة مع مجيء العثمانيين⁽³⁾.

(1)- خليل أحمد خليل، 1984، (المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع)، بيروت، دار الحدائق، الطبعة الأولى، ص: 200.

(2) - نفس المرجع، ص: 203.

(3) - مؤيد صلاح العقبلي، مرجع سابق، ص: 86.

ويرتبط تاريخ الزوايا في الجزائر بتاريخ رجالها من المتصوفة، فمعظم التيارات الصوفية تمتد جذورها إلى مسلمي الأندلس عن طريق المغرب الأقصى، فازدهرت الزوايا مع انحطاط الحضارة الإسلامية بسقوط الخلافة العباسية على يد المغول في القرن 13 م، وأخذت خصوصيات مغاربية، بتأقلمها مع واقع المجتمع المحلي للثري بتنوعه الثقافي، وهذا ما يشكل استقلالها عن كل نفوذ أو تبعية للمشرق العربي⁽¹⁾.

ويُرجع الأستاذ عبد القادر بوعرفة الهلالي ظهور الزوايا والتصوف إلى ما أسماه بالحواضر العلمية في عهد "نوميديا" إذ يرجع أن العقل الفلسفي الجزائري وقع في دائرة التوفيق بين النص المسيحي والمُثن الفلسفية اليونانية، من خلال أعمال "القديس أوغسطين" في كتاب (مدينة الله) و(رسالة السعادة)، ثم ظهر في العصر الوسيط "علم الكلام" نتيجة دخول الإباضيين وتأسيس الدولة الرستمية (بتيهت)، فكان للمناظرة الكلامية تأثير في خلق مجال للتنظير الإيديولوجي والمذهبي، حينها طغت مسائل كالحرية، التوحيد، التسيير والتخيير، التشبيه والتجسيم، ثم انتقلت الأعمال لتركز على مسألة التوحيد، ثم في القرن 15 م، غلب في المؤلفات العلمية، مجال التصوف والزهد كرد فعل تجاه:

- 1- التركيز على مسائل الفقه وفروعه بصورة غير موضوعية.
- 2- طغيان الصدام بين الفروع والعوارض مما جعل الكتابات مزيج من التحليل والتركيب.
- 3- تفشي الأراجيز الشعرية على الكتابات العلمية والمنطق وكذا حضور المخيال الأسطوري للتصوف⁽²⁾.

ويذكر الكثير من الباحثين أن أصل الزاوية كان عبارة عن رباط، إذ تحول وتطور مع مرور الزمن، فالرباطات هي التكنات التي تحمي الثغور الإسلامية من الحملات الصليبية وكانت عبارة عن ملتقى للرجال والنساء الذين تركوا ملذات الدنيا وكرسوا حياتهم للعبادة والتكر في الرباط الذي لم يكونوا يغادروه إلا للجهاد، وقد عرفت سواحل المغرب العربي هذه الرباطات في القرن الخامس هجري، ومن أهمها: رباط بونة (1048م)

(1) - بودواية بلحيا، مرجع سابق، ص: 20.

(2) - عبد القادر بوعرفة الهلالي، 2004، (أعلام الفكر والتصوف بالجزائر)، الجزء 1، وهران، دار الغرب، ص: 07

أين يوجد ضريح الشيخ أبو مروان البوني، ورباط شرشال، وكان الدعاة ينطلقون منها لنشر الإسلام في إفريقيا فأسلمت مجتمعات الغرب الإفريقي بفضل التيجانيين في كل من دول: (السنغال، مالي، بوركينا فاسو، الساحل العاج، غامبيا)، وفي الشرق انتشرت السنوسية في (السودان، تشاد، تنزانيا، الصومال) (1).

وكان الأتباع يتلقون في الرباط تربية روحية تهديهم إلى مكارم الأخلاق، وصارت الرباطات أماكن يتسابق الناس إليها لنيل مكانة بها، ومنذ القرن الرابع هجري تحولت مهامها من العبادة والجهاد إلى التعليم والتدريس حيث أُلِّفت فيها نفاثس الكتب في مختلف العلوم، وبعد انقضاء الجهاد مع قدوم الأتراك، تحول المتصوفون إلى بناء الزوايا لإنشاء مراكز ودور عبادة شبيهة بالرباط، وكان الهدف الأساسي من بنائها هو تعليم القرآن الكريم وباقي العلوم الدينية، ولا زالت إلى يومنا هذا تسمية الرباط مرتبطة بها، إذ يطلق على مشايخها بالمرابط.

وشكلت الزوايا في المنطقة المغاربية ما يُعرف "بالموقد المغناطيسي" « foyer magnétique » الوحيد في المجتمع عن طريق خلق قُطب للتأثير على الجماعات والأهالي (2).

فالزوايا فتحت المجلد للانتقال من "التصوف" إلى "الطرقية"، فمع انتشار الإسلام في بلدان غير عربية شكلت كتابات كبار المتصوفة أمثال: الغزالي، أحمد الزروق، ابن عطاء الله السكندري وابن عربي، شكلت عقيدة وفلسفة فقهية جديدة تقترب من أحوال الناس في هذه البلدان الأعجمية (3).

وفي حديث (محمد أركون) عن الإسلام المغاربي، فإنه يشير إلى أن الزوايا ميراث إسلامي غني لا ينضب من الرموز والدلالات والعلامات،

(1) - صلاح مؤيد العقبى، مرجع سابق، ص: 217.

(2) - BERQUE A.، 1986، (écrits sur l'Algérie)، Paris، Edisud، p: 25.

(3) - BOUBRIK R.، 1999، (Saints et société en Islam)، Paris، CNRS Edi.، p: 49.

التي توظيفها من قبل مجموعات متنوعة في فترات مختلفة من تاريخ الجزائر⁽¹⁾.

يكشف النقيب (Edward De NEVEU) عام 1845م، أن الزاوية مؤسسة متميزة ليس لها مثيل في العالم الغربي، فهي مصلى ويأتي العديد من الناس والعائلات لزيارتها، كما أنها مدرسة للعلوم الدينية، الحساب، التاريخ والجغرافيا وحتى السحر، وتعلم الكتابة للصبيان، وتناقش فيها أمور تتعلق بأحوال الناس والمدن⁽²⁾.

وكان لكل زاوية نظامها الخاص، يحرص الشيخ على تطبيقه بصرامة، لوضع حد للفوضى أو الاختلالات داخلها وليس للزوايا مورد مالي سوى الأوقاف والعقارات والأحباس من الأراضي التي بها أشجار من الزيتون والنخيل وكذا الهبات وتبرعات المحسنين، وبلغ عدد الزوايا عام 1830م حوالي 500، إلا أن بعضها دُمّر من طرف القوات الفرنسية نظراً لمواقف شيوخها الداعمة للثورات، حيث تحوّلت إلى ملاجئ ومراكز لعلاج وإطعام المجاهدين المقاومين⁽³⁾.

ويذكر حمدان خوجة أن شيوخ الزوايا والطرق الصوفية، أمروا جميع المواطنين الجزائريين أيام الغزو الفرنسي بالتعبئة العامة والوقوف صف واحد للدفاع عن الجزائر⁽⁴⁾.

وحتى العسكريين الفرنسيين ذكروا هذه المواقف، مثل (De NEVEU) الذي تحدث عن دور الزوايا في قسنطينة التي أبدت مقاومة عسكرية ودينية شرسة عام 1845م.

وتميّزت الزوايا بالسريّة الدائمة التي تحيط بها وبما يجري داخلها، حيث لم يستطع الاستعمار اختراق تنظيمها أو الاطلاع على أعمال شيوخها، وهذا ما جعل الضباط الفرنسيين يراقبون تحركات واتصالات شيوخها والمنتسبين لها خاصة في المناسبات والأعياد، وفي هذا الصدد يقول

- مصطفى راجعي، 2014، (التدين وجودة الحكامة في الجزائر)، دار حامد، عمّان، (الأردن، ص: 72).

(²) - De NEVEU E.، 1846 (Les khouans: ordre religieux chez les musulmans d'Algérie) Paris ،،GUYOT، 2ème Edition، p: 14.

(³) - صلاح مؤيد العقبلي، مرجع سابق، ص: 207.

(⁴) - نفس المرجع، ص: 50.

المؤرخ (Marcel EMRE): " بالرغم من أن الزوايا هي ذات صبغة دينية، إلا أنها كانت تؤدي دور اقتصادي واجتماعي، وكانت بمثابة أحزاب سياسية ذات نظام غامض وشديد السرية، كما قامت بحملات دعائية محكمة ضد الفرنسيين بواسطة اتصالاتها الخفية، فمعظم الثورات والهبات الشعبية للأهالي نُفِيت وُنظِّمَت بوحى منها" (1).

ومع هذا، فإنها تميزت في الأحوال العادية بنوع من الهدوء والسلم، وهذا يعكس الجانب المعنوي لأصحابها هو الذي عبر عنه الباحث بوبريك رخال بمصطلح « le code moral »، عبر تركيزهم على الجانب الروحي والنفسي لمنتميين إليها والذين عادةً ما يُوصفون (برجال الكتاب)، أي المتخلفين بأخلاق القرآن (2).

فالزوايا تقوم بتلقين "قيم المواطنة" للرعية، وهذا ما بينه الرجل الإصلاحى الشيخ عبد الحميد بن باديس عندما اعترف بفضلهم في الدفاع عن ثوابت الوطن مع سحبه لانتقاداته لهم في أواخر حياته (3).

فقد لعبت دور المنسق بين الثقافات المحلية وبين الدين الإسلامى، كما شكلت تجسيدا واضحا للحوار مع الديانات الأخرى، فكثيراً ما تربط شيوخها علاقات صداقة مع شخصيات غير مسلمة، فتبنت الزوايا هذا النموذج من الإسلام عبر التركيز على ما يحمله من روحانية « spiritualité » بتجاوز العوائق الدوغمائية « dogmatiques » في أشكال التدبير والتعصب (4).

إذ يوضح (Louis RINN) أن أفراد الزوايا، لم يكونوا أشخاص "قاسيين" وكان التعصب « fanatisme » نادراً لدى الشيوخ والمرابطين (5).

ويرى الباحث موساوي عبد الرحمن، أن الزاوية تمثل تموقعاً بعيداً عن الاختلالات والاضطرابات لتشكل زاوية وركنٌ لرؤية العالم من خلالها (1).

(١) - نفس المرجع، ص: 53.

(٢) - BOUBRIK R.، op.cit. p: 36.

(٣) - GEOFFROY E.، 2009 (L'Islam sera spirituel ou ne sera plus) «Paris» Edi. Du Seuil، p: 196.

(٤) - idem، p: 203.

(٥) - RINN L. ،1884، op.cit. ،p: 18.

لكن يوضح (Émile DERMENGHEM) في كتابه حول الإسلام المغربي، أين يفرق بين نوعين من شيوخ الزوايا بحيث يصنف بين شيوخ عامة الناس الفلكلوريين، وشيوخ الخطابة أو المثقفين الجديين، ويرى في الزوايا أنها الفضاء الروحي والصوفي «mystique» في منطقة المغرب العربي عامة، وفي الجزائر قامت بسد الفراغ الناجم عن غياب المدارس الكبرى كالزيتونة، والقرويين والأزهر من خلال انتشارها الواسع⁽²⁾.

4-تقديم الزاوية المدروسة

تقع الزاوية البوعبدلية في شمال شرق مدينة بطيوة، تبعد عن الموقع الأثري الروماني «Portus Magnus» بحوالي 200 متر، فكانت في بادئ الأمر مسجد هو الأقدم في المنطقة (أقدم من المسجد العثماني)، ومع قدوم الشيخ أبو عبد الله البوعبدلي عام 1903م إلى بطيوة، توسع المسجد ليضم معهد لتدريس القرآن الكريم والتاريخ وعلوم النحو (حيث كانت تُدرّس ألفية بن مالك)، بإيعاز من شيخ المسجد الشيخ المشرقي المتوفى في نفس السنة.

تتربّع الزاوية حالياً على مساحة 3500 متر مربع، تضم مسجداً للصلاة اليومية (ليس به منبر)، تعتيه صومعة جميلة مربعة الجوانب على الطراز الأندلسي، بُنيت من طرف أحد المقاولين من وهران، يبلغ ارتفاعها حوالي 20 متر⁽³⁾، وفي داخل المسجد نجد في الخلف (أي عكس إتجاه القبلة) حجرة لأضرحة عائلة البوعبدلي.

كما بها ساحة واسعة تقابلنا عند المدخل الرئيسي لدخول سيارات الزائرين، وعلى اليمين نجد بيت للوضوء مخصّص للرجال في حين بيت الوضوء للنساء نجده في جانب المسجد (أي بعيد عن بيت وضوء الرجال) لتجنب الاختلاط ودخول الرجال والنساء من جهة واحدة، وعلى يسار

(1)- غرس الله عبد الحفيظ، (الزاوية فضاء للتنشئة الاجتماعية)، مجلة المواقف، عدد1، 2007، معسكر، عن:

، URASC، Oran، (structure des champs religieux en Algérie)، 1987، MOUSSAOUI A. p: 05.

(2) - DERMENGHEM E.، 1954، (le culte des saints dans l'islam maghrébin)، Paris، GALLIMARD، p: 11.

(3)- تُشكّل صومعة الزاوية أعلى قمة معمارية بالمدينة نظراً لوقوع الزاوية في منطقة مرتفعة حيث تظهر عالية من الطريق الوطني رقم 11

الساحة نجد غرفة خاصة للأمانات ووضع التبرعات، ويقع خلفها أهم ما في الزاوية، وهي المكتبة التي لها شهرة واسعة، إذ تصدّف من بين أغنى مكاتب الجزائر لما تحتويه من رسائل ومخطوطات قيّمة ونفيسة، وفي وسط المكتبة يوجد مكتب الشيخ الذي يستقبل فيه زائريه، ويقابل المكتبة غرفة مخصّصة لنائب الشيخ، وبجواره معهد هو قيد الإنشاء مكوّن من ثلاث غرف بمساهمة البلدية وبعض المقاولين، بهدف تكوين معهد لتدريس "علم الفرائض"، كما يوجد جنوب الزاوية حديقة صغيرة يُسمّيها القيمون "بالبحيرة" بها بعض صناديق لتربية الدحل.

وتصدّف الزاوية البوعبدليّة من بين أفقر الزوايا بالجزائر، فهي وقف خاص من حيث الملكية العقارية ولا تملك أية عقارات أو أوقاف تُموّلها مادياً، فهي تعتمد فقط على تبرّعات الزوّار وبعض المقاولين بالمنطقة، وتقع الزاوية في وسط حي عائلي تسكنه عائلة البوعبدليّ العريقة.

وتناوب على مشيختها، أولاً الشيخ المؤسس أبو عبد الله البوعبدليّ من 1927م إلى سنة 1952م ثم خلفه ابنه الثالث الشيخ عبد البر من 1952م إلى غاية وفاته عام 1979م، ثم خلفه أخوه الثاني الشيخ المهدي من 1979م إلى غاية 1992م ثم خلفه الأخ الأصغر الشيخ عياض منذ 1992م إلى يومنا هذا.

تمثّل الزاوية فضاءً اجتماعياً يتم من خلاله ربط وتعزيز لأواصر العلاقات الاجتماعية باعتبارها مكاناً للالتقاء والتعارف، فمن خلال التصميم المعماري للزاوية، الذي يضم ساحة واسعة محاطة بكراسي على طول محيطها، فقد لاحظنا عبر تواجدها بها إقامة علاقات صداقة وتعارف بين الزائرين قيماً بينهم من خلال رواية كل واحد عن تجربته الشخصية مع هذه الزاوية أو بسرد قصّة عن أحد زائريها كما تردّد على مسامعنا أكثر من مرّة.

فتبادل أطراف الحديث بين الزوّار يقوم بتنشيط عملية الاتصال بين الأفراد في إطار تعزيز الروابط الاجتماعية فقد لاحظنا قدوم عدد كبير من النساء بصحبة أطفالهن في شكل جماعات يجلسون في ساحة الزاوية للحديث.

فالزاوية البوعبدلية كانت مركزاً لرعاية الأطفال اليتامى والنساء المطلقات والأرامل، إذ يروي لنا أحد الزوار (بوزناد: 55 سنة) أنّ المشايخ كانوا يتكفلون بما تمتلكه الزاوية بالأطفال إذ ترعاهم وتقوم بتدريسهم، أما النساء الأرامل لمطلقات، فكان شيوخها يتكفلون بتزويجهم، وكان الرجال المعنّين بالزواج يهن يبدون موافقهم بدون تردد نظراً لمكانة الشيخ المرموقة عندهم وطمعاً في نيل رضاه وبركته.

هذا ويضيف (نجيب: 66 سنة) أنّ الزاوية احتضنت العائلات المتضررة من زلزال الأصنام الأول عام 1954م من طرف الشيخ عبد البر، كما أن البعض منها فضل البقاء ببطيوحة بجوار الزاوية التي يعرفونها جيداً لأن أصول عائلة البوعبدلي تعود إلى مدينة الشلف كما ذكرنا سابقاً.

وهذا ربّما ما يفسّر وقوع الزاوية في حي عائلي من أبناء عم البوعبدلي وآخرين من أقاربهم إلى جانب عدد من المهاجرين القادمين من المغرب الأقصى لمعرفة الشيخ أبو عبد الله لما كان يدرس عندهم.

أما حالياً، فقد أضحت الزاوية غير قادرة على استيعاب عدد كبير من المحتاجين، إذ يقتصر دورها في الكثير من الأحيان على تقديم مساعدات بسيطة نظراً للوضع المالي الذي يصنّفها من بين أفقر الزوايا بالجزائر.

كانت ولا زالت تشكل الزاوية البوعبدلية صرحاً ثقافياً فريداً من نوعه، وذلك لما تكتسبه من مكانة خاصة لدى الزوار وأهل المنطقة، بالإضافة إلى أهل الاختصاص من أساتذة وجامعيين عرفوا مشايخها وتعاملوا معهم.

فالدور الثقافي، يكمن أساساً في تشكيل "الوجه الأصلي الحقيقي" للمجتمع الجزائري، على حد تعبير الكاتب الفرنسي «Émile DERMENGHEM» في كتابه: «le culte des saints dans l'Islam Maghrébin» الذي يُعرف عنه تعلقه بالزوايا كما رأينا في المحاور السابقة، وعليه فإنها تشكل ملجأ ثقافي، أي تقوم بإرجاع الفرد الزائر إلى جذوره الأنثروبولوجية والتي يُحس من خلالها بوجوده.

هذا وتمارس الزاوية عدّة نشاطات ثقافية لها علاقة أساساً بالدين الإسلامي، وخاصةً في إحياء المناسبات الدينية (كالأعياد، المولد النبوي، ليلة القدر) زيادةً على إقامة ما يُعرف "بالختم" وهو احتفال ديني يُقام

يومي الرَّابع والخامس من شهر نوفمبر، وهو تاريخ وفاة الشيخ المؤسس للزاوية إذ يقوم الناس بالتوافد إلى الزاوية لاستقبال جماعات "الطلبة" وشيوخ مختلف الزوايا في الجزائر، إلى درجة قول المقدم سي أحمد عن هذا الختم " ..ما تلقاش وين تحط رجلك... الناس تجي من كل فج عميق..."، ومعظم من يأتون كانوا على علاقة طيبة مع مختلف الشيوخ الذين تعاقبوا على الزاوية، فيبيتون بالزاوية ليومين على نفقة سي عياض "دار الشيخ" وبعض المساهمين من عامة الناس.

ويقوم الطلبة بقراءة سورة يس وسورة الإخلاص 11 مرّة على روح شيوخ الزاوية، ومثلما صرّح لنا أحد المبحوثين ممّن يحرصون على حضور "الختم" (عبد الرحمن: 37 سنة، مدرس قرآن) أنه يقرأ السورتين المذكورتين ثم ينوي أجر القراءة في ميزان ثواب الشيخ، ثم يصلّي ركعتين بمسجد الزاوية ويدعي الله بالتوسّل إلى الله بجاه النبي وجاه الشيخ الصالح أن يتقبل دعاءه ويقضي حوائجه.

تماماً مثلما كانت الزاوية في القديم، بقيت مؤسسة ثقافية تُكرّس لدوام الممارسات الثقافية التي إعتاد المجتمع على القيام بها، واحتفاظها بالقيم المحلية وتناقلها بين الأفراد من خلال التباين الواضح في سن الأفراد الذين يزورونها.

5- جانب من مقابلة الشيخ

اشتمل حوارنا مع الشيخ عياض على ثلاث مراحل، وهذا لانشغالاته وكثرة زائريه بالإضافة إلى إصابته بوعكة صحية حتمت عليه الغياب لفترة مما دفعه لجلب إمام ينوب عنه من وهران يدعى "الشيخ رحيلي"⁽¹⁾

فعند دخولنا لأول مرّة إلى مكتب الشيخ، انتابنا نوع من الدهشة لكركية المكان وانتشار الجرائد والأوراق، فوجدنا صوراً لشخصيات سياسية لها علاقة بأحد شيوخ الزاوية مثل صورة الرئيس المصري جمال عبد

(1) - الشيخ رحيلي (نائب الشيخ)، إمام بأحد مساجد وهران، سبق وأن التقينا به أكثر من مرّة، وما لفت انتباهنا هو حملة لكمية كبيرة من الحلوى والسكاكر، إذ يوزعها على كل شخص يصادفه، فمرة أعطانا الحلوى لما رأيناه بالزاوية، وبمحض الصدفة التقينا مرّة في حافلة نقل من بطيوة إلى وهران، فجلسنا بجانبه حتى رأيناه يفتش في أمتعته على كيس الحلوى فقام بتوزيعها كلّها على ركاب تلك الحافلة.

الناصر والمفكر الجزائري مالك بن نبي برفقة الشيخ المهدي، بالإضافة إلى تكديس أعداد كبيرة من الجرائد باللغتين العربية والفرنسية، وكان على مكتبه علبة لحبر "الدوايا"⁽¹⁾ وقلم من القصب، وكانت رائحة العود تملئ المكان، هكذا نجد متصفحاً لجريدة ما في كل مرة.

وبعد جلوسنا أمامه، تساءل عن سبب وجودنا، وعندما تبين له أن الغرض من زيارتنا هو إعداد بحث علمي في إطار تحضير لمذكرة، سألنا عن موضوع البحث، بعدها أخذ بالحديث عن ماضي الزاوية ودورها بالمنطقة وأظهر من خلاله فصاحة لغوية واضحة، وإمام بما يحدث في العالم الإسلامي المعاصر.

وبالحديث عن صُلب موضوعنا "المعرفة المجتمعية"، أجابنا بسرعة أن جوهر المعرفة هو الجانب الديني منها، الذي يشكل حسب سي عياض الحركية التي تضبط المجتمع وفق قيم روحية وأخلاقية.

هذا وقد تحدّث الشيخ عن واقع الزوايا في عالمنا اليوم، فقال: "... صارت الناس تهرب وتحتمي بالزاوية من الحياة اليومية المليئة بالمشاكل..." أي لتستريح ولو لفترة من همومها وضغوطات الحياة عليها.

في ردّه لسؤالنا حول سبب استقطاب الزاوية لعدد معتبر من الناس، قال أن السبب في ذلك هو التصوّف فهو حسب مرادف للإخلاص في كل شيء، من خلال العطاء بدون مقابل، كما أبدى ثقته في مدى فاعلية الزوايا في المجتمع الجزائري، وأكد أن الزاوية صارت ملجأً لنسيان مشاكل العصر، حيث توقّر للزائرين الرّاحة النفسية التي يفتقدونها في الأماكن الأخرى.

ويضيف سي عياض أن الإخلاص هو ما ينقصنا اليوم، فالزاوية تقوم بتجسيده لتبني روابط الثقة بينها وبين زوّارها الذين هم سبب وجودهم بها.

عند حديثنا عن المعرفة وعالم الزوايا، فإنه لمن المحتوم علينا الكلام عن التصوف والمعرفة الصوفية، حيث لم نعطي لمفهوم التصوف أهمية كبيرة سابقاً لأنه مفهوم مرّن ولم يفصل فيه بشكل نهائي، فقد تعدّدت الآراء حوله

(1) الدوايا، هي حبر تقليدي مصنوع بمزيج من الصوف المحترقة والماء مع القليل من القطران مما يعطيها رائحة قوية

والاجتهادات في صياغته، فالمعرفة الصوفية عامة تخضع لمبدأين هما:
الفيض الإلهي وأسرار الحروف.

وهذا نسخٌ عن لما قاله كل من أفلاطون وأفلوطين وفيثاغورس، فغاية هذا النوع من المعرفة، هو السعي وراء المعرفة الكشفية، عن طريق التحلّي بأخلاق تركية النفس وبالابتعاد عن المعاصي والشهوات⁽¹⁾.

وهي تمر عبر (التخلّي، التحلّي والتدجّي) كيف ذلك؟

التخلّي هو ترك الشهوات والملذات والتخلّي هو التخلق بالفضائل أما التدجّي فهو الدّطلع إلى الفيض الربّاني، لذلك يشاع في أوساط المتصوفة بقولهم عن المعرفة الصوفية أنها رفضٌ ثم نفضٌ ففيضٌ⁽²⁾ وكثيراً ما انتقد هذا النوع من المعرفة لاشتماله على مصطلحات وألفاظ خاصة وصعبة الفهم، وفي رد على هذا الانتقاد يقول أبو العباس المرسي: "ما فعلنا ذلك إلا لغيرتنا عليه، لعزّته علينا كي لا يشربها غير طائفتنا"، ويرد كذلك نظماً:

إذا أهل العبارة ساءلونا *** أجنبناهم بأعلام الإشارة
نشير بها فنجعلها غوضاً *** تقصر عنه ترجمة العبارة
ونشهدها تشهرنا مسرور *** له في كل جراحة إشارة
ترى الأقوال في الأحوال أسرى *** كأسر العارفين ذوي الخسارة
وهي أبيات تفيد بخوف المتصوفة على دخول أيّاً كان في تفسير أعمالهم
وأقوالهم لتكون مخصوصة بهم فقط⁽³⁾.

فالأمر لا يختلف كثيراً في الزاوية البوعبدلية، فرجال هذه الزاوية يدّسمون بابتعادهم عن التصوف الفلسفي الذي يركز على الغيبيات أو "المكاشفات" فيمجرد الحديث مع أحد تلامذة الشيخ أبو عبد الله نلمس تلك النزعة الممزوجة بين روحانية التصوف وعقلانية الشريعة، ففي هذا الصّدّد نال الشيخ أبو عبد الله إجماع المشايخ المتصوفة وكذا السلفية

(1) - نايف معروف، (الإنسان والعقل)، سبيل الرشاد، بيروت، الطبعة الأولى، 1990، ص: 44.

(2) - نفس المرجع، ص: 44 ذكر في: غلاب، (المعرفة عند مفكري المسلمين)، ص: 325، عن كتاب ابن تيمية، (المعجزة وكرامة الأولياء).

(3) - نايف معروف، (الإنسان والعقل)، مرجع سابق، ص: 46، ذكر في: الحفني، (معجم المصطلحات الصوفية)، المقدمة، ص: 16.

الإصلاحية، حيث كان يحظى الشيخ بتقدير الطرفين، فالشيخ أبو عبد الله لم يكن طرقياً خاملاً ولا سلفياً صارماً، بل كان مثالياً للوسطية وظهر ذلك يوم جنازته، أين حضرت الطائفتين معاً، ونادراً ما نجد شخصية تتمتع بتقديرهما معاً⁽¹⁾، ولم يحد أتباعه من أولاده عن هذا النوع من التصوف، فالشيخ عبد البر لازم التعليم إلى غاية وفاته، والشيخ لمهدي كان بارعاً في التاريخ أكثر من كونه شيخ صوفي، أما الشيخ عياض فمعروف عنه ميله الشديد نحو التصوف العقلاني⁽²⁾.

فبمجرد حديثنا مع الشيخ عياض حول الأمور الغيبية المتعلقة بعالم التصوف والغيب، ردّ علينا بحزم بأنه فيه وجود لشريعة واحدة أنزلها الله ووجهها للإنسان دون سواه من المخلوقات، وعليه قام الشيخ بإعطائنا نسخة عن قصيدة شعرية لوالده الشيخ أبو عبد الله ينتقد فيها الأفعال والطقوس الغريبة والتي لا تطمئن لها الأنفس، وهي قصيدة من 52 بيت كتبت عام 1918 م، وفيها انتقاد لشخصية أسطورية تعرف بصاحب جبل الدخان، وهذه بعض من أبياتها:

يا طالباً ضبط أسمائي وأدعيتي	مستوضحا قَسَمًا فيها بعبران
يبغي بذاك أن تسعى لخدمته	قسراً أعظم من جن وروحاني
ومن له جبل الدخان يخدمه	وراكب الفيل مُعْتَمِماً بثعبان
أشياء مفزعة عند تصوورها	مجهولة الكون لم تثبت ببرهان
أتعبت نفسك فيما سوف نكرهه	غداة يُجزى ذوو الذكر بميزان

فالقصيدة بخط الشيخ أبو عبد الله ومكتوبة بالعربية القديمة المتداولة في الكتابات القرآنية ويتضح من خلالها المستوى اللغوي للكاتب، فقد وجدنا صعوبة بالغة في قراءتها.

وعبر هذه القصيدة نستخلص النزعة الميالة للتصوف العقلاني المعتدل، وبهذا نفسر غياب الطقوس الفلكلورية في هذه الزاوية، كعزف المزامير، رقصات المُجادية ومداعبة الحيوانات... وغيرها من الطقوس الموجودة ببعض الزوايا.

(1) - سيد أحمد البوعبدلي، (الصالح المصلح الصوفي أبو عبد الله بن عبد القادر البوعبدلي)، مقال مخطوط، فيفري 2002، ص: 11
(2) . - مقابلة مع الشيخ سيد أحمد البوعبدلي، بتاريخ: 2014/08/25، في منزله ببطوبة

فالزاوية البوعبدلية حريصة على تملك علاقات مميزة مع الزوايا التي تقاسمها نفس التهجج الصوفي مثل زاوية الهامل ببوسعادة، وزاوية طولقة ببسكرة، وزاوية سيدي الخطاب بغيليزان، وفي نفس الوقت تملك علاقات طيبة مع جمعية العلماء المسلمين والمجلس الإسلامي الأعلى.

أ- الأوراد والأحزاب

في هذا المقام يجب ذكر الأوراد والأحزاب الخاصة بالطريقة الشاذلية (القديمية منها)، وهي الأوراد التي ألفها الشيخ أبو الحسن الشاذلي. فبالنسبة للأوراد فمعروف عن الشاذلية قراءة آية الكرسي وخواتيم سورة البقرة.

أما الأحزاب فهي أذكار مطوّلة ولدى الشاذلية عدّة أحزاب خاصة بهم من أهمها:

- 1- حزب الفتح هو دعاء يتغنّى فيه بنور الله وعرشه ورسوله، وسر ذاته.
- 2- حزب البحر هو دعاء فيه ذكر لعظمة الله في خلقه.
- 3- حزب النص: هو دعاء بذكر قوة وجبروت الله.
- 4- حزب البر: هو دعاء لسؤال التوبة والغفران من الله (1).

وفي الزاوية البوعبدلية لا تُقرأ هذه الأحزاب، بل فيه ورد خاص بالزاوية وهو من تأليف الشيخ المؤسس أبو عبد الله، وهو متداول في الزاوية منذ مدة طويلة، معتمد في الزاوية ببطيوة وفي الزاوية البوعبدلية بوهران (المدينة الجديدة)، فيقرأ فرداً وجماعةً مع بعض الاختلاف.

ويقرأ الورد كل يوم جمعة بعد صلاة العصر بمسجد الزاوية، وهو كالتالي:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم.

"وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضاً حسناً، وما تقدّموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله وهو أعظم أجراً، واستغفروا الله، إنّ الله غفورٌ رحيم".

- ثم يقول: أستغفر الله (99 مرّة)

(1) - الحسيني حسيني معدي، (الموسوعة الصوفية)، مرجع سابق، ص: 628

- ثم يقول: "إنَّ الله ولائكته يصلّون على النَّبي، يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً (تُقرأ مرّة واحدة للفرد، وفي حالة الجماعة تُقرأ 80 مرّة)

- ثم يقول: لا إله إلاّ الله (99 مرّة)
- ثم التلّظ بالجلالة: الله (99 مرّة)، ففي الثلاثة الأولى تُقرأ بشكل مطوّل إلى غاية نهيلة النَّفس.

بعدها ترفع اليدين وتقرأ الفاتحة، ثم الصلاة على النَّبي، ويختم الورد بدعاء " سبحان ربك رب العزة عمّا يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين (1).

ب- الممارسات الثقافية للزوار

ترتبط الممارسات أساساً بالجانب الديني، فهي تجسيد خاص لعلاقة الإنسان بالله، وهي تأخذ صورة التحول من ممارسة تعبدية وروحية فردية إلى ظاهرة مجتمعية (2).

فالزائر وبمجرد دخوله باب الزاوية، يحضر نفسه للدخول في فضاء روحي مغاير عن ما هو موجود خارج أسوار الزاوية بما في ذلك المسجد، فقد لاحظنا لدى غالبية الزوار ذكر الله عند الدخول بالبسملة وبعد ذلك يتوجهون مباشرة إلى مكان الاستقبال أما باب مسجد الزاوية الذي يوجد فيه كل من المقدم (سي أحمد: 52 سنة) والمتطوع (سي الهاشمي: 71 سنة) اللذان يقومان بتوجيه الزائرين حسب حاجاتهم بعد طرحهما للسؤال الذي يتكرر مع كل زائر (... باغي تزور ولا باغي تشوف الشيخ؟).

فتواجد الأفراد بحد ذاته لا يخلو من القيام بأفعال وبأقوال ماثورة ومخصوصة، إذ هو على حد تعبير دوركايم بالمجال الذي يتحول فيه المقدس إلى معاش (3).

(1) - عن المقدم: سي أحمد، في مقابلة بتاريخ: 2014/08/09.
(2) - رزازي محمد، (الأبعاد السوسولوجية والرمزية للممارسة الصوفية بالجزائر)، مجلة المواقف، المركز الجامعي مصطفى اسطنبولي معسكر، أبريل 2008، ص: 71.
(3) - بن عامر كريمة، (الطقس الديني والضبط الاجتماعي)، مجلة المواقف، المركز الجامعي مصطفى اسطنبولي، معسكر، أبريل 2008 ص: 165.

فالطقوس الجماعية تساعد على إدماج الأفراد ضمن الجماعات باعتبارها قواعد سلوكية تنظم تعامل الفرد مع الأشياء الدينية والمقدسة، فهي تقوم بالتوفيق بين ما هو حسّي وروحي في إطار الضبط الاجتماعي، فبالرغم من انتشار بعض الآراء التي تأخذ من الطقس على أنه مجرد تراث وفولكلور إلا أنه في الواقع يتأكد من جدواه في الإبقاء على التلاحم والتضامن الاجتماعيين⁽¹⁾.

فالطقوس تختلف من فرد لآخر وكذا من فرد لجماعة، فهي أكبر معبر عن التمثيلات الثقافية لمجتمع الزاوية، سواء من شيوخ وقيمين بها أو زائرين لها.

وتتمحور غالباً في قيام الزائر بالوضوء إذا أراد دخول المسجد، ثم بالتسليم على المقدم وتجاذب أطراف الحديث حول حاله وصحته وهذا طبعاً بالنسبة للرجال، أما النساء فتدخلن مباشرة إلى المسجد باتجاه حجرة الدفن.

وما شدّ انتباهنا هو طلب الزائرين عن الماء والخبز، فالماء هو لبئر محفورة بجوار غرفة الأمانات المطلّة على الساحة، أما الخبز فمرّات يكون محضراً من طرف عائلة البوعبدلي، أي (خبز الدار) ومرّات يذهب المقدم لشرائه من المخبزة فيوضع بالغرفة المذكورة كصدقة على من أراد الأكل منه.

وبالطبع قمنا بالشرب من ماء الزاوية العذب والبارد في إناء بشكل جماعي، حتى هنا الأمر عادي لكن السؤال عنه بهذه الصفة الملحّة يعكس قيمة الماء والخبز لدى الزوار حيث يقول (سي أحمد) "هذا ماشي كيما الماء الآخر، هذا تاع الزاوية فيه بركة أولياء الله الصالحين ومن التربة الصالحة..."

وبخصوص الخبز الذي يوضع كصدقة على الزائرين، فقد صادف وأن قدّمت لنا إحدى الزائرات (في الأربعينيات من العمر) الخبز المنزلي المحضر من طرفها على كل الجالسين في ساحة الزاوية وكان لنا نصيب منه.

(1) - نفس المرجع، ص: 165.

كذلك من بين الطقوس المعمول بها، الصلاة في مسجد الزاوية بالنسبة للرجال، وفي هذا الصدد يقول لنا المبحوث (عبد الرحمن: 37 سنة) بأن صلاته وما يقرأ من قرآن هو في ميزان حسنات الولي الصالح أبو عبد الله. والدعاء هنا يكون بالتوسل إلى الله بالصالحين المدفونين بالزاوية

أما النساء فلا تصلّين في مسجد الزاوية، بل تقمن بصلاة ركعتين في حجرة الدفن في وضعية تجعل من القبور ورائهن (أي لا تكون القبور في القبلة)، وهذا لتجنب انكشاف النساء أثناء الصلاة مع الرجال، وأثناء صلاتهن تكون زيارة الرجال للأضرحة قصيرة جداً مع حرص المقدم على ذلك.

أيضاً من بين الممارسات التي شددت انتباهنا أثناء تواجدها بالزاوية هي الطلب على تراب الزاوية، وللعلم فإن التراب موجود فقط في ركن أين توجد شجرة صفصاف كبيرة، أما محيط الزاوية المتبقي فكله مبلط ومعبد بالإسفلت، وقد وجدنا (بوزناد: 55 سنة) جالساً بجوار الشجرة مع ابنه الصبي حيث يحفر بيديه ويداعب التراب بلطف.

وللتراب أهمية كبيرة خاصة لدى النساء العواجز اللواتي يأخذن كمية صغيرة منه حيث تلقّنها في قطعة قماش أو منديل للاحتفاظ بها للتبرّك، وعندما سألنا المقدم (سي أحمد) عن مسألة التراب قال ضاحكاً "... يا ولدي هادو نوايا مساكين، يدوه للبركة..". وقال أيضاً "... كايين اللي بيغي يكون عنده تراب سيدي بوعبد الله في داره..". أي أخذ التراب من الزاوية والاحتفاظ به يفسّر بنقل بركة الشيخ إلى المنزل، وبهذا نفهم ما كان يقصده المبحوث (هوارى: 58 سنة) حين قال أن كل ما هو موجود له علاقة بالولي الصالح سيدي أبو عبد الله، والتراب جزئ من هذا الكل.

ج - الزّيارة

يُقصد بالزيارة، القدوم إلى الزاوية لرؤية ناسها الأحياء منهم والأموات، بغرض قضاء حاجات غيبية كالصلاة والدعاء أو كإكرام الشيخ والمقدم.

فيقول محدثنا (لخضر: 69 سنة) "... غير تريّح فالزاوية راك فالفايدة..". فالجلوس حسبه أفضل من التواجد في الشارع أو المقهى، فالبعض

يأتي لمجرد الراحة والمساعدة في أشغال الزاوية مثل حالة (نجيب: 66 سنة) الذي يساعد في أشغال النظافة والصيانة.

وعن الزيارة يصرح لنا (عبد الرحمن: 25 سنة) قائلاً "...أنزور بنية حسنة في الصالحين وبين نطلب الله فيها..."، ويقول آخر (هوارى: 58 سنة) أنه جاءت به محبة الصالحين أين يقدر على تجديد إيمانه بالله، فالإيمان حسبه يتجدد بلقاء الناس الصالحين الذين يخدمون الدين، حيث يقول: "... هادو ناس سخرهم ربي باش يخدموا الدين..."

وبغض النظر عن سبب الزيارة، فإنه في بعض الحالات عبّر لنا مبحثينا عن قدومهم فقط للاشيء أي ليس لقضاء حاجة معينة، بل للجلوس فقط حيث يقول (بوزناد: 55 سنة) "...اليوم جابني المكتوب، ماعبيتش بروحي حتى لقيت روعي مجّع فالزاوية ...".

فالزيارة تصحبها إرادة ونية، وهي الكلمة التي يعبر بها الكثير من الزوّار من خلال إبداء النية الحسنة بالقدوم، فيقول نفس المبحوث "...مع هادي الزاوية آه والو، الواحد يصفى نيته... . إنسان يليق يكون مدين وفيه خوف الله..."، وهي العبارات التي كررها أكثر من مبحوث.

وبخصوص الزيارة دائماً، شدّ انتباهنا أحد المبحثين بخصوص أوقات الزيارة، حيث قال لنا المبحوث (بن عودة: 42 سنة) بأنه يأتي للزاوية مع عائلته في بداية فصل الخريف، وقال أيضاً بلهجة من المزاح "... العام بيان من خريفه..."

فمن خلال هذا الكلام تتضح لنا رمزية الارتباط القوي بين التصورات والتمثلات الثقافية للمجتمع الجزائري بالأرض وبالنشاط الفلاحي، فالقدوم مع بداية الخريف يُراد منه التّمين لاستقبال موسم جيّد تماماً مثلما هو معروف لدى الفلاحين عندما يستبشرون خيراً بأولى أمطار فصل الخريف.

فمصطلح الزيارة يهمل أبعاداً مادية كذلك من خلال التّبرع بمبلغ مالي غير محدّد للمقدّم أو الشيخ، قصد الإكرام والتصدّق على الناس الصالحين في نظرهم.

فالكثير من الزائرين يأتون لزيارة الشيخ فقط للسؤال عن أحواله وعن صحته، وطلب بعض النصائح في أمور خاصة، وفي بعض الأحيان بالبوح له بأسرار مهمة لأن لشيخ يحفظها تماماً كأمين سر لهم.

أنّ الزاوية باعتبارها مكان ديني، فإنه لمن الطبيعي ارتباطها بالحالة النفسية للأفراد المتردّين عليها فهي تشكل فضاءً لاحتواء مختلف حالات القلق واليأس والاضطراب التي تنتاب الإنسان جرّاء ضغوطات الحياة اليومية⁽¹⁾.

وقد ارتبطت تعابير مبحثنا بمفهوم الرّاحة، وفي الحقيقة لقد لمسنا شيئاً منها أثناء تواجدها بالزاوية، ففضاءها مليء بالهدوء والسكينة، لا يكسرهما سوى أصوات سيارات الجماعات الموافدة عليها من حين لآخر، فيقول لنا (هواري: 58 سنة) عن زيارته "... نجي هنا باش نرتاح... نرتاح وبين يتكروا الله...".، وهنا يعبر لنا عن ارتياحه في الأماكن الدينية، التي يذكر فيها الله.

وفي حالة (لخضر: 69 سنة) حيث ضرح أنه كان يعمل بشركة سوناطراك في قسم الإنتاج، ومنذ أن أُحيل على التقاعد بحوالي 8 سنوات لجأ للزاوية للبقاء والراحة فيه.

أنّ تعدّد التعابير عن "الرّاحة" لدى مبحثنا، يوحي ببحثهم المتواصل عن الاطمئنان والهدوء الروحي، تماماً مثلما عبّر لنا الشيخ عياض أنّ الزاوية أصبحت ملجأً للناس الهاربين من صخب الدنيا ومشاكلها.

فالرّاحة المنشودة صارت هدف يبحث عنه، إذ لم يجد مبحثنا مكاناً أفضل من الزاوية، وهذا راجع إلى المكانة المرموقة لشيخها، وكذا لطبيعة المكان، ففي الزاوية ليس هناك قيود مفروضة على الزائرين، إذ لا توجد نواهي كثيرة، فليس على الزائر التقيد بشروط لازمة، كما أنه ليس بالضرورة أن يقدم أشياء معيّنة وهو ليس مجبراً على تقديمها.

فضاء الزاوية لا تعتليه شروط أو قيود خاصة مثلما هو الحال في مؤسسة رسمية مثل (بلدية، إدارة، مستشفى، فندق، أو مدرسة، مسجد...) وذلك بإعطاء حرية الحركة والتنقل لزائريها داخل الزاوية إضافة إلى عدم

(1) - بن عامر كريمة، مرجع سابق، ص: 159.

التزامها بالاستقبال في وقت محدّد، فباب الزاوية مفتوح من الفجر إلى غاية ما بعد صلاة العشاء.

ففي مثل هذه الأماكن يجد الزائر جزئاً من الحرّية، على الأقل للتخلص من ضغوطات الحياة اليومية وقد صادفنا من بين الزائرين شاب كفيف البصر (بوزناد: 36 سنة) قدم إلى الزاوية للجلوس في الزاوية بمسجدها وساحتها لمدة تفوق الساعة، حيث قال لنا "...كي نجي هنا ينشرح صدري..."

وقال أيضاً، "... أنا أعمى ومين ماتشوفش بعيني ايجيني الحال... نجي باش نرتاح ونسمع كلام الناس الصالحين..."

أي بما أنه شخص كفيف، تنتابه حالات من الغم والقلق والتوتر، ولم يجد بوزناد إلا القدوم برفقة ابن أخيه للزاوية، فتساءلنا عن معنى ومدلول الراحة لدى مبحثينا (إن كانت نفسية أو جسدية) فقد تبين أنها في هذه الحالات أنها تتعدّها لترقى إلى الرّاحة الروحية « spiruel » بالدرجة الأولى، وهنا يذكر لنا الباحث سعيد سنوسي أن الزاوية تشكل حلاً أو مخرجاً « issue » للرّغبين بالبحث عن الهدوء والتوازن الاجتماعي والروحي⁽¹⁾.

شكلت التعابير والتصريحات التي حضينا بها سواء من القائمين على شؤون الزاوية البوعبدلية أو زوارها المرتبطين بها، موضوعاً هاماً للبحث في مجال الانثروبولوجيا الثقافية واللغوية، حيث تبين من خلال هذه الدراسة تحكّم الجانب الرمزي ذو الصفة الغيبية في تعبيرات مبحثينا، الذين كانوا يؤكدون في كل مرة من خلال حديثنا معهم على تعلقهم الشديد واحترامهم للنزعة الصوفية التي تميز الزوايا عامةً، حيث تشكل حسب لغتهم المظهر الصافي والأصيل وسط هذا العالم المادي الرهيب، كما لمسنا بوجودنا داخل الزاوية وجود سجل لغوي خاص أساسه التصوف والإيمان بالغيب الإلهي كونه يشكل قوة رمزية كبيرة تنعكس على تمثلات وممارسات مجتمع الزاوية ككل.

(1) – SENOUCI S.، (un faquir enthousiaste accueillant la lumière) ،op.cit. ،p: 167.

المراجع

- 1 - BERQUE A. ' 1986' (*écrits sur l'Algérie*)' Paris' Edisud.
- 2 - BERQUE J. ' 2001' (*histoire et Anthropologie du Maghreb*)' Opéra Minora II' Paris
Edi:BOUCHENEN
- 3 - BLOCH M. ' 2013' (*l'Anthropologie et le défi cognitif*)' Paris' Odile Jacob.
- 4 - BOUBRIK R. ' 1999' (*Saints et société en Islam*)' Paris' Edi.'CNRS.
- 5 - De NEVEU E. ' 184'6 (*les khouans: ordre religieux chez les musulmans d'Algérie*)' Paris' GUYOT' 2ème Edition.
- 6 - DERMENGHEM E. ' 1954' (*le culte des saints dans l'islam maghrébin*)' Paris' GALLIMARD.
- 7 -FAUCON N. ' 1889' (*le livre d'or de l'Algérie*)' tome 1' Paris' CHALLAMEL.
- 8 - GEOFFROY E. ' 2009' (*l'Islam sera spirituel ou ne sera plus*)' Paris' Edi. Du Seuil.
- 9 - GUERID Djamel' (coo. et pré.)' 2012' (*savoir et société en Algérie*)' CREAD' Alger.
- 10 -RINN L. ' 1884' (*marabouts et khouanes*)' Alger' Adolphe Jourdan' (libraire-éditeur).
- 11- SENOUCI Saïd' 2009' (*un faquîr enthousiaste accueillant la lumière*)' Dar el Gharb'Oran.
- 12 -TURIN Y. ' 1971'(*affrontements culturels dans l'Algérie coloniale 1830-1880*)'Paris' MASPERO.
- 1- بوحديبة عبد الوهاب، 1992، (لأفهم فصول عن المجتمع والدين)، الدار التونسية للنشر والتوزيع.1
- 2 - طوني بينيت ولورانس غروسبيرغ وميغان موريس، 2010، (مفاتيح اصطلاحية جديدة: معجم مصطلحات الثقافة و المجتمع)، ترجمة: سعيد الغانمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى.
- 3- خليل أحمد خليل، 1984، (المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع)، بيروت، دار الحدائث، الطبعة الأولى.

- 4- مؤيد العقبي صلاح، 2009، (الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر: تاريخها ونشاطها)، دار البصائر.
- 5- بودواية بلحيا، 2009، (التصوف في بلاد المغرب العربي)، دار القدس العربي، الطبعة الأولى، وهران..
- 6- عبد القادر بوعرفة الهلالي، 2004، (أعلام الفكر والتصوف بالجزائر)، الجزء 1، وهران، دار الغرب.
- 7- مصطفى راجعي، 2014، (التدين وجودة الحكامة في الجزائر)، دار حامد، عمان، الأردن.
- 8- نايف معروف، (الإنسان والعقل)، سبيل الرشاد، بيروت، الطبعة الأولى.
- 9- الحسيني الحسيني معدى، 2013، (موسوعة الصوفية)، كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة.

المقالات

- 1- رزاي محمد، (الأبعاد السوسولوجية والرمزية للممارسة الصوفية بالجزائر)، مجلة المواقف، المركز الجامعي مصطفى اسطنبولي، معسكر، أبريل 2008.
- 2- بن عامر كريمة، (الطقس الديني والضبط الاجتماعي)، مجلة المواقف، المركز الجامعي مصطفى اسطنبولي، معسكر، أبريل 2008.
- 3- غرس الله عبد الحفيظ، (الزاوية فضاء للتنشئة الاجتماعية)، مجلة المواقف، معسكر، عدد 1، 2007.

التحولات الاقتصادية وسوق العمل في الجزائر

لطيفة مناد / جامعة تلمسان
فوزية صغيري / جامعة تلمسان

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل ومناقشة اتجاهات سوق العمل في الجزائر، من خلال إبراز أهم التحولات الاقتصادية نحو اقتصاد السوق، التي كان لها الأثر الكبير على سوق العمل في الجزائر، مبرزين كافة المؤشرات المعتمدة لتحليل سوق العمل، مثل معدلات التشغيل والبطالة والنشاط.

وبناء على أهداف الدراسة والتحليلات والمناقشات، فقد توصلت إلى أنه على مستوى مؤشرات سوق العمل فإن معدلات العمل في تزايد ولكنه محدود لا يتناسب مع عدد السكان النشيطين طالبي العمل، بالرغم من ارتفاع عدد حاملي الشهادات، بالإضافة إلى زيادة مشاركة المرأة، وأيضا ما قدمته الدولة من جهود من أجل الحد من البطالة من خلال فتح مناصب الشغل المأجور وتشجيع إنشاء مشاريع خاصة.

الكلمات المفتاحية: سوق العمل، التشغيل، البطالة، الإصلاحات الاقتصادية.

Abstract:

This study aims to analyze and discuss labor market trends in Algeria, by highlighting the most important economic transformation towards the market economy, which had a significant impact on the labor market in Algeria, studying all the indicators used to analyze the labor market, such as operating rates, unemployment and activity.

Basing on the study's objectives, analyzes and discussions, it was concluded that related to level of labor market indicators, the labor rates are increasing, but it is limited, and not proportional to the number of active population of job seekers, despite the high number of graduates, in addition to increasing participation of women, as well as

the efforts provided by the state to reduce unemployment by opening up the job wage and to encourage the establishment of private enterprises.

Key words: labor market، operating، unemployment، and economic reforms.

مقدمة:

انتقلت الجزائر بعد التسعينيات من نظام اشتراكي إلى نظام اقتصاد السوق، وصاحب ذلك عدة إصلاحات اقتصادية كان من بين أهدافها خلق توازن في سوق العمل بالتقليص من معدل البطالة الذي عرف ارتفاعا مستمرا نظرا لزيادة نسبة النشاط وقلّة فرص العمل، فاعتمدت الدولة عدة آليات وبرامج هدفها خلق وظائف للشباب إما عن طريق وظائف مأجورة أو تشجيع العمل الخاص (ريادة الأعمال).

وفي هذا المقال محاولة لبحث أهم انعكاسات الإصلاحات الاقتصادية على سوق العمل في الجزائر، وذلك من خلال بحث الاشكالية التالية: كيف تأثر سوق العمل بمختلف التحولات الاقتصادية التي عرفتها الجزائر بعد التسعينيات؟ بافتراض أن سوق العمل الجزائري تأثر إيجابيا بمختلف الإصلاحات التي اعتمدها الجزائر وذلك من خلال التقليص من معدل البطالة عبر مختلف السنوات.

أولا: الاقتصاد الجزائري والمباشرة في الإصلاحات الاقتصادية

مع منتصف الثمانينيات من القرن العشرين، ومع بداية الأزمة النفطية العالمية التي نتجت عن انخفاض أسعار البترول، أضحت الجزائر على مشارف أزمة اقتصادية واجتماعية كبيرة، بسبب انخفاض العوائد النفطية، وتفاقم المديونية؛ مما أدى إلى تراجع معدل الاستثمار.

لقد انعكست الأزمة البترولية العالمية سلبا على الاقتصاد الجزائري، نظراً للاعتماد الكبير على الموارد البترولية، فقد أدت هذه الأزمة إلى عجز في الموازنة العامة، وانخفاض الاحتياطات، وارتفاع نسبة البطالة، وارتفاع نسبة التضخم، وتدهور أسعار صرف العملة الوطنية، واختلال في القطاع المصرفي وقطاع التجارة، وارتفاع حجم الديون الخارجية وتزايد أعبائها، وانخفاض إنتاجية المؤسسات العامة.

تميزت الفترة الممتدة من سنة 1989 إلى غاية 1999 بالانتقال التدريجي إلى اقتصاد السوق؛ حيث تخلت الدولة عن النظام الموجه (التخطيط)، وطبقت المخطط الخماسي الثاني للتنمية (1985-1989)، وبعد التقييم اتجه الاقتصاد الوطني الى اقتصاد السوق عبر تطبيق مبدأ خوصصة المؤسسات العمومية الاقتصادية وتقنيك ناتج المؤسسات وتحويلها إلى مؤسسات متوسطة أو صغيرة نتيجة المديونية المرتفعة، فاتبعت الجزائر سياسة استقلالية المؤسسات الاقتصادية ومنحتها الحق في تسيير شؤونها وإعادة هيكلتها داخليا، فظهرت البوادر الأولى لسياسة تسريح العمال واتضح أن الحل المبدئي يكون في التقليل من عدد العمال وإحالتهم على البطالة التقنية وإعطائهم المعاش المسبق.

إن من بين الأهداف التي سطرها المخطط الخماسي الثاني هو استحداث 946000 منصب عمل جديد، إلا أن الجهود المبذولة خلال المخطط الخماسي لم تتمكن من خلق سوى عدد محدود؛ وهو 377000 منصب عمل جديد، حيث لم تسجل أعلى نسبة في التوظيف إلا في سنة 1985. ليأخذ الرقم فيما بعد في التراجع، حيث تزامن هذا المخطط بالأزمة البترولية 1986 التي تضررت منها الجزائر باعتبارها تعتمد في إيراداتها أساساً على المحروقات، وكان لضعف التمويل أثر بارز على سياسة التشغيل لأن خلق مناصب جديدة أصبح يمثل عبئا على المؤسسات. ولهذا حدث تراجع كبير في خلق مناصب جديدة على مدى أربع سنوات الموالية¹.

وما تجدر الإشارة إليه هو أن عدد السكان النشطين عرف تزايدا مستمرا؛ بحيث انتقل من 4.459.000 إلى 5.239.000 أي بنسبة نمو تقدر بـ 17%، ولذا فإن الجهود المبذولة للتشغيل في هذه الفترة، لم تستطع تقليص معدلات البطالة، التي عرفت تزايدا حيث انتقلت من 17% سنة 1987 إلى 29,77% سنة 2000، وانخفاض معدلات التشغيل من 77,77% سنة 1987 إلى 2,70% سنة 2000². وهذا ما يظهره الجدول التالي:

الجدول رقم (01): تطور معدلات البطالة للفترة (1985-2000)

السنوات	معدل البطالة %
1985	5.16
1987	17.0
1989	19.0
1990	19.7
1991	20.3
1992	21.3
1993	23.1
1994	24.4
1995	28.3
1996	28.1
1997	28.3
1998	28.6
1999	29.3
2000	29.8

المصدر: نشریات الديوان الوطني للإحصائيات بالجزائر.

في الفترة 1985 و1987 بلغ حجم الوظائف التي أنشئت 265000 وظيفة من بين 720000 المزمع توفيرها أي ما يعادل 37% فقط، وكان ذلك نتيجة تباطؤ الاستثمارات بسبب انخفاض المخصصات المالية إضافة إلى القيود المفروضة على ميزانية الدولة والتي أدت هي الأخرى إلى تخفيضات في إمداد قطاع الصناعة، وترتب عليه انخفاض في فرص العمل من 125000 في 1985 إلى 74000 في 1986 و64000 سنة 1987، 80000 في 1988 و76000 سنة 1989³.

مع نهاية الثمانينات بدأت وضعية سوق العمل تتدهور للتفاقم خلال سنوات التسعينيات، مما أدى بالدولة الجزائرية للقيام بإصلاحات اقتصادية تمثلت في إيجاد برامج لإنشاء مناصب العمل وترقية التشغيل وإدخال وسائل جديدة بتخصيص موارد جديدة أو بإعادة تخفيض الموارد التي كانت موجودة. فشرع في برنامج الإصلاح منذ 1989 وبدأ تطبيقه فعليا سنة 1990، حيث أدى تطبيق برنامج الاستقرار والتعديل الهيكلي إلى تحسين التوازنات الكبرى للاقتصاد الكلي والميزانية، ولكن انعكس ذلك سلبا على القدرة الشرائية للأسر الجزائرية، فخلق تدهورا حادا على

مستوى التشغيل، واستفحلت ظاهرة البطالة التي اتسمت بارتفاعها لدى الشباب، ونقص التأهيل وانخفاض عدد مناصب الشغل الجديدة وتسريح العمال (360.00 عامل تسريحهم في الفترة الممتدة بين سنة 1994-1998 أي ما يفوق 8% من عدد العمال المشغلين)، وخلقت ما يقارب 50.000 منصب شغل سنويا في الفترة الممتدة بين سنة 1990 وسنة 1994، بينما تشهد الفترة التي تليها ارتفاعا في عدد مناصب الشغل المحدثة. كما شهدت فترة التسعينيات توسع في السوق الموازي، المكون من النشاطات غير المصرح بها كليا أو مصرح بها جزئيا، إذ قدرت نسبة تزايد مناصب الشغل غير الرسمية سنويا في الفترة المتراوحة بين 1993 و1998 بـ 8.41%، في حين أن تزايد منصب الشغل المنظمة بـ 2.52% في نفس الفترة⁴.

في هذه الفترة تدنى مستوى التشغيل في كل القطاعات، وبدأ التخلي عن قطاع الصناعة لصالح القطاعات الأخرى كقطاع البناء والأشغال العمومية، فانخفضت نسبة التشغيل في القطاع الفلاحي لتصل سنة 1989 إلى نسبة 7،22% بعدما كانت تمثل نسبة 48 % سنة 1970، واستحوذ قطاع التجارة والخدمات على أكبر نسبة تشغيل بنسبة 8،47%، بينما بقيت باقي القطاعات بنسب تشغيل ثابتة، وتفسير تدني مستوى التشغيل بالقطاع الفلاحي هو زيادة الهجرة نحو المدينة وتقلص عدد سكان الريف، وهذا ما يظهره الجدول أدناه:

الجدول رقم (02) توزيع العمالة وفقاً للقطاعات الاقتصادية خلال الفترة (1986 - 2000)⁵

المجموع	تجارة وخدمات		بناء وأشغال عمومية		الصناعة		الزراعة		القطاعات
	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	
3923000	44.1	1727000	16.7	657000	13.6	537000	25.6	1002000	1986
4247000	45.5	1932000	15.5	658000	15.4	654000	23.6	1003000	1987
4558000	46.4	2114000	18.0	820000	13.6	621000	22.0	1003000	1988
4468000	47.8	2139000	16.0	717000	13.5	602000	22.7	1010000	1989
4579000	49.3	2256000	15.0	683000	14.6	670000	21.1	970000	1990
4844000	47.6	2308000	14.3	681000	14.7	715000	23.4	1140000	1991
6774000	48.6	4222000	12.3	613000	15.9	789000	23.2	1150000	1992
5625000	53.6	3018000	12.6	705000	13.2	748000	20.6	1154000	1996
5725989	59.5	3409692	10.8	617357	14.4	826060	15.3	872880	2000

ثانياً: مرحلة ما بعد سنة 2000

شرعت الحكومة الجزائرية منذ سنة 2000 إلى يومنا هذا في تبني إصلاحات اقتصادية ومالية كان لها الأثر الكبير على التشغيل سواء في القطاع العام أو القطاع الخاص، حيث تبنت الدولة برنامج الإنعاش الاقتصادي ودعم التنمية الاقتصادية كان الهدف منه التحسين في عملية التشغيل وخلق مناصب عمل خاصة مع التزايد السكاني وزيادة الطلب على العمل، فالقطاع العام عرف خلال سنوات التسعينات تسريح عدد كبير من العمال أدت إلى فقدان أكثر من 400000 منصب عمل نتيجة برامج التصحيح الهيكلي المفروض من طرف صندوق النقد الدولي، والذي أدى إلى خوصصة وحل عدد كبير من المؤسسات العمومية في كافة الأنشطة الاقتصادية، وعكس هذا فقد عرف القطاع الخاص ابتداء من 1990 تحسناً ملحوظاً، وساهم في خلق عدد معتبر من مناصب العمل نتيجة تطوره السريع⁶.

إن التوسع المحدث في تشغيل اليد العاملة ما بين 2001 و 2005 استمد قوته من نشاط القطاع الخاص (بما فيه النشاطات الموازية)، إذ يتصدر الزيادة مقارنة بالقطاع العام بخلقه حوالي 2، 5 مليون منصب، 1 (مليون منها خارج القطاع الفلاحي)، وبتطور تعادل وتيرته ما يقارب 18% سنوياً، وساهم هذا القطاع سنة 2005 في تشغيل أكثر من 5 مليون شخص. أما القطاع العام فقد سجل تراجعاً كبيراً في عدد المناصب المحدثه إذ لم يتمكن

من تشغيل سوى 3 مليون شخص سنة 2005 (37%)، ويستمر التراجع في هذا الأخير ليمس كل فروع النشاط باستثناء قطاع الإدارة، حيث بلغ التفاوت في اليد العاملة خلال الفترة (2001 – 2005) من 3 ، 6 مليون عامل إلى حوالي 3 مليون⁷.

ومن أجل التقليل من معدل البطالة الذي بلغ 77،29 سنة 2000، قامت الدولة بسياسة تشغيل تركز على أمرين: ترقية الشغل عن طريق المبادرات المقاولاتية وترقية دعم الشغل المأجور.

الجدول رقم (03): تطور معدلات البطالة للفترة (2010-2001)

السنوات	معدل البطالة %
2001	28.44
2002	26
2003	23.7
2004	17.7
2005	15.30
2006	12.3
2007	13.8
2008	11.3
2009	10
2010	10
2014	9.8

المصدر: نشریات الديوان الوطني للإحصائيات بالجزائر.

في هذه الفترة احتلت القطاعات غير المنتجة المرتبة الأولى من حيث التشغيل فكان قطاع التجارة والخدمات (الخدمات تتضمن النقل والاتصالات والسياحة)، هو الأكثر استقطابا لليد العاملة خلال العشرية الأخيرة نظرا للحركية التي ميزته، حيث استقطب أكثر من نصف الفئة المشغلة، فبلغ سنة 2000 نسبة 5،59%، لترتفع سنة 2014 إلى 3،61%،

ويأتي في المرتبة الثانية قطاع البناء والأشغال العمومية الذي انتقلت نسبة التشغيل به من سنة 2000 إلى سنة 2014 من 8،10%، إلى 4،16% على التوالي، فقد أصبحت الجزائر منذ سنة 2000 بمثابة ورشة كبيرة، إما في مجال تشييد البنى التحتية أو في مجال البناء، وبالمقابل يشهد كل من قطاعي الفلاحة والصناعة تراجعاً مستمراً في التشغيل خلال الفترة نفسها؛ كما هو مبين في الجدول التالي:

الجدول رقم (04) توزيع العمالة وفقاً للقطاعات الاقتصادية خلال الفترة 2000-2014*

القطاع	الفلاحة		الصناعة		بناء وأشغال عمومية		تجارة وخدمات		المجموع	السنة
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%		
	1311641	21.0	861119	13.9	650012	10.4	3406000	54.7	6228772	2001
	1412340	21.1	804152	12.1	799914	11.9	3667650	54.9	6684056	2003
	1617125	20.7	1060785	13.6	967568	12.4	4152934	53.3	7798412	2004
	1381000	17.2	1059000	13.2	1212000	15.1	4393000	54.5	8045000	2005
	1609633	18.1	1263591	14.2	1257703	14.2	4737877	53.4	8868804	2006
	1170897	13.6	1027817	12.0	1523610	17.7	4871918	56.7	8594242	2007
	1252000	13.7	1141000	12.5	1575000	17.2	5178000	56.6	9146000	2008
	1242000	1.13	1194000	6.12	1718000	1.18	5318000	1.56	9472000	2009
	1136000	6.11	1337000	7.13	1886000	3.19	5377000	2.53	9736000	2010
	1034000	7.10	1367000	2.14	1595000	6.16	5603000	3.58	9599000	2011
	912000	9.8	1335000	1.13	1663000	3.16	6260000	5.61	1070000	2012
	1141000	5.10	1407000	0.13	1791000	6.16	6449000	7.59	10788000	2013
	107000	5.9	1329000	5.12	1743000	4.16	6486000	3.61	10565000	2014

ثالثاً: اتجاهات ومؤشرات سوق العمل في الجزائر

يتأثر سوق العمل الجزائري بعدة عوامل منها النشاط والتشغيل والبطالة، سنقوم بتحليل هذه العوامل باتباع إحصائيات مختلف مؤشرات سوق العمل عبر مختلف سنوات الإصلاح الاقتصادي مع التركيز على مرحلة ما بعد التسعينيات:

عرفت الجزائر نمواً ديمغرافياً سريعاً خاصة الفئة السكانية النشطة القادرة على العمل مما يدل على تزايد في الطلب على التشغيل وذلك ما سبب اختلالات في سوق العمل من خلال ارتفاع معدلات البطالة التي أثرت

بشكل كبير على الملتحقين الجدد بسوق العمل، وارتفاع الشغل المؤقت رغم تزايد النشاطات غير الرسمية التي كانت ملجأً معتبراً لفئات اليد العاملة.

وأيضاً اتسعت الفجوة بين مخرجات النظام التعليمي ومتطلبات سوق العمل، وبالمقابل عرف النمو الاقتصادي نتائج ضعيفة بتراجع في نسبة إنشاء مناصب شغل جديدة خلال التسعينات، فبدأ نظام خلق مناصب الشغل يتباطأ شيئاً فشيئاً وبدأت الاختلالات تظهر بين جانبي العرض والطلب على العمل، فظهرت بوادر أزمة في سوق العمل، حيث ازدادت حصة الشباب البطالين بما فيهم المتحصلين على شهادات والذين يشكلون جزءاً كبيراً من طالبي العمل.

كما أن تشغيل اليد العاملة في هذه الفترة تزايد في نشاط القطاع الخاص بما فيه النشاطات الموازية مقارنة بالقطاع العام الذي سجل تراجعاً كبيراً في عدد المناصب المحدثّة؛ ولأن البطالة لا يمكن تقليصها إلا من خلال نمو اقتصادي مرتفع، فإنه بالانتعاش الاقتصادي المحقق الذي شهدته البلاد في السنوات الأخيرة بمضاعفة وتيرة خلق مناصب عمل انخفض معدل البطالة من 7،29% سنة 2000، إلى 8،9% سنة 2014.

ومن بين العوامل المؤثرة في سوق العمل هو مشاركة المرأة في القوى العاملة التي تبقى منخفضة جداً، ففي عام 1966 كان معدل مشاركة الإناث منخفضاً للغاية، فمن بين ألف امرأة في سن العمل لم يكن هناك سوى 18 منهن نشطة اقتصادياً، ومع مرور الوقت بدأت في الارتفاع لتصل إلى 10.71% في عام 2006. فاحتلت النساء جزءاً كبيراً من القوى العاملة حيث شكلت 20% في عام 1977 و26% في عام 1987 و27% في عام 2000، فبلغت معدلات العمالة النسائية 2.08% في عام 1977، بنسبة 3.26% في عام 1987 و4.4% في عام 2000.

مر تطور البطالة في الجزائر بمراحل مختلفة، كل مرحلة وافقت وضعية اقتصادية خاصة مر بها الاقتصاد الجزائري، حيث برز مشكل البطالة في الجزائر منذ منتصف التسعينيات، أي مع تنفيذ برنامج التصحيح الهيكلي والتحرير الاقتصادي، إذ أدى ذلك إلى غلق عديد المؤسسات العمومية وتسريح أكثر من 400 ألف عامل، وقد تزامن هذا التحول مع

الظروف السياسية والأمنية التي مرت بها البلاد، والتي أدت إلى تراجع الاستثمارات المحلية والأجنبية.

ومن الملاحظ أن معدلات التضخم في البطالة كانت متصاعدة إلى غاية سنة 2000 لتبدأ بعدها في التنازل إلى يومنا هذا، ويرجع هذا التنازل إلى أربعة عوامل أساسية:

- التحسن النسبي في مناخ الاستثمار بعد أزمة التسعينيات الأمنية، مع ما رافق ذلك من إجراءات تحفيزية لدعم الاستثمار.

- تكثيف التدابير المتعلقة بدعم التشغيل، وخاصة دعم تشغيل الشباب، سواء ما تعلق منها بإنشاء المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، أو ما تعلق بدعم العمل المأجور.

- اعتماد برنامج الإنعاش الاقتصادي من طرف الدولة منذ 2001، والذي تم تطبيقه في شكل مخططات تنموية إذ أدى ذلك إلى تنشيط الاستثمار العمومي وخلق فرص عمل، ولا سيما في قطاع البناء والأشغال العمومية، وبصفة غير مباشرة في مختلف الأنشطة المرتبطة بهذا القطاع كصناعة مواد البناء وصناعة الزجاج والنجارة وغيرها، وللإشارة كان ارتفاع أسعار النفط خلال هذه الفترة عاملاً أساسياً في استمرار تطبيق هذا البرنامج.

- يرتبط تطور معدل البطالة، وبالمقابل معدل التشغيل، بكل من تطور حجم السكان واليد العاملة في سن النشاط والنمو الاقتصادي¹⁰.

مؤشرات التشغيل والبطالة حسب الجنس:

هناك أهمية كبيرة في تصنيف مؤشرات التشغيل والبطالة وفقاً للجنس، نظراً لما يبرزه ذلك التصنيف من فروقات بين المعايير المهمة جداً، حيث يعطي لنا هذا التصنيف صورة شاملة عن الفئة الأكثر انتشاراً في سوق العمل من جهة والفئة المهمشة من جهة أخرى، وفيما يلي جدول يشمل توزيع العمالة في الجزائر وفقاً للجنس خلال عقود ما بعد الاستقلال:

الجدول رقم (05): تطور حجم ومعدل البطالة في الجزائر حسب الجنس خلال الفترة 1966 - 2014

السنوات	المجموع		ذكور		إناث	
	العدد بالآلاف	المعدل %	العدد بالآلاف	المعدل %	العدد بالآلاف	المعدل %
1966	843	32.9	819	33.3	149	13.6
1977	671	22	647	22.7	243	11.4
1987	1141	21.3	1076	22.1	652	13.2
2000	2339	8.29	1934	7.29	404	9.33
2001	2339	3.27	1934	4.31	404	5.26
2003	2078	7.23	1759	4.25	318	4.23
2004	1671	7.17	1370	1.18	301	5.17
2008	1169	3.11	868	1.10	301	4.17
2009	1072	2.10	752	1.18	320	6.8
2010	1076	10	728	8.1	348	1.19
2014	1151	8.9	825	8.8	325	2.14

المصدر: معطيات إحصائية من إعداد الباحثة من خلال معطيات الديوان الوطني للإحصائيات غير مختلف المسوح الوطنية.

نلاحظ من خلال الجدول أن هناك تطورا ملحوظا شهدته المشاركة النسوية في سوق العمل في السنوات الأخيرة من خلال تراجع معدلات البطالة من 33.9% سنة 2000 إلى 14.2% سنة 2014.

ويمكن إرجاع ذلك إلى انتشار الوعي والثقافة، وزيادة نسبة تدرس الفتيات وبلوغها مستويات تعليمية عالية، بالإضافة إلى ارتفاع المستوى المعيشي وزيادة متطلبات الحياة؛ مما اضطرها إلى الخروج إلى العمل من أجل مساعدة الأسرة في مصاريف المنزل. ومع ذلك تبقى نسبة مشاركة المرأة ضعيفة مقارنة بمشاركة الرجل.

مؤشرات التشغيل والبطالة حسب المستوى التعليمي:

أما فيما يخص تصنيف مؤشرات التشغيل والبطالة وفقا للمستوى التعليمي فإن ذوي الشهادات العليا هم الفئة التي تعرف تزايدا كبيرا في معدلات البطالة؛ حيث انتقلت نسبة البطالة لدى حاملي شهادة التعليم الجامعي من 12% سنة 2005 إلى 23،78% سنة 2009، وهذا ما يوضحه الجدول التالي:

الجدول رقم (06): تطور معدلات البطالة حسب المستوى التعليمي خلال الفترة 2005 - 2009

المستوى التعليمي	2005		2006		2007		2008		2009	
	العدد بالآلاف	النسبة	العدد بالآلاف	النسبة	العدد بالآلاف	النسبة	العدد بالآلاف	النسبة	العدد بالآلاف	النسبة
بدون مستوى	33	2.2	41	3.3	47	4.3	25	1.2	36	3.3
الابتدائي	251	3.17	237	0.19	240	4.17	163	9.13	140	0.13
المتوسط	624	0.43	522	6.42	553	2.40	503	9.42	415	38.7
الثانوي	365	2.25	275	1.22	316	9.22	247	1.21	226	0.21
الجامعي	175	0.12	166	3.13	219	9.15	232	8.19	255	7.23
المجموع	1448	3.15	1241	3.12	1375	8.13	1170	3.11	1072	2.10

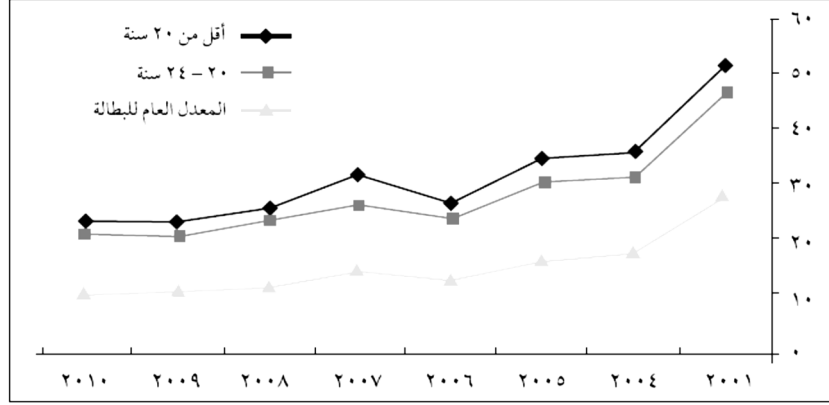
المصدر: معطيات إحصائية من إعداد الباحثة من خلال معطيات الديوان الوطني للإحصائيات.

يمكن تفسير ارتفاع معدل البطالة لدى أصحاب الشهادات وخريجي الجامعات لعدة أسباب:

- تزايد نسبة التمدرس وتزايد معدلات الالتحاق بالتعليم العالي لدى الجنسين، ففي خلال الدخول الجامعي 2011/2012 بلغ عدد الطلبة الجامعيين في مختلف الأطوار 1.247 مليون طالب.
- عدم توافق بين احتياجات سوق العمل ومخرجات مؤسسات التعليم والتكوين.

- طبيعة التركيبة الديمغرافية للمجتمع الجزائري التي تعرف نموا متزايدا في الفئة العمرية النشيطة (نحو ثلاثة أرباع السكان شباب) كما هو موضح في الشكل التالي:

الشكل رقم (01): تطور البطالة لدى فئة الشباب (%) خلال الفترة (2001 – 2010)¹¹



- نقص الفعالية في سياسات التشغيل المعتمدة، المعروفة بسياسات دعم تشغيل الشباب، ولا سيما تجاه فئة أصحاب الشهادات الجامعية، بسبب ترجيح المعالجة الاجتماعية لقضية البطالة بدلاً من المعالجة الاقتصادية ذات الأمد البعيد، إذ أن معظم هذه الفئة لم يحظ في الأغلب إلا بما يعرف في الجزائر بعقود ما قبل التشغيل¹².

رابعاً: سياسات إدماج العاطلين عن العمل

بعد تفاقم ظاهرة البطالة في المجتمع الجزائري باشرت الدولة في اتخاذ قرارات وتدابير من أجل الحد من هذه الظاهرة عبر إعداد برامج موجهة للشباب طالبي العمل، منها ما يتعلق بالتشغيل المباشر ومنها ما يتعلق بتشجيع خلق مؤسسات صغيرة ومتوسطة، من خلال إنشاء وزارتي للشغل هما وزارة العمل والتشغيل والضمان الاجتماعي، التي أسندت إليها مهام التشغيل منذ 2001، ووزارة الصناعة والمؤسسات الصغيرة والمتوسطة وترقية الاستثمار.

1- دعم العمل المأجور:

تم اعتماد مجموعة من الآليات والتدابير لإدماج الشباب في العمل المأجور من خلال إنشاء مجموعة من الوكالات والصناديق والبرامج، منها: برنامج تشغيل الشباب PEJ، برنامج الإدماج المهني للشباب DIPJ، التشغيل المأجور بمبادرة محلية ESIL؛ منحة النشاطات ذات المنفعة العامة IAIG، أشغال المنفعة العامة ذات كثافة اليد العاملة TUPHIMO، عقود ما

قبل التشغيل CPE، وكالة التنمية الاجتماعية ADS، الوكالة الوطنية للتشغيل ANEM.

2- ترقية العمل عن طريق دعم إنشاء المؤسسات الصغيرة والمتوسطة

وفي إطار هذه البرامج تم خلق مجموعة من الوكالات لدعم الشباب ماليا ومرافقتهم في إنشاء مؤسسات خاصة بهم، منها: جهاز دعم الإدماج المهني DAIP، الوكالة الوطنية لدعم تشغيل الشباب ANSEJ، الوكالة الوطنية لتسيير القروض المصغرة ANGEM، الوكالة الوطنية لتطوير الاستثمار ANDI، الصندوق الوطني للتأمين على البطالة CNAC، الصندوق الوطني لدعم تشغيل الشباب FNSEJ.

الخاتمة:

عرف سوق العمل في الجزائر اختلالا كبيرا من خلال ارتفاع عدد طالبي العمل في مقابل شح في عدد مناصب الشغل، ويرجع ذلك إلى النمو الديمغرافي السريع وبخاصة ارتفاع عدد السكان النشيطين القادرين على العمل، بالإضافة إلى ارتفاع عدد خريجي الجامعات وحاملي الشهادات، مما نتج عنه ارتفاع كبير في معدلات البطالة.

ومن أجل التقليل من معدلات البطالة قامت الدولة الجزائرية بجهود كبيرة من خلال إصلاحات اقتصادية تمثلت في إنشاء وكالات تشغيل هدفها فتح مناصب شغل مأجور للشباب طالبي العمل، وأيضا من خلال إنشاء صناديق دعم لتشجيع الشباب على إنشاء مشاريع خاصة.

ورغم كل تلك الجهود المبذولة إلا أن المشاركة الاقتصادية لم ترق إلى درجة قدرتها على استيعاب الطلب المتزايد على العمل.

ملحق

تطور مختلف مؤشرات سوق العمل في الجزائر خلال فترة 1966 - a»**
Q<234567890°

2014	2008	2000	1987	1977	1966		
39114000	33920103	30 416000	22600957	15645491	11821679	المجموع	المجتمع الجزائري
19801164	17152049	15375	11425408	7773060	5817147	ذكور	
19313 112	16768054	15041	11175489	7872431	6004534	إناث	
10566000	9146000	6179992	4137736	2330972	1720710	المجموع	المشتغلون
8603000	7718000	5382909	3772640	2198738	1626199	ذكور	
1962000	1428000	797083	365096	138234	94511	إناث	
1151000	1169000	2339449	1141278	670827	843953	المجموع	STR1+ STR2
825000	868000	1934910	1076018	647517	819011	ذكور	
325000	301000	404538	65260	24310	14942	إناث	
11716000	10315000	8568221	5341102	3049952	2564663	المجموع	المجتمع النشط
9429000	8586000	7280133	4848660	2846255	2455210	ذكور	
2288000	1729000	1288088	492442	203697	109453	إناث	
5.41	7.41	9.27	6.23	5.19	7.21	المجموع	معدل النشاط
3.66	69	7.47	4.42	6.36	2.42	ذكور	
3.16	1.14	3.8	4.4	6.2	8.1	إناث	
5.37	0.37	13.72	47.77	62.76	09.67	المجموع	معدل الشغل
5.60	62	94.73	81.77	25.77	23.66	ذكور	
0.14	6.11	88.61	14.74	86.67	35.86	إناث	
8.9	33.11	77.29	37.21	99.21	91.32	المجموع	معدل البطالة
8.8	1.10	7.29	19.22	75.22	36.33	ذكور	
2.14	4.17	9.33	25.13	44.11	65.13	إناث	

المصدر: معطيات إحصائية من إعداد الباحثة من خلال معطيات الديوان الوطني للإحصائيات غير مختلف المسوح الوطنية.

الهوامش:

- (1) آيت عيسى عيسى. سياسة التشغيل في ظل التحولات الاقتصادية بالجزائر. أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة الجزائر 3، 2010، ص143.
- (2) بلعجال فوزية. العوامل الديموقراطية المؤثرة على سوق العمل الجزائري. مرجع سابق، ص115.
- (3) بلعجال فوزية. المرجع نفسه، ص95.
- (4) الديوان الوطني للإحصائيات www.ons.dz
- (5) حوصلة إحصائية حول التشغيل 1962 - 2011. المرجع نفسه، ص52.
- (6) شكوري محمد، شبيبي عبد الرحيم، البطالة في الجزائر: مقارنة تحليلية واقتصادية، المؤتمر الدولي حول أزمة البطالة في الدول العربية، جامعة القاهرة، مصر، 17-18 مارس 2008، ص12.

- (7) يحيات مليكة. إشكالية البطالة والتضخم في الجزائر خلال الفترة (1970 – 2005)، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، 2007، ص 274.
- (8) حوصلة إحصائية حول التشغيل 1962 - 2011. المرجع نفسه، ص 52.
- (9) Ali hamza cherif. POPULATION ET EMPLOI EN ALGERIE: TENDANCES RECENTES ET PERSPECTIVES. ARTICLE in SOCIÉTÉS · JANUARY 2007. ،p3.
- (10) رحيم حسين. سياسات التشغيل في الجزائر، المرجع السابق، ص 134.
- (11) رحيم حسين. سياسات التشغيل في الجزائر، المرجع نفسه، ص 136.
- (12) رحيم حسين. سياسات التشغيل في الجزائر، المرجع نفسه، ص 138.